الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية

وزارة التعليم العالي و البحث العلمي

جامعة تلمسان

كلية الآداب واللغات

قسم اللغة والأدب العربي

تخصص : حضارة عربية إسلامية

مذكرة تخرج مقدمة لنيل شهادة الماستير

الموسومة بـ:

# نظام السياسي الإسلامي في العصر العباسي الأول الخلافة والوزارة "نموذجا"


إعداد الطالبتين:

بن غوتي رتيبة

بن عودة أمينة

تحت إشراف:

أ.د. عبد الجليل مرتاض


السنة الجامعية: 2012/2011


جامعة أبو بكر بلقايد تلمسان

كلية الآداب واللغات

2013

Fac/L/TOU085

TAS-200-25
01

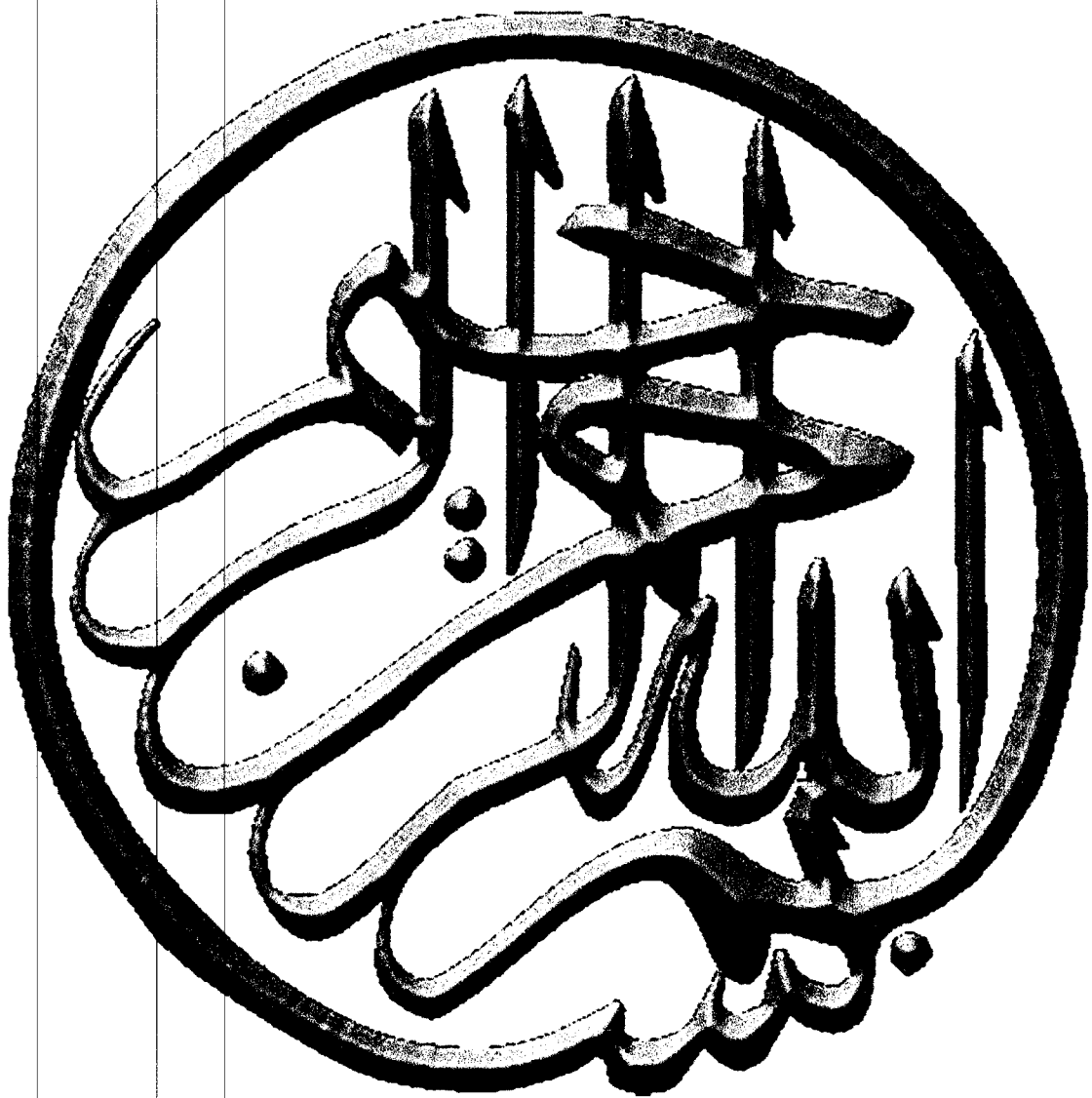

قال الله تعالى
( قال ربّ اشرح لي صدر 25
و يسر لي أمري 26 واحلل عقدة من
لساني 27 يفقه قولي 28 ) .
صدق الله العظيم

# إهداء

الحمد لله الذي أنار درب المعرفة وأعاننا على أداء المعرفة وأعاننا على أداء هذا الواجب ووفقنا إلى إنجاز هذا العمل

إلى من جرع الكأس فارغاً ليسقيني قطرة حبإلى من كلّت أنامله ليقدم لنا لحظة سعادةو

إلى من حصد الأشواك عن دربي ليمهدلي طريق العلمإلى القلب الكبير

الذي كان سندا لي ذلك الذي رباني فوفر على المربين الطريق وأخلص لي فكان نعم الرفيق أرجوا من الله أن يمد في عمره ليرى ثماراً قد حان قطافها**والدي الحبيب**.

إلى من أرضعتنيالحب والحنانإلى رمز الحب وبلسم الشفاءإلى القلب الناصع بالبياض

إلى حبي الأول والأزل الذي لا ولن يضاهيه آخر ولن يوفى حقها إلا اسمها ثلاث: أمي، أمي**أمي الحبيبة**.

إلى سندي و قوتي و ملاذي بعد الله إلى من آثروني على نفسهم إلى من علموني علم الحياة إلى من أظهروا لي ما هو أجمل من الحياة أخواتي وأخي

**ستي، حليمة، نعيمة،طاهر**.

إلى من بها أكبر وعليها أعتمد إلى من بوجودها أكتسب قوة ومحبة لا حدود لها أختي:

**بختة وزوجها بشير**.

إلى من قاسمتني الجهد لإنجاز هذا العمل وكانت الأخت لي:

**صديقتي رتيبة**

إلى الأخوات اللواتي لم تلدهن أمي .. إلى من تحلو بالإخاء وتميزوا بالوفاء والعطاء

**صديقاتي بسمارة، أمينة، خيرة، سلمى، سعدية**.

إلى من آنسني دراستي وشاركني همومي تذكاراً وتقديراً الصديق و الأخ:

**عبد الحق**

# إهداء

بدأنا بأكثر من يد وقاسينا أكثر من هم وعانينا الكثير من الصعوبات وهانحن اليوم والحمد لله

نطوي سهر الليالي وتعب الأيام وخلاصة مشوارنا بين دفتي هذا العمل المتواضع

إلى منارة العلم والإمام المصطفي

إلى الأمي الذي علم المتعلمين إلى سيد الخلق إلى رسولنا الكريم سيدنا **محمد صلى الله عليه وسلم.**

إلى الينبوع الذي لا يمل العطاءإلى من حاكت سعادتي بخيوط منسوجة من قلبها إلي من سعيت وشقت لأنعم بالراحةوالهناء التي لم تبخل بشيء من أجل دفعي في طريق النجاح التي علمتني أن أرتقي سلم الحياةبحكمة وصبر .إلى**والدتي العزيزة**

إلى أخي ورفيق دربي وهذه الحياة بدون كلا شيء معك أكون أنا وبدونك أكون مثل أي شيء.. في نهاية مشواري أريد أن أشكر على مواقفك النبيلة إلى من تطلعت لنجاحي بنظرات الأمل **أخي**

إلى خالاتي اللاتي **ربيعة** و **كريمة** و أخوالي **محمد** و **لخضر** و زوجة خالي **وهيبة** كل أولادهم وخاصة الملاكين **محمد** و **مريم.**

إلى من سرنا سوياً ونحن نشق الطريق معاً نحو النجاح والإبداع إلى من صافحتنا يداً بيد ونحن نقطف زهرة وتعلمنا إلى صديقتي و أختي**أمينة.**

إلى شهداء حادثة حريق الإقامة الجامعية"**بختي عبد المجيد**" أدخلهم الله فسيح جنانه و أسكنهم أرفع درجاته..

إلى أعزّ صديقاتي **حنان** و **حنان** و **حياة** و **صارة** و**أمينة.**

و إلى كل من أمدنا بيد المساعدة و كل من أسمعنا كلمة طيبة نبعها الأمل و الود

إليك يا أغلى ملاكي **بدر الدين.**

## شكر و عرفان

لا بدّ لنا و نحن نخطو خطواتنا الأخيرة في الحياة الجامعية من وقفة تعود بنا إلى أعوام قضيناها في رحاب الجامعة مع أساتذتنا الكرام الذين قدموا لنا الكثير، باذلين بذلك جهودا كبيرة في بناء جيل الغد لتبعث الأمة من جديد.

وقبل لأن نمضي قدما، نهدي أسمى آيات الشكر و الامتنان و التقدير و المحبة

إلى الذين حملوا أقدس رسالة في الحياة.

إلى الذين مهدوا لنا طريق العلم و المعرفة.

إلى جميع أساتذتنا الأفاضل.

"كن عالما فإن لم تستطع، فكن متعلما، فإن تستطع فأحب العلماء، فإن لم تستطع فلا تبغضهم ".

وأخص بالشكر و التقدير:

الأستاذ الدكتور: **عبد الجليل مرتاض.**

الذي نقول له بشراك قول الرسول صلى الله عليه و سلم:

(إنّ الحوت في البحر، و الطير في السماء، ليصلون على معلم الناس خيرا).

# مقدمة

تميز نظام الحكم في الإسلام عن غيره من الأنظمة القائمة منذ تأسيس الدّولة الإسلامية، فقد كان النظام السياسي الذي أرساه النبي الكريم في دولة الإسلام مغايرا للنموذج القبلي السائد في الجزيرة العربية، و كذلك مباينا للنموذج الإمبراطوري السائد في بلاد فارس و الروم سواء من حيث الشكل أو المضمون، ما يعني أن الإسلام قد أتى بنظام فريد في الحكم من غير تأثر بما هو قائم كما تميز نظام الحكم في الإسلام بإنشائه إلى الشّرع الذي يسود كافة أرجاء المجتمع و الدولة في وحدة سياسية تصوغ الأمة على اعتبارها جماعة واحدة تبايع خليفة واحد على الحكم بكتاب الله وسنة نبيّه.

فلإسلام دين دولة؛ و الحكومة فيه ليست كما يزعم البعض حكومة دينية أو حكومة مطلقة أو حكومة فلاسفة، و إنما حكومة راشدة و رشيدة قائمة على قواعد الكتاب و السّنة.

**أهمية الموضوع وسبب اختيارنا له:**

لا شك أن دراسة النظام السياسي الإسلامي في العصر العباسي الأول موضوع جدير بالبحث لما له من أهمية تاريخية وحضارية؛ باعتبار ذلك التّحول السيّاسي والتاريخي الذي عرفته البلدان الإسلامية بعد تأسيس الدّولة العباسية .

فهذا التحوّل السياسي الذي عرفه المشرق الإسلامي بعد سطوة بنو العباس على الحكم، كان فترة معقدّة لا تخلُ من الاضطرابات، والنزاعات، و شراسة الرجال، ودهاء الخلفاء، و حركة الأمراء والخلفاء .

إنّ لكل باحث دافع أو دوافع تدفعه لاختيار موضوع بحثه، فمن الأسباب التي أدّت بنا لاختيار موضوعنا هذا هو محاولتنا تحقيق بعض الأهداف الّتي من بينها:

- بحكم الأوضاع السياسية السائدة اليوم في البلدان العربية، محاولتنا التعريف بقضايا التاريخ الإسلامي.
- دعوة الشعوب العربية التقيد بأسس ومعالم النظام السياسي الإسلامي.
- توضيح خصائص التاريخ الإسلامي و ميزاته.

- بلورة مفهوم الشورى و الجهاد، وتحرير الإنسان والعدل من خلال أحداث التاريخ.

- إبراز الدّور العالمي الّذي احتله المسلمون.

- بلورة مفهوم الحضارة العربية الإسلامية و مدى تفوقها غبر العصور.

**إشكاليات الموضوع:**

من أهم إشكاليات التي بنينا عليها دراستنا هته كالتالي:

- ألم يتغلّب الصحابة على أل مشكلة واجهتهم يوم وفاة الرّسول صلى الله عليه وسلم، حين اجتمعوا في مؤتمر السقيفة واختاروا نظاما للحكم لم يرّد فيه نص مباشر، ولكنه لا يخالف تعاليم الدّين ؟

- كيف كان تصرّف الخلفاء في أول عقبة واجهتهم بعد وفاة الرّسول صلى الله عليه وسلم ؟.

- ما هي المعالم الّتي بنا الصحابة الكرام النظام السياسي الإسلامي عليها آنذاك ؟

- هل سار العبّاسيون على نهج الأمويين في تعيين الخليفة؟ وما هي أهم الأوضاع الدّاخلية والخارجية التي واجهتهم ؟.

ما هو النظام الذّي رسّخت معالمه في هذا العصر؟ ومن هم أهمّ من تقلّدوا هذا المنصب؟ وما هي صلاحيّاتهم؟

وللإجابة عن هذه التساؤلات اتبعنا خطّة مكونة من مقدمة و مدخل فثلاثة فصول فخاتمة،مهّدنا للموضوع بلمحة وجيزة عن ظروف قيام الدولة العباسية،و مكان انتشارها الرئيسي الذي اختاره العباسيون، بالإضافة إلى أهمّ الأسباب التي ساعدت على قيام الدولة العباسية، وتناولنا في الفصل الأوّل النظام السياسي في الإسلام، فكان المبحث الأول خاصّ بمفهوم السياسة لغة و اصطلاحا، من خلال إدراج بعض آراء العلماء والمفكرين الذين حاولوا تعريف السياسة مع اختلاف في وجهات نظرهم، كلّ حسب رؤيته لها،وتعرّضنا في المبحث الثاني إلى النظام السياسي في الإسلام، الذي أرسى معالمه و أسّسه نبيّنا الحبيب عليه أزكى الصلاة و أرفع التسليم، أمّا المبحث

الثالث فقد حاولنا أن نبرز فيه أهم معالم النظام السياسي في الإسلام، وهي تسعة تدور كلّها حول الخلافة وضرورتها و كيفية طلبها و الترّشح لها.

وفيما يخصّ الفصل الثاني فكان حول الخلافة العباسية في عصرها الأول، حيث أن المبحث الأول كان حول تعريف الخلافة، الخليفة واجباته و الشروط التي تؤهله أن يتقلّد هذا المنصب، و المبحث الثاني خصصناه لولاية العهد التي استمرت وراثية في العصر العباسي الأول، كما كانت عليه في العصر الأموي،و المبحث الثالث ذكرنا فيه خلفاء العصر العباسي الأوّل( نسبهم، بيعتهم، أهم الأوضاع الداخلية و الخارجية في عصر كل منهم،وفاتهم و ولايتهم للعهد )

أما النظام الثاني الذي تناولناه في هذه الدراسة وهو الوزارة، فقد جعلناه في الفصل الثالث بعنوان الوزارة في العصر العباسي الأول،و أدرجنا خلاله ثلاثة مباحث مرتبة كالتالي، الأول عرفنا فيه الوزارة و عددنا أنواعها،و كذلك الوزير وصفاته، والثاني تتبعنا نشأتها إلى غاية اعتلاء العباسيون عرش الخلافة حيث أصبحت الوزارة أهم منصب في الدولة، أما الثالث ذكرنا فيه أهم الوزراء الذين استوزرهم خلفاء بنو العباس،إضافة إلى جملة من إنجازاتهم.

الخاتمة: بينا فيها أهم ما وصلنا إليه من استنتاجات عامة حول موضوع البحث.

**المنهج المتّبع:**

إن هذا النوع من الدراسة يحتاج إلى المنهج التاريخي الوصفي التحليلي الإستنتاجي، الذي يعتمد على الدراسة و التحليل و المقارنة بين المصادر التي تشمل بموجبها الدولة العباسية، ولعل ذلك لا يتم إلا بالوقوف على بعض المصادر القديمة المتعلّقة بالموضوع، من كتب التاريخ الطبقات و التراجم وغيرها، مقتبسين منها المادّة اللازمة إلى جانب الدراسات الحديثة التي حاول مؤلّفوها إبراز تاريخ الدولة العباسية ومدى تطورها و سيطرتها.

**صعوبات البحث:**

حسب السنوات الهجرية تعنى كل فترة زمنية بأخبار معاصريها و الأحداث التي ميزتها يبدأ من سنة 20هـ وينتهي 628هـ .

- جلال الدين السيوطي (ت 911هـ /1505م) بمؤلفه "تاريخ الخلفاء " ترجم فيه الخلفاء و أمراء المؤمنين القائمين بأمر الأمةّ من عهد أبي بكر الصديق رضي الله عنه إلى عهد المؤلف على ترتيب زمانهم الأول فالأول وذكر في ترجمة كل واحد منهم ما وقع في أيامهم من الحوادث المستغربة و من كان في أيامه من أئمة الدين و أعلام الأمة.

- محمد بن علي بن طباطبا الطقطقي (ت 709هـ /1309م) صاحب كتاب "الفخري في الآداب السلطانية والدول الإسلامية" يشمل هذا المصدر على طرائف حكم وبدائع سير، مع ما فيه من فنون البلاغة و أنواع الفصاحة فهو أجمل الكتب المصنفة لهذا الفن.

وفي الختام لا يسعنا إلا أن نوجه أسمى الشكر، والعرفان، والتقدير إلى كل من أشعل شمعة في دروب عملنا و إلى من وقف على المنابر وأعطى من حصيلة فكره لينير دربنا سواء من قريب أو من بعيد ، ونتوجه بالشكر الجزيل للأستاذ المشرف **الدكتور عبد الجليل مرتاض** الذي تفضل بإشراف على هذا البحث، لما قدمه لنا من إرشادات سديدة و ملاحظات دقيقة عبر أحاديثه الشفوية أو تعليقاته الكتابية ، فجزاه الله خير الجزاء وجعلها في ميزان حسناته إنشاء الله .

و أخيرا لا بدّ من الاعتراف بأنّ الخوض في مثل هذه الموضوعات الصعبة لا يسلم من النقص، وبالتالي سيكون لجلسة المناقشة دور في تصويب ما فاتنا لتحقيق الفائدة المرجوة لكي يكون البحث في أجمل صورة، ولا يسعنا في هذا المقام إلاّ أن نتوجه مسبقا بالشكر والامتنان الجزيل للجنة المناقشة الموقرة على جهدهم و صبرهم لقراءة و تقويم الرّسالة.

لقد اعترضنا بعض الصعوبات في إنجاز هذا البحث و ذلك سمة من سمات البحث التاريخي، تتمثل في مشكل الاتصال بكل المصادر التاريخية التي تناولت تاريخ الدولة العباسية،فاستجلاء الحقيقة التاريخية غالبا ما يتطلّب الحيطة و التثبت في استقاء المعلومات من المصادر التاريخية، و تمحيصها بناء على الاستقراء و التحليل و المقارنة، لاسيما فيما يتعلق بتاريخ الدولة العباسية في مختلف العصور التي مرّت بها، لأنّ كتابة بعض المؤرّخين تطغى عليها النزعة المذهبية فتحيد عن الموضوعية، لا بل إنّها تميل إلى المبالغة في غالب الأحيان، و هو ما يجعل الحقيقة التاريخية من الصعوبة بمكان.

**أهم المصادر المعتمد عليها في بحثنا هذا:**

اعتمدنا في هذا البحث على مجموعة من المضامين وقد تفاوت في قيمتها التاريخية من حيث أنّ بعضها لها علاقة مباشرة بموضوع البحث وكذلك من حيث قربها الزمني من الأحداث، وأهم هذه المصادر بالإضافة إلى كتب الرّحالة من أمثال:

ـ ياقوت الحموي (ت 626هـ /1229م) الذي اشتهر بكتاب "معجم البلدان " و هو عن موسوعة شهيرة كتبها صاحبها بين أعوام 1220م و1223م، أي لأنه أنهى كتابتها قبل سنة من وفاته، و يعد معجم البلدان مصدرا تاريخيا هاما لوصف تلك الحقبة، يحتوي على وصف بلدان و دول عديدة خلال تلك الفترة بأسلوب عربي.

ـ الطبري (ت 310هـ /922م) صاحب كتاب "تاريخ الرسل و الملوك" الذي يعتبر المصدر الأول في التاريخ الإسلامي و قد صنفه على الحوادث، وهو أوسع كتب التاريخ في صدر الإسلام في قسميه القديم والإسلامي، ذكر فيه الحوادث مفصلة و الفتوحات مبينة لا مجملة، وأخبار الأنبياء والمتقدمين والملوك الماضين،و الطوائف السالفة والقرون الماضية بالطرق المتنوعة، الأسانيد المتعددة.

ـ ابن الأثير (ت 630هـ /1231م) الذي عرف بمؤلفه "الكامل في التاريخ" يصنّف ضمن المصادر التاريخية العامة، تناول تاريخ المشرق الإسلامي متابعا التسلسل الكرونولوجي للأحداث التاريخية اعتمدنا على أجزاءه التسعة مقسمة

# مدخل

1- الدعوة العباسية:

مع مطلع الدعوة العباسية وقفت في مواجهتها قوتين كان لا بد من التعامل معهما كل حسب نظرته للخلافة والحق في أولهما: الأمويين، وثانيهما : العلويين. فالأمويين هم أصحاب الدولة والسلطان على مدى مائة عام تقريبا، ووجب على العباسيين نشر دعوتهم للخلافة بطريقة الجماعات السرية من الأنصار والبلاد.

ويبدأ عصر الدعوة في مستهل القرن الأول للهجرة [1] وينتهي بانضمام أبي مسلم الخرساني إلى الدعوة، التي كانت في هذا الطور، سرية خالية من أساليب العنف والشدة. في الوقت الذي كانت فيه الخلافة متماسكة[2]. ويبدأ الدور الثاني بانضمام أبي مسلم الخرساني إلى الدعوة العباسية وهنا دخل النزاع بين الأمويين والعباسيين في دور العمل وهو دور الحروب التي انتهت بزوال الدولة الأموية.

ولقد كانت دعوة بني العباس موجهة إلى عرب خرسان حيث تحتم عليهم كسب العرب إلى الدعوة دون تفضيل بينهم مع انضمام بعض الموالي الذين كان دورهم أقل من دور عرب خرسان.

كل الظروف التي كانت محيطة بخرسان ساعدت قيام الثورة وخصوصا حرمانهم من الامتيازات التي يتمتع بها المقاتلة من العرب كما أن الموالين استاءوا من سطوة "الدهاقين" * ونفوذهم.

---

[1] ينظر، حسن ابراهيم حسن، تاريخ الاسلام السياسي و الديني و الاجتماعي و الثقافي العصر العباسي الأول في الشرق ومصر والمغرب و الأندلس ،مكتبة النهضة المصرية القاهرة ،ج2،د.ط،1430هـ/2009م،ص16.

[2] ينظر، محمد الخضري بك، محاضرات في تاريخ الأمم (الدولة العباسية )،مؤسسة المختار القاهرة ،ط1، 1424هـ/2003م،ص16.

* الدهاقين: هم ملاك الأراضي من الفرس الذين أسند اليهم الأمويين المناصب الادارية الهامة و استأثروا بجباية الخراج فتمتعوا بنفوذ كبير وأطلق عليهم اسم العلوج.

إن لهذا التذمر عدة أسباب من بينها:

1- سياسة التعمير كما شرحها الدكتور فاروق عمـر فوزي في كتابه الخلافة العباسية وهي ابقاء المقاتلة في ثغور على خطوط المواجهة شتاء في الوقت الذي يرغب المقاتلة في قضاء الشتاء مع عوائلهم.

2- كان الوالي الأموي يسلبهم حصتهم من الفيء والغنيمة أحيانا أو يأخذ أكثر من حقه منها أحيانا أخرى.

3- سئمت القبائل من النزاع المستمر بين شيوخ والرؤساء الطموحين للوصول إلى السلطة حيث خلق هذا بين قبائل خرسان نوعا من القلق لدى اليمني والمضري والربعي الذين وجدوا في الدعوة العباسية أملا جديدا لحياة أكثر استقرار ويسرا[1].

لقد انتشر الدعاة العباسيون في مواطن استقرار العرب في الكوفة مهد التشيع لأهل البيتا منذ زمن طويل ولأن أهل خرسان يفهمون فكرة التشيع بسهولة وقد وصف الإمام محمد بن علي العباسي الأهواء والميول التي كانت سائدة بين أهالي الولايات الإسلامية في هذه العبارة " أما الكوفة وسواها فشيعة علي، وأما البصرة فعثمانية تدين بالحق، وأما الجزيرة فحرورية *وأعراب كالأعلاج *ومسلمون في أخلاق النصارى، وأما أهل الشام فلا يعرفون غير معاوية وطاعة بني أمية وعداوة راسخة وجهل وتراكم، وأما مكة والمدينة فقد غلب عليهم أبو بكر وعمر،" ولكن عليكم بخرسان فإن هناك العدد الكثير والجلد الظاهر، وهناك صدور سليمة وقلوب فارغة، لم تسعها الأهواء، ولم يتوزعها النحل، ولم يقدح فيها الفساد،

---

[1] ينظر، فاروق عمر فوزي، الخلافة العباسية عصر القوة و الازدهار، دار الشروق عمان الأردن ،ج1،ط1،الاصدار الأول ،1998م،ص 15-16 .

* حرورية: لفظ مشتق من حروراء وهي قرية بظاهرة الكوفة تبعد عنها بميلين ،نزل بها الخوارج الذين اعتزلوا علي بن أبي طالب فنسبوا اليها.

* الأعلاج: جمع العلج و هو حمار الوحش .

وهم جند لهم أبدان وأجسام ومناكب وكواهل، وهامات وشوارب وأصوات هائلة، ولغات فخمة تخرج من أجسام منكرة، وبعد فإني أتطلع إلى المشرق وإلى مطلع سراج الدنيا ومصباح الخلق"[1].

ليس من السهل التعرف على الدوافع التي دفعت الإمام محمد بن علي العباسي إلى اختيار خرسان ولكن القول بأنها كانت موطن المقاتلة العرب الذين أنهكتهم الحرب الطويلة مع تركستان وفي السند والذين عبروا مرارا على تدمرهم من سياسة الأمويين الجائرة في حقهم وكما هو معروف بأن خلفاء بني أمية منذ عهد عبد الملك بن مروان (685م – 705م) عاشوا القلق وعدم الاستقرار السائد هناك ويعبر كتاب أخبار العباس[2] عن أهمية الخرسانية فيقول: "في خرسان جمجمة العرب وفرسانها".

نهض محمد بن علي العباسي بالدعوة السرية نهضة قوية ومحكمة فقد عين النقباء الذين شكلوا مجلس الشورى تحت رئاسة سليمان بن كثير الخزاعي[3] شيخ النقباء والقائم بأمر خرسان أما النقباء فهم اثنا عشر نقيبا:

- من خزاعة: سليمان بن كثير الخزاعي، مالك بن الهيثم الخزاعي، زياد بن صالح الخزاعي، طلحة بن رزيق الخزاعي.
- من تميم: موسى بن كعب التميمي، عيسى بن كعب التميمي، لاهز بن قريظة التميمي، القاسم بن مجاشع التميمي.
- من طيء: قحطبة بن شبيب الطائي.
- من شيبان: خالد بن ابراهيم الذهلي الشيباني.
- من بجيلة: أسلم بن سالم البجلي.

---

[1] المقدسي، أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم، ج1،د.ط،د.ت،ص293-294،وينظر،محمد الخضري بك، محاضرات في تاريخ الأمم الاسلامية، المرجع نفسه، ص17.

[2] ينظر، فاروق عمر فوزي، المرجع نفسه،ص18.

[3] ينظر، عبد المنعم الهاشمي، الخلافة العباسية، دار ابن الحزم، بيروت لبنان،د.ط،1424هـ/2006م، ص24.

- من حنيفة: مولى بني حنيفة شبل بن طهمان [1].

وقد تم اختيار الأعداد على نحو الرجال السبعين الذين اختارهم موسى من قومه والنقباء الاثني عشر لهم، ونحو الرجال السبعين من الأوس والخزرج الذين وافوا الرسول صلى الله عليه وسلم ليلة العقبة من أهل المدينة، فتأثر العباسيون من تنظيم دعوتهم بالناخبتين معا:" فإن سنتكم سنة بني اسرائيل وسنة النبي"[2] كما قال محمد بن علي في كتابه إليهم.

ولقد أوصاهم بأن يتظاهروا بنشرها لآل البيت سكينا للعلويين[3] كما استغل الدعاة العباسيون فكرة النبوءات والملاحم الشعبية المنتشرة بين الناس فأشاعوا أحاديث تقول بأن الخلافة كائنة في أحفاد العباس عم الرسول صلى الله عليه وسلم وإنها ستبقى في أيديهم إلى يوم القيامة وادعوا بأن هناك علامات مخبرات عن ظهور بن الحارثية صاحب الرايات السود [4]التي ستظهر في المشرق وأنها منتصرة لا محالة.

وبعد وفاة محمد بن علي العباسي سنة 125هـ/ 742م [5] تسلم إبراهيم الإمام القيادة، حيث ساءت الحالة في خرسان، وانقسم العرب فيها إلى قسمين: يقود أحدهما نصر بن سيار والي خرسان، ويقود الثانية جديع بن علي الأزدي الكرماني. أدرك الدعاة العباسيون بأن ظرف الثورة قد اختمرت وأن الوقت قد حان لإعلانها فطلب سليمان الخزاعي من الإمام أن يرسل من يمثله في خرسان فرفض، والظاهر أنه كان يرغب أن تقوم شخصيته هامشية أو عباسية بتمثيل الإمام في خرسان وبعد أن فشل ابراهيم الإمام في إقناع عدد من الرجال قرر اختيار مولاه أبا مسلم الخرساني لينوب عنه.

---

[1] ينظر، الطبري، تاريخ الرسل و الملوك، تحقيق محمد أبو الفضل ابراهيم، ج2، ط6،د.ت،ص 1988،وينظر، عيسى الحسن، الدولة العباسية تكامل البناء الحضاري، الأهلية للنشر و التوزيع، عمان الأردن ط1، 2009،ص13، وينظر، أحمد اسماعيل الجبوري، تاريخ الدولة العباسية (العصر العباسي الأول )(132-247هـ/ 749-861م)،دار الفكر ناشرون و موزعون، عمان الأردن، ط1، 1431هـ/2010م، ص29-30.

[2] ينظر، عبد المنعم الهاشمي، المرجع نفسه، ص25.

[3] ينظر، حسن ابراهيم حسن، تاريخ، المرجع السابق، ص16.

[4] ينظر، فاروق عمر فوزي، المرجع نفسه،ص19.

[5] المرجع نفسه،ص19.

في حين أن هذا الأخير لعب دورا هاما في الحركة العباسية حيث أصبح شخصية أسطورية نسجت حولها الروايات المختلفة، وقد بالغت بعض روايات الطبري والدينوري وحمزة الأصفهاني بدور أبي مسلم وأظهرته بمظهر المحرك للسياسة العباسية. ولقد اتخذ من طرف المتذمرين في بلاد فارس رمزا لثورتهم معتبرين إياه منفذا منتظرا ليحقق لهم آمالهم بأن يملأ الأرض عد لا بعد أن ملئت جورا، إلا أن النقباء الاثني عشر ويساعد في ذلك الدعاة.

وحين أرسل إبراهيم الإمام أبا خرسان أوصاه بوصية اختلاف في نصها المؤرخون، وقد جاءت في رواية الطبري كالآتي:

" يا عبد الرحمان إنك رجل من أهل البيت احفظ وصيتي، أنظر إلى هذا الحي من اليمن فالزمهم واسكن بين اظهرهم فإن الله لا يتم هذا الأمر إلا بهم وأنهم ربيعة في أمرهم وأما مصر فإنهم العدو والقريب الدار. واقتل من شككت فيه وإن استطعت ألا تبقي بخرسان من يتكلم العربية فافعل وأيما علام خمسة أشبار تتهمه فاقتله ولا تخالف هذا الشيخ "سليمان الخزاعي" ولا تعصه وإن شكل عليك أمر فاكتف به مني"[1].

لقد تتابعت الأحداث بين أخذ ورد واستطاعت الدعوة كسب قبائل الأزد اليمنية وأتباعها الذين كان بينهم من ربيعة ومصر كذلك إلى صفوف الثورة.

وكان هذا المكسب مهمّا جدا لأنّه كان يعني انضمام عدد كبير من العرب إلى الدّعوة وبهذه القوة كانت نصرتها على أنصار الامويين في خرسان[2].

إن العنصر المحرك للدعوة العباسية كان العرب الخرسانية الذين كونوا أغلبية أنصار العباسية يساعده في ذلك الموالي على أننا لاحظنا بأن الموالي لم يكن لهم دور كبير بحيث لا يمكن مقارنته بدور العرب.

---

[1] الطبري، المصدر نفسه،ص1927.

[2] ينظر، فاروق عمر فوزي، المرجع نفسه، ص24.

أ- ميل الموالي إلى بني هاشم: لقد اشتركت الموالي في أحداث الثورّة فلقد حارب الفرس كموال تابعين لقبائل عربية، لأنّ نفوسهم كانت تواقة إلى التخلّص من حكم الأمويين لما ارتكبوه في حقهم من ظلم وعنف وقمع ثروات العلويين، ومالوا إلى نصرة هاشم ولا سيما بعد مقتل زيد بن علي وابنه يحيى. فإن هؤلاء الموالي إذا استثنينا طبقة الدّهاقين.

أما القبائل العربية الأخرى فقد لعبت دورا فعالا في مساعدة جيش قحطبة الطائي المتقدم للسيطرة على المدن بلاد فارس ومدن العراق[1].

لقد حقق قحطبة الطائي والقوات العباسية نصرا جديدا في جرجان في ذي الحجة 130هـ لكن أهل جرجان الفرس قاوموا جيش قحطبة مما اضطره إلى الدخول إلى المدينة بالقوة، ثم واصل سيره إلى الرّي ففتحها على المعركة المهمة والتي كانت الفصل بين الطرفين وقعت في قرية جابل قرب اصفهان بين الجيش الأموي بقيادة عامر صبارة والجيش العباسي بقيادة قحطبة الطائي.

وفي حركة سريعة أصبحت القوات العباسية داخل العراق وقد نجح أبو سلمة الخلال رئيس دعاة العباسيين بالعراق في خلق حالة من الفوضى داخل العراق لزعزعة السيطرة الأموية فحرص العديد من رجال القبائل على التمرد ضد الأمويين في الكوفة والبصرة والموصل وغيرها.

ب- زوال الحكم الأموي: في أثناء وقوع هذه الحوادث مات الإمام محمد بن على العباسي سنة 125هـ وكانت الدعوة العباسية قد قطعت شوطا. وقد أوصى محمد بالإمامة من بعده لابنه إبراهيم. وفي عهده دخل النزاع بين

[1] ينظر حسن ابراهيم حسن، تاريخ، المرجع السابق،ص7.

الأمويين والعباسيين طورا جديدا، هو طور العمل وهو ما يمكن أن نطلق عليه العصر الثاني للدعوة العباسية ويبتدأ من سنة 127هـ.[1]

يرجع فضل قيام الدولة العباسية إلى أبو مسلم الخراساني الشاب الشجاع بقضائه على سلطان الأمويين، حيث ساعده الاضطرابات التي انتشرت في خراسان في ذلك الحين على تحقيق سياسته.

يذكر أستاذ للغة العربية من جامعة الأزهر الأسباب التي أدت إلى زوال الحكم الأموي يقول:(كان شأن الدولة الأموية أنها حكمت الناس بالسيف المسلول، والمال المبذول، فكان سيفها مسلطا على أعدائها ومالها متدفقا في أيدي أنصارها؛ واستمرت في حكمها زهاء قرن لم تغمد السيف يوما....وقد جهروا بالعداوة فلم ينفعهم الجهر، ومزقتهم سيوف الدولة شر ممزق. وكان أولاد عمهم والعباسيون لا ينازعوهم ولا يرون مزاحمتهم على الخلافة، كما لم يكن العباس ينازع عليا، ولا يرى نفسه أحق بالأمر منه...ولكن حدث ما جعل الأمر ينتقل إلى العباسيين بعد أن سالت دماء العلويين دهرا طويلا....)[2].

وسبب آخر هو ما كان يضمره الموالي الأمويين من حقد لكثرة ما والت عليهم من تحقير، وما ألحقت بهم من مهانة، وما كان ابتزازها لأموالهم ومخالفتها للعهود المعقودة لهم منذ فجر الإسلام في حياة الرسول صلى الله عليه وسلم والخلفاء الراشدين من بعده، فلم يسوّوهم بالمسلمين وإن سلموا، ومنعوا زواج المسلم منهم بالعربية. وإلى جانب هذا كان الفرس يترقبون الفرص ليسترجعوا ملكهم. وسبب آخر هام هو العصبية التي كانت تسكن روح بني أمية طوال أيام ملكهم تلك العصبية التي كانت أسباب القضاء على دولتهم[3]. ففي عهد هشام بن عبد الملك اشتعلت نيران العصبية بين القبائل العربية في خراسان في عهد ولاية أسد عبد الله القسري كان يمانيا ضلعه من اليمانيين، ثم ولي هذه البلاد نصر بن سيار وكان مضريا وكانت الحرب بين نصر بن سيار والي خراسان، وجديع بن شبيب المعروف بالكرماني زعيم اليمانية الذين

---

[1] ينظر، حسن ابراهيم حسن، المرجع نفسه،ص18.

[2] أبو الخشب ابراهيم علي، تاريخ الأدب العربي، الهيئة المصرية العامة، مصر،ط4، 1992، ص24.

[3] ينظر، حسين الحاج حسين، حضارة العرب في العصر العباسي الأول، مؤسسة الجامعية للدراسات و النشر و التوزيع ، ط1، 1414هـ/1994م، ص47.

تمت الغلبة لهم وطردوا والي خراسان. وناصروا الدولة العباسية بعد انضمام أبي مسلم إليها الذي استطاع بحسن دهائه أن يضرب كل فريق بالآخر، مستفيدا من ذلك الانقسام الذي فرق كلمة العرب في خراسان.

ظل أمر العباسيين سرا لا يعلمه إلا النقباء من شيعتهم، حتى وقع في يد مروان بن محمد آخر خلفاء بني أمية كتاب إبراهيم الإمام إلى أبي مسلم يأمره فيه بقتل كل من يتكلم العربية بخراسان، فسجن إثر ذلك إبراهيم وقتل في حران، وولّى بعده أخاه أبا العباس عبد الله بن محمد الذي توجه إلى الكوفة بوصية من أخيه إبراهيم فحلّت الهزيمة بيزيد بن عمر بن هبيرة قائد الأمويين بظاهرة الكوفة، وسار إلى واسط مرغما فجاء أبو سلمة ونزل بجنده بالكوفة في أوائل 132هـ دون مقاومة وفي أواخر هذه السنة خفق العلم الأسود شعار العباسيين فوق حصون دمشق، ولما آلت الخلافة إلى أبي عباس عهد الى عمه عبد الله بن علي بقتال مروان بن محمد.

وقد صور المسعودي في كتابه مروج الذهب الأسباب التي ساعدت على زوال ملك بني أمية فقال: ( سئل شيوخ بني أمية ومحصّليها عقب زوال الملك عنهم إلى بني العباس: ما سبب زوال ملككم؟ قال إنا شغلنا بلذاتنا عن تفقد ما كان تفقده يلزمنا، فظلمنا رعيتنا فيئسوا من انصافنا وتمنوا الراحة منا، وتحومل على أهل خراجنا فتخلوا عنا وخرجت ضياعنا فخلت بيوت أموالنا، ووثقنا بوزرائنا فآثروا موافقتهم على منافعنا وأمضوا أمورا دوننا أخفوا علمهم عنا، وتأخر عطاء جندنا فزالت طاعتهم لنا، واستدعاهم أعادينا فتظاهروا معهم على حربنا، وطلبنا أعداؤنا فعجز ناعنهم لقلة أنصارنا، وكان استتار الأخبار عنا من أوكد أسباب زوال ملكنا)[1].

من هذا القول نستنتج أن المسعودي يوضح لنا من خلاله أسباب زوال حكم بني أمية الذين غفلوا عن تفقد ملكهم والانتباه إلى كل صغيرة وكبيرة تضر بهم وبشعبهم، فظلموا وأجاروا رعيتهم فغاب الأمن والأمان وكثر الظلم والهوان، فضعفت عزيمتهم وأحطت كلمتهم ولم تعد مسموعة من قبل الناس الذين سئموا من تلك العيشة الغير هنيئة وفقد الأمل في عودة السلم والعدل بينهم، التهوا بالترف حتى خلوّ خزائنهم، إضافة إلى تحايل الوزراء على أمراء بني أمية فقاموا بأعمال

[1] المسعودي، مروج الذهب و معادن الجوهر، شرح و ضبط عفيف نايف خاطوم، دار صادر بيروت، ج2، ط1، 1426هـ/ 2005م، ص194.

خفية عنهم مستخدمين نفوذ الأمويين؛ وتأخروا عن دفع أجور الجند فعصوهم وثاروا عليهم رفقة أعدائهم، فكثرت المؤامرات المدبرة والمكائن المخبئة فكانت هذه أسباب زوال حكمهم

### ثورة الحركة

على الرغم من الازدهار الاقتصادي والعسكري والسياسي الذي عرفته الدولة الأموية في بعض عهودها، فإنها بدأت تتعب ويدب الوهن في عروقها منذ مطلع القرن الثاني للهجرة وتحديدا في أيام "مروان بن محمد" آخر الخلفاء الأمويين بلغ هذا الضعف ذروته فاغتنم الطالبون الفرصة، وتعاونوا مع أبناء عمهم "العباسيين" من أجل القضاء على الدولة الأموية، وإعادة الخلافة إلى بني هاشم. وقد تيسر هذه الحركة رجل قوي الشخصية عرف بالذكاء وحبه لسفك الدماء هو "أبو العباس السفاح"[1] وكان أول عمل يواجهه هو تصديه لمروان بن محمد[2]، حيث راح السفاح يبث الداعية في أنحاء البلاد ضد الأمويين، ولا سيما في العراق وفارس فجمع حوله كثيرا من المؤيدين وأضرموا نار الثورة[3]. في حين أن الخليفة الأموي كان قد تقدم من الشام إلى الجزيرة الفراتية وتخندق في موقع حصين قرب نهر الزابّ الكبير أحد فروع نهر دجلة ومعه أهل الشام والجزيرة الفراتية. وكان من أبرز المؤيدين للسفاح رجل قوي الشكيمة، عالي العزيمة متقن لفنون الحرب وخبر أسرار خوض المعارك، فارسي الأصل، هو " أبو مسلم الخراساني" حيث تزعّم جماعة من الفرس الناقمين على الحكم الأموي نقمة شديدة لما أبدى الأمويون من عصبية ضد الموالي جميعا. فجنّد من هؤلاء خمسة عشر ألف جندي من الجنود الأشداء وساربهم لمساعدة نصيرة السفاح. عين العباس عمه عبد الله بن علي لقيادة الجيش العباسي المتقدم لمجابهة الأمويين، وكانت القوتان متكافئتين في العدد حيث يقدر عدد كل منهما بنحو عشرون ألف مقاتل على أنهما لم يكونا بالانسجام والمعنويات نفسيهما، فقد عملت العصبية على زعزعة معنويات الجيش الأموي وعلى تفككه.

---

[1] حسين الحاج حسين، حضارة العرب في العصر العباسي، المرجع السابق، ص 8.

[2] ينظر، فاروق عمر فوزي، الخلافة العباسية، عصر القوة و الازدهار، المرجع السابق، ص34.

[3] ينظر، حسين الحاج حسين، المرجع نفسه،ص9.

ومن هنا بدأت المدن العراقية تسقط الواحدة تلوى الأخرى في أيدي العباسيين وكانت المعركة الكبرى عند نهر الزابّ التي استمرت عشرة أيام ارتكبت خلالها مروان بن محمد خطأ استراتيجيا بعبوره إلى الساحل الأيسر من نهر الزابّ الكبير وتركه موقعه الحصين، ولذلك خسر المعركة النهائية وانسحب باتجاه الموصل فالشام، حيث لم يستجب لمروان بن محمد كثير من قبائل الشام مما اضطره إلى الانسحاب مع انصاره باتجاه فلسطين ثم مصر.

لقد خسر الأمويون معركتهم الأخيرة وخلافتهم بسبب تخلي القبائل اليمانية وغيرها من أهل الشام، التي كانت دعامة الخلافة الأموية خلال عهدها الزاهر، وبمقتل آخر خليفة الأموي سقطت الخلافة الأموية واستسلمت البقية الباقية من المدن والقبائل العربية التي كانت لا تزال معتصمة بانتظار أخبار مروان.

ومن الأسئلة التي تتبادر إلى الذهن هو عن الأسباب التي دعت الفرس إلى هذه المغامرة والوقوف إلى جانب العباسيين هذه الوقفة الجبارة يمكننا الإجابة بما يلي:

1- سعيهم للمشاركة في الحكم والسلطة فالشريك له نصيبه من النصر.

2- شعور الفرس بالذل والإهانة من قبل بني أمية بسبب عصبيتهم العربية واحتقارهم للموالي.

3- حنين الفرس إلى أمجادهم السالفة وعهود السيطرة التي كانت لهم[1].

انجر عن هذه المساعدة نتائج خطيرة في سياسة الدولة العباسية، وفي تكوين المجتمع العباسي دون نسيان تعاون الطالبيين، مع العباسيين هذا التعاون لم يدم طويلا.

[1] ينظر، حسين الحاج حسين حضارة العرب في العصر العباسي، المرجع السابق، ص9.

# الفصل الأول

النظام السياسي في الإسلام:

المبحث الأول: مفهوم السياسة لغة واصطلاحا

المبحث الثاني: نشأة النظام السياسي في الإسلام

المبحث الثالث: معالم النظام السياسي في الإسلام

## المبحث الأول: مفهوم السياسة لغة واصطلاحا.

### 1- مفهوم السياسة لغة:

بتتبع السياسة في اللغة نجد أنها لا تخرج عن المعاني التالية: الولاية، والرئاسة، والقيادة، والأمر والنهي، والرعاية، وتدبير أمور الناس وإصلاحها، والقيام على الشيء بما يصلحه. بهذه المعاني كلها وردت كلمة السياسة، كما هو مبين في القواميس والمعاجم اللغوية والرئيسية. ويظهر ذلك في قول صاحب اللسان وغيره:

(السوس: الرياسة. يقال ساسوهم سوسا، وساس الأمر؛ سياسة: قام به.... وسست الرعية سياسة، وسوس الرجل أمور الناس...إذا ملك أمرهم. وفي الحديث: "كان بنوا اسرائيل يسوسهم أنبياؤهم" أي تتولى أمورهم كما يفعل الأمراء و الولات بالرعاية...والسياسة القيام على الشيء بما يصلحه....)[1].

وقد أورد الفيروز أبادي بجانب هذه المعاني معنى آخر: ( سست الرعية سياسة؛ أمرتها ونهيتها.....)[2]. ثم إن عدد من العلماء قالوا في معنى السياسة أنها تدور على الولاية الرعية وتدبير شؤونها بما يصلحا، فنقول ساس فلان الدابة إذا راضها وتعدها بما يصلحها، وساس الامر سياسة عالجه وبذل همه في إصلاحه، وساس الرعية ولي حكمها وقام فيها بالأمر والنهي وتصرف في شؤونها بما يصلحها، ومن ذلك ما جاء في الحديث:(كانت بنوا إسرائيل تسوسهم الأنبياء، كلما هلك نبي و انه لا نبي بعدي و سيكون خلفاء فيكثرون. قالوا : فما تأمرنا؟ قال: فوا بيعة الأولى فالأولى، أعطوهم حقهم فإن الله سائلهم عما استرعاهم)[3] من هذا نرى بأي النبي صلى الله عليه وسلم بين لنا أن الأقوام السابقة كانت تتولى أمورهم الأنبياء، وترى شؤونهم وتقوم على مصالحهم وأنه، وكلما كان يهلك نبي ليخلفه نبي آخر، ومن هذا يؤكد لنا بأن لا نبي سيخلفه لكونه خاتم الأنبياء، وحامل الرسالة المحمدية العالمية وبأنه بعث للناس كافة على خلاف الرسل السابقين الذين بعثوا لأقوام معينين؛ ويخبرنا بأن من سيخلفه ليسوا بأنبياء بل خلفاء مبايعين، بهذه المعاني كان الاستعمال اللغوي لكلمة

---

[1] ابن منظور، لسان العرب، مادة سوس، دار صادر بيروت، ج6، د.ت، ص108، و ينظر مرتضى الزبيدي، تاج العروس، ساس، دار الجيل، بيروت، ج16، ص159، وينظر الجوهري، تاج اللغة، مادة ساس، دار العلم للملايين، بيروت، ج3، د.ت، ص 938.

[2] الفيروز أبادي، القاموس المحيط، فصل السين باب السين، دار الفكر، بيروت، ج2،د.ت، ص222.

[3] ابن حجر، فتح الباري، شرح صحيح البخاري، المكتبة السلفية، د.ت، ص495.

السياسة، وبهذا المعنى كان استعمالها في الاصطلاح الشرعي، حيث لا تكاد تخرج عما أوردناه في المعنى اللغوي، وهذا أمر طبيعي، إلا ان جاء الشرع بمعنى مغاير للمعنى اللغوي، وهذا لم يحدث؛ إذ رأينا فيما أسلفنا عن معناها في اللغة، إن أصحاب القواميس اللغوية عززوا المعنى بحديثه صلى الله عليه وسلم (كانت بنوا اسرائيل تسوسهم الأنبياء...)[1]

غير أن بعض الفقهاء، قد استخدم كلمة السياسة، في مجال فعل الحاكم في الرعية على ضوء مصلحة يراها عندما لا يجد ليلا، أي أنهم استخدموا كلمة السياسة في تصرفات الحكام التي يراد بها تدبير شؤون الأمة على وجه المصلحة المرسلة، وفي هذا الخصوص يقول ابن قيم الجوزية: (جرى في جوار العمل في السلطنة بالسياسة الشرعية..فقال الشافعي، لا سياسة إلى ما وافق الشرع. فقال ابن عقيل: السياسة ما كان فعلا يكون معه الناس أقرب إلى الصلاح، وأبعد عن الفساد، وإن لم يضعه الرسول، ولا نزل به وحي....)[2]. وهذا الاستخدام الفقهي ليس عاما كما هو بيّن في قول ابن قيم: فقال شافعي: لا سياسة إلا ما وافق الشرع، فيكون هذا مصطلح خاص بصاحبه ولا يجوز تعميمه على أنه مصطلح فقهي أو شرعي. وسيتضح الأمر فيما بعد بحث المعنى الاصطلاحي للسياسة.

2- السياسة في الاصطلاح:

يختلف المعنى الاصطلاحي للسياسة تبعا لاختلاف وجهات النظر فمن المفكرين من يرى أن السياسة، هي احتراف الحكم والسلطان، أي ممارسة السلطة، ومن هم من يرى أنها: إدارة المجتمع بالتوافق مع جوهره. وعند هذا الفريق تكون سياسة المجتمع الصناعي غير سياسة مجتمع الرفاه، وغير سياسة مجتمع الاستهلاك...، ومن المفكرين من يعرّف السياسة: بأنها فن من الممكنات، أو فن الممكن، أو هم الممكن وارادة الوصول، أو هي أفكار تتعلق برعاية الشؤون ومنهم من يرى أنها التنفيذ العملي أو الإشراف على التنفيذ العملي لفلسفة معينة، أوهي التنفيذ العملي لمنظومة من المفاهيم والمعايير السلوكية المتعلقة بالإنسان في حياته. أو أنها: إجراءات لتحقيق القيم الدينية والاقتصادية والثقافية في سلوك الناس وعلاقتهم ونظام حياتهم. ومنهم من يرى أنها: نظرية لتنظيم المجتمع وعلاقات البشر. وفي هذا الصدد يقول جورج بودير: السياسة هي: (... تقنية تحقيق القيم الدينية والاقتصادية والثقافية... وفي موضع آخر، يقول: السياسة نظريات التنظيم

[1] احسان عبد المنعم عبد الهادي سمارة، النظام السياسي في الاسلام، دار يافا العلمية للنشر و التوزيع عمان، ط1، 1424هـ/2000م، ص12.

[2] ابن قيم الجوزية، الطرق الحكمية في السياسة الشرعية، دار الكتب العلمية، د.ت، ص13.

الاجتماعي...هي: النضال للسيطرة على السلطة... هي: همّ الممكن وإدارة الوصول... هي: ممارسة السلطة...هي: إدارة المجتمع بالتوافق مع جوهره..)[1]. عرفها على أنها تقنية تقوم بتحقيق مجموعة من القيم، الملبية لحاجات المجتمع كما أنها نظريات للوصول إلى السلطة وامتلاكها.

يقول محمد البهي: ( ..إن السياسة في أصلها هي الإشراف على تنفيذ فلسفة معينة وقد تكون احترافا في الحكم لذاته...).[2]

ومن وجهة نظر محمد البهي في مفهومه للسياسة، إنها العودة إلى الجذور الأصلية للسياسة، فهي تقوم على تحقيق منطق معين قائم بذاته بطريقة عملية محكمة ومتكاملة ذات مبادئ وأسس فلسفية، ويضيف أيضا بأنها قد تكون احترافية في تطبيق أسس الحكم والسير على مناهجه الأصلية. وقد عرفها ابن عقيل بقوله: (السياسة ما كان فعلا يكون معه الناس أقرب إلى الصلاح وأبعد عن الفساد، وإن لم يضعه الرسول، ولا نزل به وحي...).[3]

ويقول عبد الوهاب خلّاف: ( إن علم السياسة الشرعية يبحث فيه عما تدبر به شؤون الدولة الإسلامية من القوانين والنظم التي تتفق، وأصول الإسلام...).[4]

ومن مجمل هذه التعاريف للسياسية في الإصلاح، نخلص إلى القول بأن السياسة: تطلق على فن الحكم ويراد بها ممارسة أعمال تتعلق بكيفية بناء التنظيمات البشرية، وتنظيم الحكومات، وتنفيذ القوانين لتوجيه الأمة في الداخل بحسبها في السلوك الخاص والعلاقات والنظم، ووضع الاسس التي يجري على أساسها الارتباطات والعلاقات بين الدول، وبعبارة أخرى السياسة هي: فن الحكم برعاية شؤون الناس العامة والخاصة في الدولة على الصعيد الداخلي، والصعيد الخارجي بتنظيم علاقات الدولة ورعاياها بالدول الأخرى، ومن هنا يأتي اختلاف السياسات باختلاف الدول واحتياجاتها المبدئية ومصالحها. كما تطلق على الأفكار التي تتعلق برعاية الشؤون، سواء أكانت قواعد عقائد أو أحكام، أو كانت أفعالا تجري

---

[1] جورج بودير، الدولة، ترجمة سليم حداد، المؤسسة الجامعية للدراسات و النشر ، بيروت،ط1، 1985م، ص19.163.168.176.

[2] محمد البهي، الفكر الاسلامي و المجتمع المعاصر، دار الكتاب اللبناني، بيروت، ط2، 1975م،ص398.

[3] عن ابن عقيل عن ابن القيم الجوزية في كتابه الطرق الحكمية في السياسة الشرعية ، المرجع السابق، ص13.

[4] حسين الحاج حسين، النظم الاسلامية، المؤسسة الجامعية للنشر و التوزيع، ط1، 1987م، ص44.

أو جرت – كالتاريخ- أو ستجري، أو كانت أخبارا. فإذا كانت الأفكار متعلقة بأمر واقع معاش، وليس فروضات نظرية منطقية متخيلة؛ كانت سياسة سواء أكان هذا الفكر من الأمور الحالية الجارية أم أمرا مستقبليا سيحدث أو يخطط لحدوثه، أو كانت أحداثا قد مضى وقتها فأصبحت تاريخا.

وبناء على هذا الفهم لا وجود للسياسة في الفراغ أو التخيلات والأحلام، وإنما تنحصر السياسة نظريا وعمليا في مجال رعاية شؤون الإنسان في حياته وعلاقاته ونظمه وسلوكه: فالأفكار المتعلقة بالإنسان وعلاج مشكلاته في الحياة تسمى أفكارا سياسية.

ومن هنا نجد في العالم دراسات سياسية في المعاهد والجامعات والدورات التدريبية تتناول أفكارا تبحث عن الشؤون العامة والخاصة للأمة والدولة، مما يتعلق بسلامة البلاد وراحة العباد، وتحقيق مصالحهم على الصعيد المحلي والخارجي. كما نجد أن الإنسان من حيث هو إنسان سواء كان بوصفه فردا أم جماعة أم مجتمعا، لا يمكنه العيش في حياته بمعزل عن الأعمال السياسة ومعاناتها سواء كان هو الذي يجريها على نفسه وغيره، أم كانت تجري عليه ويسير بحسبها في الحياة وهو يسعى لضبط سلوكه وتنظيم حياته وإنشاء علاقاته. لأن الإنسان مدني بطبعه فهو كائن لا يستطيع العيش إلا في جماعة، لا ينتظم عيشها إلا في مجتمع مطمئن مستقر.

ويتأكد هذا الفهم، بقوله صلى الله عليه وسلم: ( عن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما أن رسول الله صلى الله عليه وسلم، قال: ألا كلكم راع وكلكم مسؤول عن رعيته، والرجل راع على أهل بيته وهو مسؤول عن رعيته فالإمام الذي على الناس راع و هو مسؤول عن رعيته، و الرجل راع على أهل بيته و هو مسؤول عن رعيته، والمرأة راعية على أهل بيت زوجها وولده وهي مسؤولة عنهم، وعبد الرجل راع على مال سيده وهو مسؤول عنه، ألا فكلكم راع وكلكم مسؤول عن رعيته....)[1]. يتضح من هذا الحديث أن الإنسان سياسي في كل أوضاعه وكافة أحواله، وليست السياسة علم الدولة، أو المنظمات التي تعنى بتكوين الأحداث السياسية، أو تعنى بالنضال للسيطرة على السلطة أو التي تملك

[1] البخاري، صحيح البخاري ، كتاب الأحكام، رقم1738، ابن الحجر العسقلاني، فتح الباري،ج13، المصدر السابق، ص111.

نظريات في تنظيم المجتمع، وليست ممارسة السلطة وإدارة المجتمع.... ليست السياسة هذه الأمور و العناية بها فقط ، وإنما هذه وغيرها من أمور الإنسان ونشاطاته مما يتعلق بمفاهيمه ومعايير سلوكه وعلاقاته ونظم حياته كلها، فالإنسان كائن سياسي بطبعه، فإما أن يكون ممارسا أو خاضعا لنمط سياسي، لأنه لا يتصور وجود إنسان من غير أن يرعى شؤون نفسه أو شؤون من هو مسؤول عنهم أو شؤون أمته وبلده، فاللذين يرعون شؤون الأمة أو البلدة أو القوم هم الحكام. كما أشار الحديث الشريف ( فالإمام الذي على الناس راع وهو مسؤول عن رعيت) ومن هذا نخلص إلى أن الراعي أو الحاكم يرعى شؤون الناس في الداخل والخارج رفقة جهاز حكومي متكون من سلطة تشريعية وأخرة تنفيذية والذين يرعون شؤون أنفسهم أو غيرهم ممن هم مسؤولون عنهم، فهم عامة الناس من الأفراد والجماعات فالكل يمارس أو يخضع لنمط سياسي خاص، يوصف بالظلم تارة، وبالعدل تارة أخرى، تبعا للفلسفة الموجهة للناس في حياتهم، لأن السياسة تخضع لوجهة نظر الإنسان الخاصة عن الكون والإنسان والحياة. أو تخضع لتحقيق مصلحة حالية ودفع مفسدة أو ضر يلحق بالإنسان، السياسة المثلى هي السياسة التي تقوم على أساس مزج المادة بالروح، وهي السياسة التي يلتزم الإنسان فيها بتنفيذ أفكار الإسلام وأحكامه ونظمه، أي السياسة التي ارتضاها الله لعباده، فبعث بها الأنبياء والرسل رحمة لهم(عباده) يقول الله تعالى: ﴿ **لَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا بِالْبَيِّنَاتِ وَأَنْزَلْنَا مَعَهُمُ الْكِتَابَ وَالْمِيزَانَ لِيَقُومَ النَّاسُ بِالْقِسْطِ...**﴾[1] فالنظام السياسي الذي ينشأ باتباع الرسل في ما حثوا عليه، واجتناب ما ينهون عنه يحقق سلامة البلاد وسعادة العباد، للحق والعدل و يتأيد ذلك بالعديد من الآيات بمثل قوله سبحانه:﴿ **فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُمْ مِنِّي هُدًى فَمَنْ تَبِعَ هُدَايَ فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ** ﴾[2]. ولا يقال ان أعمال الصالحات واتباع هدى الله الذي نزله على عباده ليس سياسة وإنما سلوك فردي خاص، لا يقال ذلك لأن النصوص تتكلم عن نمط سلوك الإنسان وطراز عيشه بشكل عام، فيشمل كافة مظاهر الحياة البشرية ،فالأوامر والنواهي والنظم والمعالجات لمشاكل الإنسان في حياته، فتطبيقها عمليا وتنفيذها في الواقع يجعلان الإنسان يحيا حياة طيبة هانئة فيشيع العدل والأمن والاطمئنان؛ ويتجنب سنن الشرع في

[1] سورة الحديد، الآية 25.

[2] سورة البقرة، الآية 38.

ضبط السلوك وتنظيم الحياة، يتعس الإنسان ويظل ويشقى، ومن هنا اقتضت حكمة الله بعث الأنبياء والرسل لهداية البشر إلى سبل الرشاد، وسياستهم بما أنزل الله لإنقاذهم من مفاسد الأهواء، قال الله تعالى:﴿ **كَانَ النَّاسُ أُمَّةً وَاحِدَةً فَبَعَثَ اللَّهُ النَّبِيِّينَ مُبَشِّرِينَ وَمُنْذِرِينَ وَأَنْزَلَ مَعَهُمُ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ لِيَحْكُمَ بَيْنَ النَّاسِ فِيمَا اخْتَلَفُوا فِيهِ..**﴾[1].

وقال سبحانه :﴿ **يَا دَاوُودُ إِنَّا جَعَلْنَاكَ خَلِيفَةً فِي الْأَرْضِ فَاحْكُمْ بَيْنَ النَّاسِ بِالْحَقِّ وَلَا تَتَّبِعِ الْهَوَى فَيُضِلَّكَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ إِنَّ الَّذِينَ يَضِلُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ...**﴾[2]. وإن كان الخطاب ظاهرا في داود عليه السلام، إلا أن هذه مهمة كل الرسل كما هو ظاهر في الآية التي أشرنا إليها و المتعلقة بوظيفة الأنبياء جميعا، ويتأيد ذلك بآيات سورة المائدة و التي تنص على أن كل نبي مكلف أن يحكم من بعث اليهم بما أنزل الله تعالى، حتى ختمت النبوّات و الرسالات بمحمد صلى الله عليه وسلم فجاء قول الله عاما لكل الناس في كافة العصور قال تعالى:﴿... **وَأَنِ احْكُمْ بَيْنَهُمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَهُمْ وَاحْذَرْهُمْ أَنْ يَفْتِنُوكَ عَنْ بَعْضِ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ إِلَيْكَ فَإِنْ تَوَلَّوْا فَاعْلَمْ أَنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ أَنْ يُصِيبَهُمْ بِبَعْضِ ذُنُوبِهِمْ وَإِنَّ كَثِيرًا مِنَ النَّاسِ لَفَاسِقُونَ (49) أَفَحُكْمَ الْجَاهِلِيَّةِ يَبْغُونَ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ اللَّهِ حُكْمًا لِقَوْمٍ يُوقِنُونَ (50)** ﴾[3].

فمن هذه النصوص جميعا يتضح لنا أن مهمة الأنبياء بيان سبيل الهداية و الرشاد، و التحذير من سبل الغواية و الضلال. وكذلك من مهامهم ممارسة سياسة الناس وتولي أمرهم و رعايتهم بما أنزل الله ليقوم الناس بالقسط. يقول صلى الله عليه و سلم: (كانت بنو إسرائيل تسوسهم الأنبياء كلما هلك نبي خلفه نبي و إنه لا نبي بعدي و ستكون خلفاء فتكثرون قالوا فما تأمرنا قال فوا بيعة الأولى فالأولى و أعطوهم حقهم فإن الله سائلهم عما استرعاهم).[4]

---

[1] سورة البقرة، الآية 213.

[2] سورة ص، الآية 26.

[3] سورة المائدة، الآية 49-50.

[4] النووي، صحيح مسلم بشرح النووي، دار احياء التراث العربي،م6، ج12، 1972م، ص231.

فهذا الحديث يؤكد ما أوضحناه عن مهمة الأنبياء و الرسل، أما و ان محمدا صلى الله عليه و سلم خاتم النبيين و المرسلين، فانه رسم معالم النظام السياسي الذي ارتضاه الله لعباده الى يوم الدين، فالنبي محمد صلى الله عليه و سلم شأنه شأن الأنبياء و الرسل الذين سبقوه، بعثه الله رحمة للعالمين يبلغهم رسالة الله و يسوسهم بأحكام الإسلام و شريعة الرحمان . و في القرآن الكريم آيات بينات تبرز القيم والأسس الرئيسية للنظام السياسي الإسلامي، وكذا السنة النبوية تتضمن بيان ذلك بالتفصيل. ويتجلى ذلك في قوله سبحانه:﴿ **وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ الْكِتَابِ وَمُهَيْمِنًا عَلَيْهِ فَاحْكُمْ بَيْنَهُمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَهُمْ عَمَّا جَاءَكَ مِنَ الْحَقِّ**...﴾[1]. وفي الحديث الذي أشرنا إليه دلالة على أن الأنبياء السابقين كانوا يسوسون أقوامهم وكذا سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم كان يسوس المسلمين في حياته؛ فحياة النبي وممارساته منذ اليوم الأول من نزول الوحي خير شاهد أن العقيدة الإسلامية عقيدة سياسية وأن النبي صلى الله عليه وسلم خير من رعى أمته، وخير من أرشدهم إلى السياسة المثلى في كل أمر من الأمور السياسة، سواء على الصعيد الفردي أم على صعيد التنظيم الحزبي، أم على صعيد العلاقات بين البشر، أم على الصعيد بناء الأمة والمجتمع والدولة، أم على صعيد علاقات الدولة الإسلامية مع الدول الأخرى. ولقد كان الرسول صلى الله عليه وسلم خاتم النبيين، فكان خير أسوة في هذه الأمور وغيرها من القضايا السياسية، منذ بعثه الله تعالى وإلى يوم الدين. لذا نجد أن النبي صلى الله عليه وسلم أرشدنا في الحديث الذي أوردناه آنفا بأن لا نبي بعده يسوس الناس بعد انتقاله إلى الرفيق الأعلى، وإنما النظام الذي ارتضاه كنظام سياسي فيه الرحمة للناس والسعادة والهناء في الدنيا، والفوز والنجاة يوم القيامة. وهو نظام الخلافة باعتباره امتدادا لنهج النبوة، قال صلى الله عليه وسلم: (... وستكون خلفاء فتكثر فوابيعة الأولى فالأولى...)[2] على المسلمين أن يتخذوا قرار في مبايعة أحد الخلفاء التي لا بد أن تكون من أول الأولويات كي لا تكون هناك فتنة.

[1] سورة المائدة الآية 48.

[2] النووي، المصدر نفسه، ص231.

## المبحث الثاني: نشأة النظام السياسي في الإسلام

الإسلام دين دولة، والحكومة فيه ليست كما يزعم البعض، حكومة دينية ، أو الحكومة مطلقة أو الحكومة فلاسفة، وإنما هي حكومة راشدة رشيدة قائمة على قواعد من الكتاب والسنة، وقد حدّد الإسلام أسسها وخصائصها ووظائفها وشروط القائمين عليها، فالدّولة الإسلامية يرأسها خليفة للمسلمين رفقة معاونيه من وزراء وقضاة وقواد ونوّاب ومستشارين، ومن ثمّ فإن الحكم الإسلامي يقدّم نموذجا متكاملا يظهر من خلاله الشكل الذي ترتضيه الأمة أسلوبا تنظم وفقه شؤونها في كافة المجالات.

من خلال اطلاعنا على بعض المراجع اتضح لنا بأن بذور نشأة النظام السياسي في الإسلام وجد مع بعثة النبي صلى الله عليه وسلم الذي كان مؤسسا لدولة الإسلام الأولى في المدينة، حيث أن الله تعالى بعثه ليتم مكارم الأخلاق، مصدقا لما بين يديه من الكتاب، وبعثه مبشرا ونذيرا، ورحمة للعالمين، ليخرجهم من الظلمات إلى النور، ويحكمهم ويسوسهم بما أنزل الله إليه من آيات بينات جعلها الله هدى ورحمة وشفاء لأمة محمد عليه أزكى الصلاة وأرفع التسليم.

ونظرة فاحصة في سيرة النبي صلى الله عليه وسلم تبين أنه قد رسم معالم السياسة المثلى من أول يوم بعثه الله فيه، فأرسى المقومات الأساسية لتلك الدولة، ونجح في أن يقضي على الخلافات بين العناصر البشرية المكونة لمجتمع المدينة وكذا الفوارق التي كانت بينها، فقد كان إصدار الصحيفة صيغة سياسية عبقرية[1] استطاعت أن تجمع شمل تلك المجموعات البشرية المختلفة، وأن تقيم الأمة الإسلامية التي اتخذت من القرآن الكريم سبيلا تمشي عليه، متخليّة بذلك على الأفكار القديمة القائمة على روابط الدم وتقاليد القبيلة، فسادت روابط الأخوة بين المهاجرين والأنصار، وعم التراحم بينهم، معترفين بوجود الأديان الأخرى في وسطهم، فأنبثق مجتمع جديد يحمل رسالة التوحيد.

كما وقد تبلورت سياسته الراشدة في بيعة العقبة الأولى والثانية وفي طلب النصرة، بل وفي أيامه الأولى في مكة عندما اجتمع أشراف قريش ليعرضوا على النبي صلى الله عليه وسلم، أمورا فإن قبل بها كفوا عنه أذاهم حيث قال لهم صلى الله

[1] ينظر، فتيحة النبراوي، تاريخ النظم و الحضارة الاسلامية، دار الفكر العربي، القاهرة، ط1، 1999، ص24.

عليه وسلم:(...كلمة واحدة تعطونها تملكون بها العرب وتدين لكم بها العجم. فقال أبو جهل: نعم وأبيك وعشر كلمات. قال الرسول صلى الله عليه وسلم: تقولون لا إلاه إلا الله، وتخلعون ما تعبدون من دونه...)[1]. و رواية ابن سعد: ( تقولون لا إله إلا الله، فأشهد بما لكم عند ربكم وتدين لكم بها العرب وتذل لكم بها العجم...)[2]، و رواية الطبري: (... ...وإلام تدعوهم؟ قال أدعوهم إلى أن يتكلموا بكلمة تدين لهم بها العرب، ويملكوا بها العجم...)[3].

فهذا القول من النبي صلى الله عليه وسلم وهو في مكة المكرمة يكشف بوضوح أن العقيدة الإسلامية عقيدة سياسة، والأفكار السياسة جزء منها وليست خاضعة لأوضاع خاصة ولا وليدة ظروف اضطهاد المشركين أو الهجرة والاحتكاك باليهود لذا يجب القول بأن النظام السياسي في الإسلام نشأ مع دعوة النبي الكريم والدولة الإسلامية ماهي إلا ثمرة لنشاط سياسي منذ حمل النبي للدعوة الإسلامية.

والمتتبع لآيات القرآن الكريم والتكاليف الواردة فيها منذ نزول قوله تعالى:﴿ **يَا أَيُّهَا الْمُدَّثِّرُ** (1) **قُمْ فَأَنْذِرْ** (2) **وَرَبَّكَ فَكَبِّرْ** (3) **وَثِيَابَكَ فَطَهِّرْ** (4) **وَالرُّجْزَ فَاهْجُرْ** (5) **وَلَا تَمْنُنْ تَسْتَكْثِرُ** (6) **وَلِرَبِّكَ فَاصْبِرْ** (7)..﴾[4].

وقوله تعالى﴿ **وَمَا هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ لِلْعَالَمِينَ** (52) ﴾[5]نلمس فيها التوجه السياسي منذ هذا الوقت المبكر للدعوة، حيث أن النبي صلى الله عليه وسلم وصحابته الكرام كانوا ماضين في دعوتهم بالصراع الفكري والكفاح السياسي، لم تهن لهم عزيمة في الهجوم على دين الشرك ومعتقداته، والحث على اعتزال الأوثان ورفض القيم والأعراف السائدة، وكان أذى المشركين يزيدهم صلابة وقوة وقد تتابعت الأعمال السياسية من قبل حزب الإسلام بقيادة النبي صلى الله عليه وسلم متحملين الأذى والعذاب الذي كان يوقعه الكفار بهم، ليصدوهم عن الإسلام، وليعيدوهم إلى ملة الشرك وقد تفنن المشركون في تعذيب المسلمين، فتارة ما رسوا عليهم التعذيب الجسدي حتى الموت، وتارة أخرى بالحرب النفسية وتلفيق

---

[1] ابن كثير، السيرة النبوية، تحقيق مصطفى عبد الواحد، دار المعرفة، بيروت، ج4، د.ت، ص124.

[2] ابن سعد، الطبقات الكبرى، دار التحرير والتوزيع، القاهرة، ج1، د.ت، ص74.

[3] ابن الاثير، الكامل في التاريخ، دار الكتاب العربي، ج2، ط1، 1999، ص65.

[4] سورة الشعراء، الآية 1-24.

[5] سورة القلم، الآية 52.

الأكاذيب وإلقاء التهم، كإشاعتهم بأن محمد صلى الله عليه وسلم كاهن أو شاعر أو مجنون ونحو ذلك، وتارة أخرى بالمساومة والمفاوضات حتى أنهم عرضوا على النبي صلى الله عليه وسلم أن يسودوه عليهم ويملكوه أمرهم ولكنهم لم يفلحوا في ثني المسلمين عن دعوتهم، وقد طرح إحسان عبد المنعم عبد الهادي سمارة [1] سؤال فيما يخص هذه القضية:" أو ليس النبي صلى الله عليه وسلم قد بعثه الله لتبليغ الرسالة وإقامة الدولة الإسلامية؟ فلماذا لم يقبل صلى الله عليه وسلم ما عرضته عليه قريش من الملك والسيادة ؟". لقد اجتهدنا في الإجابة عن هذا السؤال الذي أثرى مادة بحثنا، ففي رفض النبي لتلك المساومة من طرف المشركين تشريع المسلمين في قضية مهمة في حمل الدعوة الإسلامية، وهي تحريم قبول المساومة، وتحريم عقد الصفقات مع الطاغين والمشركين في حمل الدعوة طريقا لهم؛ فحمل نبينا الكريم الدعوة بالطريق الصحيح لا يوجد فيه أي مهادنة أو لقاء مع الطواغيت.

الدولة الإسلامية ثمرة طيبة لصراع وكفاح مع المشركين، وليست منحة أو عطية من الكافرين المسلمين، أي هي دولة يضع عرشها عباد الله المخلصين قال الله تعالى: ﴿ **وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الْأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ...**﴾.[2]

لقد كانت بيعة العقبة الأولى تمهيد لبيعة العقبة الثانية، وهذه بداية مرحلة جديدة من العمل السياسي الحزبي، حيث تعتبر نصرة الإسلام والمسلمين ويتضح ذلك مما أورده أصحاب السنن والسيّر بخصوص أمر بيعة العقبة الأولى والثانية كما يظهر في رواية ابن حجر العسقلاني حيث يقول: (كان الرسول صلى الله عليه وسلم بعد موت أبي طالب قد خرج إلى ثقيف بالطائف...وكان يعرض نفسه على القبائل العرب ويكلم كل شريف قوم، لا يسألهم إلا أن يؤوه ويمنعوه، ويقول لا أكره أحدا منكم على شيء، بل أريد أن تمنعوا من يؤذيني حتى أبلغ رسالة ربي فلا يقبله أحد بل يقولون: قوم الرجل أعلم به...يقول علي بن أبي طالب: لما أمر الله نبيه أن يعرض نفسه على قبائل العرب وأنا معه وأبي بكر...ثم دفعنا إلى مجلس الأوس والخزرج وهم الذين سماهم النبي صلى الله عليه وسلم الأنصار لكونهم أجابوه إلى إيوائه ونصره فما نهضوا حتى

[1] احسان عبد المنعم عبد الهادي، النظام السياسي في الاسلام، المرجع السابق، ص23.

[2] سور النور، الآية 55.

بايعوا بيعة العقبة الأولى ولمّا كان العام القادم اجتمع من أهل المدينة عند العقبة ثلاثة وسبعين رجلا وامرأتان ليبايعون النبي صلى الله عليه وسلم على السمع والطاعة في النشاط والكسل...وعلى أن ننصر رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا قدم علينا بما نمنع به أنفسنا وأزواجنا وأبناءنا، ولنا الجنة فهذه بيعة رسول الله صلى الله عليه وسلم التي بايعناه عليها...)[1].

وعن الإمام أحمد بإسناد حسن عن جابر مثل هذا الحديث، وأوله: (مكث رسول الله صلى الله عليه وسلم عشر سنسن يتبع الناس في منازلهم في المواسم بمنى وغيرها يقول: من يؤويني، من ينصرني حتى أبلغ رسالة ربي وله الجنة؟ حتى بعثنا الله له من يثرب فصدقناه، وبايعناه رسول الله صلى الله عليه وسلم بيعة النساء. هذه بيعة العقبة الأولى وكانت بيعة على وجوب الإلزام بما اشترط عليهم ليس غير..... فرحل إليه منا سبعون رجلا، فوعدناه بيعة العقبة –يقصد العقبة الثانية- فقلنا علام نبايعك؟ فقال صلى الله عليه وسلم: على السمع والطاعة في النشاط والكسل، وعلى النفقة في العسر واليسر، وعلى الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وعلى أن تنصروني إذا قدمت عليكم يثرب، فتمنعوني مما تمنعون منه أنفسكم وأزواجكم وأبنائكم ولكم الجنة...)[2]. ومما ورد في شروط بيعة، العقبة الثانية: أن النبي صلى الله عليه وسلم قال الأنصار:( أسالم من سالمتم، وأحارب من حاربتم ثم قال: أخرجوا إلي منكم اثني عشر نقيبا، وقال لهم: أنتم كفلاء على قومكم كفالة الحواريين لعيسى بن مريم وأنا كفيل على قومي)[3] فعلى ضوء هذه الروايات يتبين لنا بأن بيعة العقبة كانت بداية ممارسة الحكم والسلطان كما كانت بمثابة فاتحة خير وبركة، ومنطلقا لبيعة لاحقة بيعة الحرب المعروفة في كتب السير و والسنن والتاريخ بيعة العقبة الثانية، والتي من شروطها السمع والطاعة في كل الظروف والأحوال، والنفقة في سبيل الله في العسر واليسر، وعلى الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وعلى احتضان الدعوة الإسلامية وإيواء ونصرة المسلمين، وعلى الجهاد في سبيل الله وقد جاءت روايات عديدة على سيرة هذه الشروط من أدقها ما رواه بن حجر في فتح الباري فعلى ضوء الروايات التي أسلفنا ذكرها في بيعة العقبة وما جرى فيها من شروط، يظهر لنا عدة أمور من بينها:

---

[1] ابن الحجر، فتح الباري شرح صحيح البخاري، ج7، المصدر السابق، ص219-220، وينظر، ابن سعد ، الطبقات الكبرى، ج2، المصدر السابق، 224.

[2] ابن الحجر العسقلاني ، فتح الباري، المصدر نفسه، ص222-223.

[3] المصدر نفسه، 224.

أ- إن النبي صلى الله عليه وسلم كان ينفذ أمر الله في كيفية حمل الدعوة الإسلامية في كتلة سياسة ليبين لنا هذا الحكم الشرعي الهام.

ب- إن النبي صلى الله عليه وسلم كان يستهدف بدعوته إقامة الدولة الاسلامية حتى لا تكون فتنة في الأرض، ويكون الدين لله.

إن الدولة الإسلامية نشأت أول مرة في المدينة المنورة عندما هاجر النبي صلى الله عليه وسلم إليها، وقد اكتمل في عهده صلى الله عليه وسلم هيكل الدولة الإسلامية، وتحددت معالم النظام السياسي الإسلامي، وتعتبر هذه الدولة التي كان يرأسها النبي صلى الله عليه وسلم، ويسوس الناس فيها بما يريه الله تعالى من أحكام ونظم، يتنزل بها جبريل على قلبه، أو ينفثها في روعه، وهذه التشريعات الواردة في القرآن الكريم، أو في الأحاديث النبوية القولية أو الممارسات الفعلية من قبل النبي صلى الله عليه وسلم، وصحابته الكرام رضوان الله عليهم، يتعين شكل الدولة الإسلامية وعلى المسلمين الالتزام بالنظام السياسي الإسلامي الذي أقامه الرسول صلى الله عليه وسلم ، الذي هو أمانة في أعناقهم يحفظون به دينهم، ويرفعون به ذكرهم في العالمين، وبالتفريط فيه أو التهاون في أمراض أموره يستحقون غضب الله ويحل بأرضهم الذل والهوان، فلا ينبغي وجود مشكلة حكم أو النظام سياسي في بلاد المسلمين، سيما وأن الله تعالى أرشد إلى أهمية الحكم، كما أن الدولة التي أقامها النبي صلى الله عليه وسلم هي بيان الشافي الذي لا يدع مجالا لمعتذر.

قال الله تعالى:﴿ **كَانَ النَّاسُ أُمَّةً وَاحِدَةً فَبَعَثَ اللَّهُ النَّبِيِّينَ مُبَشِّرِينَ وَمُنْذِرِينَ وَأَنْزَلَ مَعَهُمُ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ لِيَحْكُمَ بَيْنَ النَّاسِ فِيمَا اخْتَلَفُوا فِيهِ..**﴾[1].

وقال الله سبحانه:﴿ **لَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا بِالْبَيِّنَاتِ وَأَنْزَلْنَا مَعَهُمُ الْكِتَابَ وَالْمِيزَانَ لِيَقُومَ النَّاسُ بِالْقِسْطِ** ﴾[2].

يفهم من هذه الآيات أن المهمة التي بعث الله بها النبيين هي جمع الناس على الحق والعدل وقيامهم بالقسط وتبين أن تحقيق ذلك يكون بالتزام حكم وقوانين ونظم وقيم الشرع الإسلامي.

[1] سورة البقرة، الآية 213.

[2] سورة الحديد الآية 25.

ورغم ذلك نجد من يجعل أحكام السياسة الشرعية في الاسلام مأخوذة عن تجارب السابقين من فارس أو الروم، مغمضا عينيه عن هذه النصوص القطعية في ثبوتها ودلالتها، وعن سيرة الرسول صلى الله عليه وسلم المتواترة في مجملها والتي تبين بشكل لا بأس فيه أنه صلى الله عليه وسلم مكث عشر سنوات في المدينة المنورة وهو يمارس الحكم والسلطان وكان يشرف بنفسه على جهاز الدولة الإسلامية ويرعى شؤون الناس ويضمن تحقيق مصالحهم بشرع الله وهداه، فالنظام السياسي في الإسلام نظام حددت معالمه بالوحي، حيث أن النبي مبلغ عن ربه ومنفذ لأمره عن طريق الممارسة العملية للحكم والسلطان. وكانت الدولة الاسلامية التي أنشأها رسول الله صلى الله عليه وسلم تقوم على أربعة قواعد هي:

1.السيادة للشرع. 2.والسلطان الأمة . 3.وللمسلمين خليفة واحد مطاع ضمن الأحكام الشرعية. 4.وللحكام "أي الخليفة" صلاحية تبني الأحكام الشرعية المتنزلة في الكتاب والسنة أو المستنبطة من الأدلة الشرعية[1]، وسبعة أركان هي:

1.الحاكم، الخليفة، 2.والولاة، 3 .والمعاونون، 4.والقضاة، 5.الجيش، 6.مجلس الشورى، 7.الجهاز الإداري.[2]

وبذلك وجدت الدولة الإسلامية والمجتمع الإسلامي، وكانت الأمة موحدة في مشاعرها وأفكارها ومفاهيمها ومتميزة عن كل شعوب الأرض وهي تخضع لرسول الله صلى الله عليه وسلم في حياتها الروحية وأمورها الدنيوية، بوصفه رسول الله وحاكمهم يبلغهم رسالات ربهم يسوسهم بها، فكانوا بذلك خير أمة أخرجت للناس وكانوا هم المفلحون الفائزون، بنعمة الإسلام الذي رضيه الله للناس دينا.

ففي ظل دولة النبوة كانت حياة الناس تنطبع بالدين الإسلامي الحنيف، فهو وحده الذي يرسم للأفراد سلوكهم، وللمجتمع نظامه كما يرسم طريقة حياة الناس، وطريقة عيشهم، وكان النبي صلى الله عليه وسلم هو المرجع الأول لنظام الدولة،

[1] ينظر، احسان عبد المنعم عبد الهادي سمارة، النظام السياسي في الاسلام، المرجع السابق، ص31.

[2] ينظر، المرجع نفسه، ص30.

حيث أن الله تعالى جعله الأسوة لكل من يؤمن بالله، قال تعالى **لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِمَنْ كَانَ يَرْجُو اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ** ﴾[1].

كما وأن الله أوجب على المؤمنين إتباعه صلى الله عليه وسلم وطاعته وأخذ كل ما جاء به من الأقوال والأفعال، قال الله تعالى: ﴿ **فَآمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ النَّبِيِّ الْأُمِّيِّ الَّذِي يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَكَلِمَاتِهِ وَاتَّبِعُوهُ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ** ﴾[2]. وقال تعالى: ﴿ **وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ** ﴾[3]. ويقول النبي صلى الله عليه وسلم:( أمرت أمتي أن يأخذوا بقولي ويطيعوا أمري ويتبعوا سنتي)[4].

قال الله سبحانه وتعالى: ﴿ **فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّى يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِي أَنْفُسِهِمْ حَرَجًا مِمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا** ﴾[5].

وبناء على ذلك لم تظهر في زمن النبي صلى الله عليه وسلم مشكلة حول الحكم والنظام السياسي، لأنه هو الحاكم واليه يرجع في كل أمر فهو الذي يبين القرآن ويفسر أحكامه وينفذها على الناس، وبقي الأمر على ذلك حتى قبض الرسول صلى الله عليه وسلم في السنة العاشرة للهجرة[6]، فوجدت مشكلة سياسية في موضوع خلافته كما يتضح ذلك من خلال اجتماع السقيفة الذي حصل فيه تنافس شديد بين المهاجرين والأنصار كاد أن يفرق جمع الأمة خاصة عندما قام الحباب بن المنذر بن حرام رضي الله عنه فقال: (يا معشر الأنصار ملكوا عليكم أيديكم، فإنما الناس في فيئكم وظلالكم ولن يجبر مجير على خلافكم، ولن يصدر الناس إلا عن رأيكم...والله ما عبدوا الله علانية إلا في بلادكم... ولا دانت العرب للإسلام

---

[1] سورة الأحزاب، الآية 21.

[2] سورة الأعراف، الآية 158.

[3] سورة الحشر، الآية 7.

[4] القاضي عياض، الشفا بتعريف حقوق المصطفى، دار الكتاب العلمي، بيروت، ج2، د.ت،ص11.

[5] سورة النساء، الآية 65.

[6] ينظر، فتيحة النبراوي، تاريخ النظم و الحضارة الاسلامية، المرجع السابق، ص31-32.

إلا بأسيافكم، فأنتم أعظم الناس نصيبا في هذا الأمر، وإن أبى القوم، فمنا أمير ومنهم أمير....)[1] وردّ عمر الخطاب على هذا القول الذي فيه من الفتن والمخاطر بقوله رضوان الله عليه :(هيهات لا يجمع أثنان قرن والله لا ترضى العرب أن يؤمروكم ونبيها من غيركم، ولكن العرب لا تمتنع أن تولي أمرها من كانت النبوة فيهم وولي أمورهم منهم؛ ولنا بذلك على من أبى من العرب الحجة الظاهرة والسلطان المبين، من ذا ينازعنا سلطان محمد وإمارته، ونحن أولياؤه وعشيرته ألا مدل بباطل، أو متجانف لإثم، ومتورط في هلكه...فرد الحباب فقال: يا معشر الأنصار املكوا أيديكم، ولا تسمعوا مقالة هذا وأصحابه فيذهبوا بنصيبكم من هذا الأمر، فإن أبوا عليكم ما سألتموه فاجعلوهم عن هذه البلاد، وتولوا عليهم هذه الأمور، فأنتم والله أحق بهذا الأمر منهم، فإنه بأسيافكم دان لهذا الدين من دان ممن لم يكن يدين، أنا جذيلها المحكك، وعذيقها المرجّب ! أما والله لئن شئتم لنعيدنها جذعه، فقال عمر إذا يقتلك الله ! فقال الحباب: بل إياك يقتل.... فقال أبو عبيدة: يا معشر الأنصار، إنكم أول من نصر وآزر، فلا تكونوا أول من بدل وغير فقام بشير بن سعد أبو النعمان بن بشير فقال: يا معشر الأنصار، إنا والله لئن كنا أولى فضيلة في جهاد المشركين، وسابقة في هذا الدين: ما أردنا به إلا رضى ربنا وطاعة نبينا، والكدح لأنفسنا، فما ينبغي لنا أن نستطيل على الناس بذلك، ولا يبتغي به من الدنيا عرضا، فإن الله ولي المنة علينا بذلك: ألا إن محمد صلى الله علينا وسلم من قريش، وقومه أحق به وأولى، وأيم الله لا يراني الله أنازعهم هذا الأمر أبدا، فاتقوا الله ولا تخالفوهم ! فقال أبو بكر هذا عمر، وهذا أبو عبيدة فأيه شئتم فبايعوا. فقالوا: لا والله لا نتولى هذا الأمر عليك، فإنك أفضل المهاجرين وثاني اثنين إذ هما في الغار، وخليفة رسول الله عليه الصلاة، و الصلاة أفضل دين المسلمين، فمن ذا ينبغي له أن يتقدمك أو يتولى هذا الأمر عليك ! أبسط يدك نبايعك . فلما ذهبا ليبايعاه سبقهما إليه بشير بن سعد فبايعه... فأقبل الناس من كل جانب يبايعون أبا بكر، و كادوا يطئون سعد بن عبادة، فقال ناس: اتقوا سعدا لا تطؤوه فقال عمر: اتلوه قتله الله...)[2]. إذ أن بموت النبي صلى الله عليه و سلم برزت مشكلة سياسية حول من سيخلف النبي صلى الله عليه وسلم في قيادة الأمة الإسلامية..

---

[1] الطبري، تاريخ الطبري ج3، المصدر السابق، ص 220-221.

[2] الطبري، تاريخ الطبري، المصدر نفسه، ص220-223، وينظر، ابن الأثير الكامل في التاريخ، ج2، المصدر السابق، ص330-333.

## المبحث الثالث: معالم النظام السياسي في الإسلام

1- إباحة طلب الخلافة و الحرص عليها:

لكل من يجد في نفسه الكفاءة لتولي هذا المنصب الهام الذي شرعه الله تعالى لخلافة النبوة في حراسة الدين و سياسة الدنيا بتشريعاته و نظمه و أحكامه.

وتدل الروايات على أن سعد بن عبادة طلب الخلافة لنفسه و حرص عليها و كان يرى أن المهاجرين ينافسونه و يحسدونه عليها روى ذلك الإمام الطبري.(... قال سعد بن عبادة يومئذ لأبي بكر: إنكم يا معشر المهاجرين حسدتموني...)[1].

وقد طلبها علي بن أبي طالب حين عرض نفسه على الأنصار ليحظى بنصرتهم و تأييدهم و في هذا الصدد يقول الدينوري: (... وخرج علي كرم الله وجهه يحمل فاطمة بنت رسول صلى الله عليه وسلم في المجالس الأنصار تسألهم النصرة، فكانوا يقولون... قد مضت بيعتنا لهذا الرجل ولو أن زوجك وابن عمك سبق إلينا قبل أبي بكر ما عد لنا به بيه... وكان علي كرم الله وجهه يقول للمهاجرين، لنحن أحق الناس به، لأنّا أهل البيت ونحن أحق بهذا الأمر منكم ما كان فينا القارئ لكتاب الله، الفقيه في دين الله، العالم بسنن رسول الله، المضطلع بأمر الرعية....)[2] وعدم انكار الصحابة لطلب الخلافة والحرص عليها دليل على مشروعيتها، لأن اجماعهم بالاتفاق ولا يعارض في ذلك مع أحاديث النبي صلى الله عليه وسلم منها ما ورد في السنة الصحيحة أنه صلى الله عليه وسلم قال:( نعم الشيء الإمارة لمن أخذها بحقها وحلها ، وبئس الشيء الإمارة لمن أخذها بغير حقها تكون علية حسرة يوم القيامة)[3] . اذن النهي عن طلب الامارة الواردة في الأحاديث الصحيحة إنما ينصرف لمن لم يكن أهلا لها، أما من كان أهلا للولاية فلا حرج عليه في طلبها، فالنهي الوارد في الأحاديث

[1] احسان عبد المنعم عبد الهادي سمارة، النظام السياسي في الاسلام، المرجع السابق، ص36.

[2] الدينوري، الإمامة و السياسة، تحقيق طه الزيني، دار المعرفة، بيروت، ج1، د.ت، ص19.

[3] ابن حجر، فتح الباري شرح صحيح البخاري، ج13، المصدر السابق، ص126.

الصحيحة كقوله صلى الله عليه وسلم: ( لا تسأل الإمارة فإن أعطيتها عن مسألة وكلت إليها) ، (إنكم ستحرصون على الإمارة وستكون ندامة يوم القيامة).[1]

وقوله صلى الله عليه وسلم : ( إنا والله لا نولي هذا العمل أحدا سأله ولا أحدا حرص عليه)، وعن أبي ذر قلت ألا تستعملني قال صلى الله عليه وسلم: ( إنك ضعيف وإنها أمانة وإنها خزي وندامة إلا من أخذها بحقها وأدى الذي عليه فيها....)[2] فهذه الأحاديث وأمثالها إن أخذت مجردة لا يوجد فيها ما يفيد التحريم، وإنما تحمل على الكرامة كما ذهب البخاري ومسلم رضوان الله عليهم حيث وضعوا مثل هذه الأحاديث تحت عنوان:" كراهة الإمارة بغير ضرورة"، " ما يكره من الحرص على الإمارة "[3] ومن جهة أخرى يظهر في الأحاديث أن الولاية أو الإمارة وغيرها من المسؤوليات لا ينبغي أن يكون توليها بناء على طلبها، وإنما ينبغي أن لا تسند إلا لمن هو قوي أمين حفيظ عليم، وإلا تورط فيما دخل فيه، وخسر الدنيا والآخرة، يجب أن يكون عادلا ولا يحصل منه ذلك إلا إذا كان من أهل القدرة والكفاية.

فمن كان أهلا للولاية وطلبها فأعطيها، يكون كمن أخذها من غير سؤال؛ وذلك لأن المسؤولية أسندت إليه بناء على قدرته وكفايته وأهليته وليس بناء على طلبه.

يقول الإمام النووي: في هذا الصدد: (... الخزي والندامة فهو في حق من لم يكن أهلا لها....وأما من كان أهلا للولاية وعدلا فيها فله فضل عظيم تظاهرت به الاحاديث الصحيحة....).[4]

فمن هنا يتضح لنا بأن طلب الخلافة والحرص عليها خاصة إذا طلبها صاحبها ليعمل فيها بما ينبغي بالعدل والنصح المسلمين، ليس ممنوعا وهو جائز وحلال لمن هو أهل لها.

2- إباحة التنافس على الإمارة عند الترشيح لها:

---

[1] المصدر نفسه، ص 124.

[2] الامام النووي، صحيح مسلم شرح النووي، ج12، المصدر السابق، ص 209-210 .

[3] المصدر نفسة، ص211.

[4] المصدر نفسه، ص212.

فالصحابة رضوان الله عليهم تنازعوا على الإمارة يوم السقيفة والرسول صلى الله عليه وسلم مسجّى على فراشه لم يدفن بعد، ولم ينكر أحدا منهم على أحد شيئا من ذلك، فيكون إجماعا منهم على مشروعية التنازع والتنافس على الإمارة، وكذلك تنازع الإمارة رؤساء الصحابة الذين جعل سيدنا عمر رضي الله عنه الشورى فيهم لاختيار خليفة المسلمين يوم غدر رضوان الله عليه، فعندما جلسوا للتشاور في الأمر تنازعوا وارتفعت أصواتهم، ولم ينكر عليهم تنازعهم، وأنكر عليهم ارتفاع أصواتهم وأمير المؤمنين لم يمت بعد.[1]

روى الإمام الطبري:(... فلما أصبح عمر دعا عليا وعثمان وسعدا وعبد الرحمان بن عوف والزبير بن العوام، إني نظرت فوجدتكم رؤساء الناس وقادتهم، ولا يكون هذا الامر إلا فيكم وقد قبض رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو عنكم راض، إني لا أخاف الناس، فانهضوا...فتشاوروا واختاروا رجلا منكم...فدخلوا فتناجوا، ثم ارتفعت اصواتهم، فقال عبد الله بن عمر: سبحان الله إن أمير المؤمنين لم يمت بعد...فقال عمر بن الخطاب: أعرضوا عن هذا أجمعون؛ فإذا مت فتشاوروا ثلاثة أيام، وليصلّ بالناس صهيب، ولا يأتين اليوم الرابع إلا وعليكم أمير منكم... فلما مات عمر رضي الله عنه أخرجت جنازته، تصدى علي وعثمان أيهما يصلي عليه، فقال عبد الرحمن: كلا كما يحب الإمرة... هذا إلى صهيب، استخلفه عمر يصلي بالناس حتى يجتمع الناس على امام. فصلى عليه صهيب، فلما دفن عمر جمع المقداد أهل الشورى في البيت المسور بن مخرمة. وهم خمسة، وطلحة غائب... فتنافس الناس في الأمر، وكثر بينهم الكلام... حتى إذا كانت الليلة التي يستكمل في صبيحتها الأجل... فلما صلوا الصبح جمع الرهط وبعث الى من حضر من المهاجرين وأهل السابقة والفضل من الأنصار، وإلى أمراء الأجناد، فاجتمعوا، فقال: ايها الناس، انّ الناس قد يلحق أهل الأمصار بأمصارهم وقد علموا من أميرهم: فقال سعيد بن زيد: إنا نراك لها أهلا، فقال أشيروا علي بغير هذا، فقال عمار: إن أردت ألا يختلف المسلمون فبايع عليا، فقال المقداد بن الأسود: صدق عمار؛ إن بايعت عليا قلنا: سمعنا وأطعنا. قال ابن أبي السرح: إن أردت ألا تختلف قريش فبايع عثمان، فقال عبد الله بن أبي ربيعة: صدق؛ إن بايعت عثمان قلنا: سمعنا وأطعنا. فشتم عمار بن ابي سرح، وقال: متى كنت تنصح المسلمين. فتكلم بنو هاشم وبنو أمية، فقال عمار: فأنى تصرفون هذا الأمر

[1] ينظر، احسان عبد المنعم عبد الهادي سمارة، النظام السياسي في الاسلام، المرجع السابق، ص39.

عن أهل بيت نبيكم! فقال رجل من بني مخزوم: لقد عدوت طورك يا ابن سمية ؛ وما أنت وتأمير قريش لأنفسنا! فقال عبد الرحمان: إني قد نظرت وشاورت، فلا تجعلن أيها الرهط على أنفسهم سبيلا ... فإذا هم لا يعدلون بعثمان فبايعه... وقدم طلحة في اليوم الذي بويع فيه عثمان، فقيل له بايع عثمان، فقال أكلّ قريش راض به؟ قال نعم، فأتى عثمان فقال له عثمان: أنت على رأس أمرك، إن أبيت رددتها، فقال أتردّها؟ قال: نعم، قال: أكلّ الناس بايعوك؟ قال: نعم، قال: قد رضيت؛ لا أرغب عما أجمعوا عليه، وبايعه....)[1] يتضح من هذه الرواية أن الصحابة رضوان الله عليهم تنافسوا على الإمارة، وكذلك حصل التنافس بينهم عليها بعد موت النبي صلى الله عليه وسلم، في سقيفة بني ساعدة فكل الروايات يذكر فيها اشتداد التنافس بين المرشحين:" حتى يكثر اللغط وترتفع الأصوات ويخشى الاختلاف.[2] وكان ذلك كله على مرأى ومسمع من الصحابة ولم يستنكره أحد منهم فيكون إجماعا على إباحته.

3- إباحة القيام بالداعية الانتخابية من قبل المرشحين أنفسهم، أو من قبل المؤيدين لهم:

فلم يرى نص يحرّم ذلك أو يجعله مكروها، فلكل مرشح الحق في الدعاية لنفسه، واجمع الصحابة يوم السقيفة يدل على ذلك أوضح دلالة، يقول مسعودي:( وكان للمهاجرين والأنصار يوم السقيفة خطب طويل، ومجاذبة في الإمامة....)[3] وكثيرا ما يذكر في خطب المرشحين مزايا المرشح وصفاته وأهليته للخلافة، وأحقيته بها دون سواها. وفي هذا الصدد يقول حسن إبراهيم:(....وكاد يقوم بين المهاجرين والأنصار خلاف شديد لولا أن قام بينهم أبوبكر خطيبا وأدلى لهم بالحجة على أن هذا لقريش...وحذر الأنصار إن وليته الأوس أن تنفس عليهم الخزرج، وإن وليته الخزرج أن تنفس عليها الأوس فلما ذكر الأنصار ما كان بينهم في الجاهلية...اطمأنوا إلى رأي أبي بكر، فعرض عليهم مبايعة عمر أو عبيدة...)[4]

لقد ظهر في مؤتمر السقيفة عدة مرشحين للخلافة، فمرشح الأنصار سعد بن عبادة كان يقوم له بالدعاية الانتخابية الحباب بن المنذر، ومرشح المهاجرين واحد من ثلاثة هم أبو بكر وأبو عبيدة وعمر رضي الله عنهم، ومرشح أهل البيت علي بن

[1] الطبري، تاريخ الطبري، ج4، المصدر السابق، ص228-235، وينظر، ابن سعد، الطبقات الكبرى، م3، المصدر السابق، ص61-64.

[2] ابن كثير، السيرة النبوية، ج4، المصدر السابق، ص489.

[3] المسعودي، مروج الذهب، ج2، المرجع السابق، ص 329.

[4] حسن ابراهيم حسن، تاريخ الاسلام السياسي ، ج1، المرجع السابق، ص204-205.

أبي طالب رضوان الله عليهم أجمعين ويظهر ذلك في العديد من الروايات الصحيحة التي أوردها عامة المؤرخين التّي سنورد البعض منها روى ابن عباس:(...اجتمعت الأنصار إلى سعد بن عبادة في سقيفة بني ساعدة، ...واجتمع المهاجرون إلى أبي بكر... قال عمر أردت أن أتكلم وقد كنت هيأت وحسنت مقالة أعجبتني أريد أن أقدمها بين يدي أبي بكر...فقال أبو بكر على رسلك ...ثم تكلم أبو بكر. يقول عمر: والله ما ترك كلمة أعجبتني في تزويري إلا قالها...ومما قاله أبو بكر: ...ولن تعرف العرب هذا الأمر إلا لهذا الحي من قريش.... فقال الحباب بن المنذر: لا والله لا نفعل، ومنا أمير ومنكم أمير....فإنا والله لا ننفس عليكم هذا الأمر، ولكننا نخاف أن يليه أقوام قتلنا آباءهم وإخوتهم، فقال له عمر: إذا كان ذلك فمت إن استطعت. فتكلم أبو بكر فقال: نحن الأمراء وأنتم الوزراء وهذا الأمر بيننا وبينكم فبايع الناس...وفي رواية أحمد عن أبي سعد: ... فقام خطيب الأنصار فقال: إن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان إذا استعمل رجلا منكم قرنه برجل منا، فتبايعوا على ذلك، وقال زيد بن ثابت: إن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان من المهاجرين وإنما الإمام من المهاجرين، فنحن أنصار الله كما كنا أنصار رسول الله صلى الله عليه وسلم قال أبو بكر رضي الله عنه جزاكم الله خيرا، فبايعوه وفي بعض الروايات قال أبو بكر : كنا معشر المهاجرين أول الناس إسلاما ولن تصلح العرب إلا برجل من قريش، فالناس لقريش تبع، وأنتم إخواننا... وأحب الناس إلينا وأنتم أحق الناس بالرضا بقضاء الله، والتسليم لفضيلة إخوانكم، وأن لا تحسد وهم على خير...وقد رضيت لكم أحد هذين الرجلين فبايعوا عمر بن الخطاب أو أبا عبيدة... فقال عمر: بل نبايعك أنت فأنت سيدنا وخيرنا وأحبنا إلى رسول الله... من له هذه الثلاثة: إذ هما في الغار، إذ يقول لصاحبه، إن الله معنا فبايعه ثم قال: بايعوه ، فبايعه الناس).[1]

ويصور حسن إبراهيم أهمية الدعاية الانتخابية وأثرها في بيعة أبي بكر فيقول: (...اجتمعت الأنصار في السقيفة بني ساعدة، وأرادوا أن يبايعوا بالخلافة رجل منهم، هو "سعد بن عباده" فحضر إليهم نفر من المهاجرين، وكاد يقوم بين هؤلاء وهؤلاء خلاف شديد، لولا أن قام بينهم أبو بكر خطيبا وأدلى لهم بالحجة على أن هذا الأمر لقريش ...وحذر الأنصار إن وليته الأوس أن يتنفس عليها الخزرج، وإن وليته الخزرج أن تنفس عليها الأوس...اطمئنوا إلى رأي أبي ابي بكر فعرض عليهم

[1] ابن حجر العسقلاني، فتح الباري شرح صحيح البخاري، ج4، المصدر السابق، ص30-33، و ينظر، ابن سعد الطبقات الكبرى، م3، المصدر السابق، ص182.

مبايعة عمر أو أبي عبيدة...فقام عمر إلى أبي بكر بايعه وقال ألم يأمر النبي الله صلى الله عليه وسلم بأن تصلي أنت بالمسلمين ؟ فأنت خليفته و نحن نبايعك فتبايع خير من أحب رسول الله صلى الله عليه و سلم منا جميعا....و في موضع آخر:" بويع أبو بكر بفضل من أوتيه عمر من المها والشجاعة".)[1]

مما سبق نجد أن إجماع الصحابة رضوان الله عليهم على مشروعية الدعاية الانتخابية لمنصب الخلافة، حيث أن اجماع السقيفة ضم أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم من المهاجرين والانصار ورشح الأنصار سعد بن عبادة سيد الخزرج، ورشح أبو بكر أبا عبيدة وعمر بن الخطاب، وأدلى كل بحجيته حتى رجحت حجة أبو بكر وعمر بمبايعة ابي بكر خليفة للمسلمين، فاغلق بذلك باب الترشيح للخلافة وأوقفت الدعاية الانتخابية، واجتمعت كلمة المسلمين جميعا على خليفتهم أبي بكر رضي الله عنه وأرضاه، وكذلك الأمر بالنسبة لخلافة عمر وعثمان وعلي رضوان الله عليهم أجمعين، فقد رجع الأنصار وأهل بيت النبي صلى الله عليه وسلم عن التفاهم حول مرشحيهم؛ ليلتفوا حول من رجحت كفته عندهم، بعد أن أصغوا إلى سماع الحجج والبراهين المقنعة بأحقية أبي بكر بالخلافة، فسارع الكل إلى بيعته، ولم يتخلف منهم أحد، حتى المرشحين لم يختلفوا عن مبايعة أبي بكر بالخلافة. وهذا يدل على مدى انضباط الصحبة رضوان الله عليهم بأحكام الإسلام وهديه، وأن تنافسهم كان من أجل حراسة الدين وسياسة الدنيا بأحكام الله ونظمه.

وفي هذا الصدد يقول الإمام الطبري: ( ... بعد قول البشير بن سعد عند مبايعته لأبي بكر قبل عمر وأبو عبيدة: كرهت أن أنازع قوما حقا جعله الله لهم" فقالت الأوس وفيهم أسيد بن حضير وكان أحد النقباء...فقاموا فبايعوه. فقوموا أبا بكر إليه فبايعوه...فأقبل الناس من كل جانب يبايعون أبا بكر... وتتابع القوم على البيعة)[2]. فبايع كلا من سعد، وعلي، والزبير، والمهاجرين والأنصار. ويقول ابن كثير في رواية عن أحمد بن حنبل في هذا الصدد: ( اجمع الناس في المسجد

[1] حسن ابراهيم حسن، المرجع نفسه، ص204-205.

[2] الطبري، تاريخ الطبري، ج3، المصدر السابق، ص221-224، و ينظر، ابن حجر العسقلاني، فتح الباري ،ج7، المصدر نفسه، ص20، و ينظر، حسن ابراهيم حسن، المرجع نفسه ، ص205.

فتمت البيعة من المهاجرين والأنصار قاطبة...وقال علي والزبير :...إنا نرى أبا بكر أحق الناس بها، إنه لصاحب الغاز وإنا لنعرف شرفه وخيره، ولقد أمره رسول صلى الله عليه وسلم أن يصلي بالناس وهو حي).[1]

وقد أورد ابن كثير رواية أخرى عن البيهقي جاء فيها:( فبايعه المهاجرون والأنصار، فدعا بالزبير فقام فبايعه، ودعا بعلي فبايعه..)[2].

الفكرة التي تخرج بها من خلال أقوال ابن كثير هاته أن بيعة أبا بكر كانت من قبل المهاجرين والأنصار كافة. وهذا لكونه انه كان أقرب الناس إلى الرسول الله صلى الله عليه وسلم ومرافقة في غار حراء، بإضافة إلى ما يتميز به من نسب وشرف وصفات حميدة وأخلاق نبيلة كلها مستحات من صفات النبي صلى الله عليه وسلم.

4- فرضية الخلافة:

يكشف إجماع الصحابة في سقيفة بني ساعدة، أن الخلافة الإسلامية من أهم فرائض الدين وأوجب واجباته، وليست أمرا ثانويا أو نافلة من نوافل الدين، ولا هي مظهر شكلي من مظاهره، أو حدث تاريخي عارض دعت إليه الحاجة أو الضرورة في حينه، كما يتوهم المتوهمون فالخلافة درع الإسلام و حصنه، اذ بالخلافة تحمى الدولة الاسلامية ويتم الدفاع عن الاسلام، وتنقى الشريعة الإسلامية عن كل بدعة مضلة، ويحمل الناس عليها فتصان بذلك الحرمات، وتحفظ الحقوق، وتنظم الأمور وتسعد الرعية، ويجتمع شتات أمرها ويظل دين الله قائم، وكلمة الله تامة، وبها تتكامل أسباب العزة للأمة. قال تعالى:﴿ **وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آَمَنُوا مِنْكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الْأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ الَّذِي ارْتَضَى لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُمْ مِنْ بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا..**﴾[3].

ففي الآية جعل الله سبحانه التمكين في الأرض، والأمن بعد الخوف، والهيمنة للإسلام بعد الاستخلاف في الارض الذي وعد الله عباده المخلصين.

---

[1] ابن كثير، السيرة النبوية، ج4، المصدر السابق، ص492-496.

[2] المصدر نفسه، ص 494.

[3] سورة النور ، الآية 55.

يقول الماوردي:( فليس دين زال سلطانه، إلا بدلت أحكامه، وطمست أعلامه ...لما في سلطان من حراسة الدين، والذب عنه، ودفع الأهواء منه ومن هذين الوجهين، وجب إقامة إمام...ليكن الدين محروسا سلطانه، والسلطان جاريا على سنن الدين وأحكامه.)[1] ويقول القلقشندي:( الخلافة هي حضيرة الإسلام، ومحيط دائرته...بها يحفظ الدين ويحمى، وتصان بيضة الإسلام وتسكن الدهماء، وتقام الحدود... وتحصن الثغور فلا تطرق ويذاد عن الحرم...).[2]

فالصحابة رضوان الله عليهم كرهوا أن يبقوا بعض يوم بدون خليفة، تاركين لأجل إقامتها أعظم المهمات وهو الإشغال بدفن النبي صلى الله عليه وسلم ولم يدفنوه صلى الله عليه وسلم حتى فرغوا منها.

يقول ابن كثير:(...فلما مات صلى الله عليه وسلم واختلف الصحابة فيما بينهم، فمن قائل يقول: مات الرسول صلى الله عليه وسلم ومن قائل: لم يمت... فجاء الصدّيق فدخل على رسول الله صلى الله عليه وسلم... وتحقق أنّه مات. ثم خرج الى الناس فخاطبهم وبين لهم وفاة رسول الله صلى الله عليه وسلم وأزاح الجدل وأزال الإشكال، ورجع الناس كلهم إليه... وفي سقيفة بني ساعدة كثر اللغط وارتفعت الأصوات حول من سيخلف النبي صلى الله عليه وسلم فقال عمر لابي بكر أبسط يدك نبايعك. فبسط يده فبايعه عمر وبايعه المهاجرون ثم بايعه الأنصار فيقول أبو بكر:" فبايعوني وقبلتها منهم وتخوفت أن تكون فتنة بعدها ردّة...". وكان هذا بقية يوم الاثنين، فلما كان صبيحة الثلاثاء اجمع الناس في المسجد فتمت البيعة من المهاجرين والأنصار قاطبة، وكان ذلك قبل تجهيز رسول الله صلى الله عليه وسلم)[3].

وروى الطبري: ( قال عمر بن حريث لسعيد بن زيد أشهد وفاة الرسول صلى اله عليه وسلم؟ قال : نعم قال: فمتى بويع أبو بكر؟ قال يوم مات الرسول صلى الله عليه وسلم كرهوا أن يبقوا بعض يوم وليسوا في جماعة.... فلما بويع أبو بكر أقبل الناس على جهاز رسول الله صلى الله عليه وسلم..)[4].

---

[1] محمود الخالدي، معالم الخلافة في الفكر الاسلامي، دار الجيل ، بيروت، مكتبة المحتسب، عمان، ط1، 1984، ص64.

[2] القلقشندي، مآثر الأنافة في معالم الخلافة ، تحقيق عبد الستار فراج وزارة الإرشاد، الكويت ، سلسلة التراث العربي، ج11، 1964، ص2.

[3] ابن كثير، السيرة النبوية، ج4، المصدر السابق، ص 484-493.

[4] الطبري، تاريخ الطبري، ج3، المصدر السابق، ص 207-211.

قبل موت النبي صلى الله عليه وسلم أمرهم بتعيين الخليفة قبل دفنه كي لا تكون هناك فتنة بين الأنصار والمهاجرين، فبعد موته انقسم الصحابة إلى قسمين: قسم اهتم بتجهيز دفن الرسول صلى الله عليه وسلم، وقسم يهتم بتنصيب الخليفة. حيث تعتمد الصحابة رضي الله عنهم بتأخير دفن النبي كي يتمكنوا من تعين الخليفة وعلى هذا فقد كان تعيين الخليفة أوجب من دفن الميت.

فالخلافة إذن فرض ديني من أهم الفرائض، يأثم الناس بالعقود عن إجادها أو التشاغل عنها بغيرها من الطاعات، لأنه يتوقف عليها وجود الإسلام في معترك الحياة، والذب عن حوزة الإسلام وحرمات المسلمين، وبدون الخلافة يهلك الأنام، وتتشعب الأهواء، وتضل الآراء، ويعم الفساد، وتضيع الحقوق، وتذهب معالم الإسلام، وتندرس الأحكام الشرعية.

وفي هذا الصدد يقول القلقشندي: ( لا بد للامة من إمام يقيم الدين، وينصر السنة، وينصف المظلومين من الظالمين ويستوفي الحقوق)[1].

لابد على الخليفة الذي يحكم الأمة أن يقيم حدود الله ويعمل بسنة رسول صلى الله عليه وسلم حيث يرعى شؤون المسلمين ويكون رجل عدل منصف.

وعليه فإن قبل وفاته، يجب أن يعمل وفق ما أمره به النبي صلى الله عليه وسلم قبل وفاته وذلك بتعيين من يخلفه في الحكم، ومن مات و لم يقم بما أمره النبي كانت وفاته وفاة الجاهلية بدليل قوله صلى الله عليه وسلم: ( ومن مات وليس في عنقه بيعة مات ميتة جاهلية)[2].

5- يحرم على المسلمين العيش بغير خلافة راشدة:

[1] الامام القلقشندي، مآثر الأنافة في معالم الخلافة،ج1، المصدر السابق، ص 30-31.

[2] الامام النووي ، صحيح مسلم، شرح النووي، ج12، المصدر السابق، ص 231.

إجماع الصحابة يوم السقيفة، يدل على وجوب المبادرة بنصب خليفة للمسلمين وقد روى الطبري في هذا الصدد قولا لعمر بن الخطاب يوم السقيفة: ( ... إنا والله ما وجدنا أمرا أقوى من مبايعة أبي بكر، خشينا إن فارقنا القوم ولم يكن بيعة أن يحدثوا بعدنا بيعة، فإما أن نتابعهم على ما نرضى، أو نخالفهم فيكون فساد...)[1].

والمدة التي يباح للمسلمين مكثها بدون بيعة خليفة لا يجوز أن تتجاوز ثلاثة أيام بليلتين، ويفهم ذلك من قرائن شرعية تستند إلى اجماع الصحابة رضوان الله عليهم. حيث أنهم يوم وفاة الرسول صلى الله عليه وسلم حسموا النزاع على الخلافة ضمن هذه المدة، وكذلك يوم طعن عمر رضي الله عنه وقت للمسلمين هذه المدة، ثم أوصى أنه إذا لم يتفق على بيعة خليفة في ثلاثة أيام فليقتل المخالف بعد الأيام الثلاثة. وفي هذا الصدد يقول ابن حجر العسقلاني : (.... فكثر اللغط وارتفعت الأصوات حتى خشينا الاختلاف فقلت ابسط يدك ابايعك، فبسط يده فبايعته وبايعه المهاجرون ثم الأنصار...لم يكن لهم إمام حتى بويع أبوبكر... تركوا لأجل إقامتها أعظم المهمات وهو التشاغل عن دفن النبي صلى الله عليه وسلم حتى فرغوا منها، والمدة المذكورة زمن يسير في بعض يوم يغفر مثله لإجماع الكلمة...)[2]. فيفهم من كلام ابن حجر أن مدة التي يباح للمسلمين مكثها بدون بيعة خليفة هي مدة انشغال الصحابة رضوان الله عليهم ببيعة أبي بكر، وما زاد عنها لا يغتفر.

قال ابن سعد: ( بويع أبو بكر الصديق يوم قبض رسول الله صلى الله عليه وسلم، يوم الاثنين....)[3].

فالصحابة رضوان الله عليهم باشروا الاشتغال بأمر الخلافة فور بلوغهم خبر وفاة النبي صلى الله عليه وسلم، واستمرت الدعاية الانتخابية والمنافسة المشروعة على منصب الخلافة ليلتين، وفي اليوم الثاني اجتمع المسلمون على بيعة أبي بكر الصديق رضي الله عنه العامة في المسجد.

---

[1] الطبري، تاريخ الطبري،ج3، المصدر السابق، ص206.

[2] ابن حجر العسقلاني، فتح الباري، ج7، المصدر السابق، ص36.

[3] ابن سعد ، الطبقات الكبرى، ج3، المصدر السابق، ص186، وينظر المسعودي، مروج الدهب، ج2، المصدر السابق، ص329.

وقد أوضح ابن حزم أنه لا يحل المكث بدون بيعة لخليفة أكثر من ليلتين ويظهر ذلك في قوله:( لا يحل لمسلم أن يبيت ليلتين ليس في عنقه إمام بيعة، لما روينا عن طريق مسلم قال: "...عن عبد الله بن عمر بن نافع قال لي عمر بن الخطاب: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: من خلع يدا من طاعة لقي الله يوم القيامة لا حجة له ومن مات وليس في عنقه بيعة مات ميتة جاهلية"[1]. قد مات عمر رضي الله عنه وجعل الخلافة شورى في ستة نفر...وامرهم أن يتشاوروا في ثلاثة أيام في أيهم يولى....)[2].

فاجتماع الصحابة رضوان الله عليهم في سقيفة بني ساعدة، وعند وفاة سيدنا عمر رضي الله لهو خير شاهد على تحديد المدة التي يغفر الله فيها للمسلمين أن يعيشوا بلا بيعة لخليفة يقوم على حراسة دين الإسلام وحفظ بيضة المسلمين، ويسوسهم بأحكام الإسلام ونظمه، وهذا ما أشار إليه سيف بن عمر بن سعيد بن زيد فيما رواه الطبري في هذا الصدد أن الصحابة رضوان الله عليهم يوم مات النبي صلى الله عليه وسلم "كرهوا أن يبقوا بعض يوم وليسوا في جماعة..."[3].

لقد خاف الصحابة من وقوع فتنة بين الناس فقاموا بتعجيل اجتماعهم لمبايعة خليفة لتهدأ الأوضاع وتستقر والإرضاء الآراء المتضاربة لأن مبايعة خليفة واحد، يمنع من حدوث شقاق في الأقوام وتوحيد الدولة الإسلامية، لا يتم إلا بمبايعة خليفة واحد وذلك برضى جميع الاطراف.

6- البيعة هي الطريقة الشرعية في تنصيب الخليفة:

يكشف لنا اجماع الصحابة في سقيفة بني ساعدة عن طريقة الشرعية لنصب خليفة المسلمين وهذه الطريقة تنحصر في البيعة، كما يتضح ذلك في مبايعة أبي بكر رضي الله عنه، البيعة الخاصة في السقيفة والتي أقفل بها باب التنافس والترشيح للخلافة، والبيعة عنه، البيعة العامة عندما جلس أبو بكر في المجلس وتتابع الناس لبيعته، فالبيعة الأولى تسمى: بيعة الانعقاد، والبيعة الثانية تسمى بيعة الطاعة. وقد سبقت الإشارة إلى هاتين البيعتين عند الحديث عن إباحة التنافس على الإمارة وإباحة القيام بالداعية الانتخابية. ويوضح ذلك النبهاني بقوله: (حين أوجب الشرع على الأمة نصب خليفة

[1] الإمام النووي، شرح صحيح مسلم، م6، ج12، المصدر السابق، ص420.

[2] علي بن سعيد بن حزم الأندلسي، المحلي بالآثار، دار الكتب العلمية، بيروت، ج8، ج1، ص66.

[3] الطبري، تاريخ الطبري، ج3، المصدر نفسه، ص207.

عليها، حدد لها الطريقة وتلك الطريقة هي البيعة... فالبيعة هي الطريقة الوحيدة لنصب خليفة للمسلمين.... ومن تتبع ما يحصل في نصب الخليفة...نجد أن بعض المسلمين من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم. قد تناقشوا في سقيفة بني ساعدة وكان المرشحون سعد وأبا عبيدة، وعمر، وأبو بكر...ونتيجة المناقشة بويع ابو بكر. وفي اليوم الثاني دعي المسلمون إلى المسجد فبايعوه، وبهذه البيعة الأخيرة صار خليفة للمسلمين...وعقب وفاته مباشرة حضر المسلمون إلى المسجد وبايعوا عمر بالخليفة...، وحين طعن عمر وبعد وفاته رضي الله عنه ووقوع الاختيار على عثمان رضي الله قام المسلمون فبايعوا عثمان، فصار خليفة ببيعة المسلمين، لا باستحلاف عمر، ولا بإعلان عبد الرحمان بن عوف،...ثم قتل عثمان فبايع جمرة المسلمين في المدينة والكوفة علي بن أبي طالب فصار خليفة ببيعة المسلمين....)[1]. فالطريقة الوحيدة التي حددها الإسلام لانعقاد الخليفة هي البيعة بالرضا والاختيار من المسلمين، لا يجوز أن بداخلها إكراه ولا إجبار، لا من قبل الأمة ولا من قبل المرشح للخلافة، فلا بان يرشح للخلافة من تتوفر فيه الشروط، ليكون أكثر المسلمين فضلا، وأكثرهم كمالا، ولا بد من قبوله لمنصب الخلافة عن رضا من غير إكراه فان امتنع عن ترشيح نفسه أو لم يرضى عن ترشيح غيره له لا يجبر على ذلك، لأن الخلافة لا يجوز أن يكره عليها أحد، وهذ ما سار عليه المسلمون في عهد الصحابة رضوان الله عليهم. وفي هذا الصدد يقول الماوردي: ( فإذا اجتمع أهل العقد والحل للاختيار تصفحوا أحوال أهل الإمامة الموجودة فيهم شروطها فقدموا البيعة منهم أكثرهم فضلا وأكملهم شروطا، فإذا تعين لهم من بين الجماعة من أداهم الاجتهاد إلى اختياره عرضوها عليه، فإن أجاب إليها بايعوه عليها وانعقدت له الإمامة فلزم كافة الأمة الدخول في بيعته والانقياد لطاعته، وإن امتنع من الإمامة ولم يجب إليها لم يجبر عليها لأنها عقد مراضاة واختيار لا يداخله إكراه ولا إجبار...)[2].

فإجماع الصحابة يدل على أن الخلافة لا تعتقد إلا بالبيعة، وكانوا رضوان الله عليهم يجعلون البيعة على مرحلتين الأولى: بيعة الانعقاد، والثانية: بيعة الطاعة. ويتأكد ذلك في كل الروايات الموثوقة التي تنقل بيعة الصحابة للخلفاء الراشدين بدءا بأبي بكر في السقيفة وانتهاء بعلي بن أبي طالب. يروي الطبري بيعة الصحابة لأبي بكر رضي الله عنه فيقول: عن محمد

[1] ينظر ، تقي الدين النبهاني، نظام الحكم في الإسلام، دار الأمة للطباعة ونشر والتوزيع، بيروت، 1990، ص66- 70.

[2] أبي الحسن الماوردي، الأحكام السلطانية، دار الكتب العلمية، بيروت ، 1972، ص7.

بن اسحاق عن الزهري، قال حدثنا أنس بن مالك، قال: ( لما بويع أبو بكر في السقيفة؛ و كان الغد، جلس أبو بكر على المنبر... فبايع الناس أبا بكر بيعة العامة بعد بيعة السقيفة... ).[1] ويقول حسن إبراهيم: (اجتمع الأنصار إثر وفاة الرسول صلى الله عليه وسلم في سقيفة بني ساعدة ليختاروا من بينهم خليفة، ورشّحوا سيد الخزرج، وهو سعد بن عبادة... وأسرع عمر بن الخطاب ومعه أبو بكر وأبو عبيدة بن الجرّاح إلى السقيفة حيث قام بين الأنصار والمهاجرين نقاش طويل... وأخذ كل فريق يبرّر أحقيته بالخلافة...فقام عمر فبايع أبا بكر بالخلافة وبايعه المهاجرون والأنصار...وتسمى هذه البيعة:" البيعة الخاصة" إذا لم يبايعه إلا الذين حضروا السقيفة، ثم جلس أبو بكر على المنبر في اليوم التالي وبايعه عامة المسلمين "البيعة العامة)[2]. ويقول محمود الخالدي:( ...والأدلة الشرعية من الكتاب والسنة واجماع الصحابة، قامت على وجوب البيعة وأنها فرض على المسلمين، وأنها الطريقة الشرعية الوحيدة لنصب رئيس الدولة الإسلامية. وهذا ما ذهب إليه أهل السنة والجماعة والمعتزلة والخوارج.... وقالوا إن الخلافة لا تنعقد إلا ببيعة أهل الحل والعقد من المسلمين...تسمى:" بيعة الانعقاد"، وبيعة جميع المسلمين بعد ذلك هي: "بيعة الطاعة"... إن المتتبع بدقة للأحداث التي كانت تتم خلالها بيعة الامة لرئيس الدولة يجد أنها بيعتان....البيعة الأولى تسمى:" بيعة الانعقاد" والثانية: " البيعة العامة" ويقصد بها:" بيعة الطاعة"....)[3]. و يقول النبهاني: (... فكانت بيعة السقيفة "بيعة انعقاد"، صار بها –أبو بكر الصديق رضي الله عنه – خليفة المسلمين، وكانت بيعة المسجد في اليوم الثاني "بيعة طاعة" ...)[4]. لقد أبرزت هذه المقولات أن الطريقة الشرعية لإيجاد خليفة للمسلمين هي: البيعة ليس غير، فلا تنعقد الخلافة بالعهد أو الوصية، ولا يصطفي الله لها أحدا من البشر لا نصا مباشرا في الكتاب أو السنة، ولا بدلالة نصية، وإنما هي منصب بشري يختار المسلمون له من يرونه كفؤا لهذا المنصب، ويبايعونه ليتولى رعاية شؤونهم بالإسلام وأحكامه ونظمه، ويقودهم كل الدعوة الإسلامية في العالم بالجهاد في سبيل الله؛ لتكون كلمة الله هي العليا. وما يزيد الامر وضوحا قول النبهاني:( لا تنعقد الخلافة

---

[1] الطبري، تاريخ الطبري، ج3، المصدر السابق، ص 210، و ينظر، ابن كثير، السيرة النبوية، ج4، المصدر السابق، ص 4790-494.

[2] حسن ابراهيم حسن، تاريخ الاسلام السياسي، ج1، المرجع السابق، ص432، بتصرف بسيط، و ينظر الطبري، المصدر نفسه، ص 207-211، بتصرف بسيط، وينظر، ابن سعد، الطبقات الكبرى، ج3، المصدر السابق، ص 181-183، بتصرف.

[3] محمود الخالدي، قواعد نظام الحكم في الاسلام، مكتبة المحتسب، عمان، ط2، سنة 1983، ص260-263.

[4] النبهاني، نظام الحكم في الاسلام، دار الأمة للطباعة و النشر، بيروت، ط3، 1990، 68-70.

بالاستخلاف، أي بالعهد، لأنها عقد بين المسلمين والخليفة. فيشترط في انعقادها بيعة من المسلمين، وقبول من الشخص الذي بايعوه. والاستخلاف أو العهد لا يتأتى أن يحصل فيه ذلك ، فلا تنعقد به خلافة... وأما ما روي أن أبا بكر استخلف عمر، وأن عمر استخلف الستة، وأن الصحابة سكتوا...فكان سكوتهم اجماعا، فإن ذلك لا يدل على جواز الاستخلاف، أي العهد وذلك لأن أبا بكر لم يستخلف خليفة، وإنما استثمار المسلمين فيمن يكون خليفة لهم، فرشح عليا وعمر....ثم بعد وفاة أبي بكر جاء الناس وبايعوا عمر، وحينئذ انعقدت الخلافة لعمر، أما قبل البيعة فلم يكن خليفة، ولم تنعقد الخلافة له لا بترشيح أبي بكر، ولا باختيار المسلمين له، وإنما انعقدت حين بايعوه، وقبل الخلافة. وأما عهد عمر للستة فهو ترشيح لهم من قبله، بناء على طلب المسلمين... فالخلافة انعقدت لعثمان ببيعة الناس له، لا بترشيح عمر، ولا باختيار الناس، ولو لم يبايعه الناس ويقبل هو لم تنعقد الخلافة وعلى ذلك لا بد من بيعة المسلمين للخليفة، ولا يجوز أن تكون بالعهد، أو الاستخلاف...)[1]. وبهذا نخلص الى القول أن البيعة هي الطريقة الشرعية الوحيدة لتنصيب خليفة المسلمين وليس النص أو العهد.

7- وحدة الدولة ووحدة الأمة فرض محتم:

الإسلام يوجب على المسلمين وحدة الدولة ووحدة الامة، ويمنع وجود خليفتين للمسلمين وهذا من الأسس الرئيسية الهامة في الفكر الإسلامي، الذي ينبغي أن يكون بديهيا عند المسلمين، فالمسلمون منذ أن أقام رسول صلى الله عليه وسلم الدولة الإسلامية في المدينة، وهم يحافظون على وحدة الدولة والأمة، ويخضعون لخليفة واحد، ويعتبرون ذلك قضية مصيرية، ويتضح من ذلك من إجماع الصحابة في سقيفة بني ساعدة عندما قال الحباب بن منذر(" منا أمير ومنكم أمير". أجابه عمر بن الخطاب رضي الله عنه بقوله: "هيهات لا يجمع اثنان في قرن"!. .. وكذلك قول أبي بكر لسعد بن عبادة عند قوله:" يا معشر المهاجرين حسدتموني على الإمارة، وإنك وقومي اجبرتموني على البيعة". فقال أبو بكر:" إنا لو

[1] المرجع نفسه، ص 73-75.

أجبرناك على الفرقة فصرت إلى الجماعة كنت في سعة، ولكنا أجبرنا على الجماعة، فلا إقالة فيها؛ لئن نزعت يدا من الطاعة، أو فرقت جماعة، لنضربن فيه عيناك"...[1]).

فقول عمر:" هيهات لا يجتمع اثنان في قرن أولا يجتمع سيفان في غمد". وقول أبي بكر: "أجبرنا على الجماعة...لئن نزعت يدا من طاعة، أو فرقت الجماعة لنضربن الذي فيه عيناك". قيل كل ذلك على مرأى ومسمع كبار الصحابة جميعهم فلم ينكر عليهم أحد، و أقروهم على ذلك مما يدل على ان الصحابة مجمعون على منع وجود خليفتين للمسلمين فعمر رضي الله عنه استغرب قول الحباب فقال هيهات! وأبو بكر رضي الله عنه، استحل قتل سعد بن عبادة سيد الخزرج وصاحب السابقة ممن آووا ونصروا دين الله ومكنوا للمسلمين إقامة الدولة الإسلامية.

ولم ينكر أحد من الصحابة قوله مع قدرتهم على الإنكار فيكون إجماعا، والإجماع دليل شرعي كالكتاب والسنة، ويتأكد الإجماع بالأدلة الشرعية من الأحاديث النبوية الصحيحة، فكان إجماع الصحابة كاشفا عن هذه الأحاديث التي تفرض على المسلمين أن يجعلوا وحدة الدولة والأمة قضية مصيرية، تفرض عليهم بيعة خليفة واحد وتحرم عليهم القبول بخليفتين في وقت واحد. مثل قوله صلى الله عليه وسلم:(...وستكون خلفاء فتكثروا، قالوا: فما تأمرنا قال صلى الله عليه وسلم: فوابيعة الأولى فالأولى...).[2]

وقوله صلى الله عليه وسلم:( ...ومن بايع إماما فأطاعه صفقة يده وثمرة فلبه فليعطه أن استطاع فإن جاء ينازعه فأضربوا عنق الآخر....)[3]. وقوله صلى الله عليه وسلم:(...فمن أراد أن يفرق أمر هذه الأمة وهي جميع فاضربوه بالسيف كائنا من

[1] الطبري، تاريخ الطبري، ج3، المصدر السابق، ص220-223، وينظر ابن كثير، الكامل في التاريخ، ج3، المصدر السابق، ص329.

[2] النووي، شرح صحيح مسلم، م6، ج12، المصدر السابق، ص231.

[3] المصدر نفسه، ص233-234.

كان...)[1]. وقوله صلى الله عليه وسلم:( من أتاكم وأمركم على رجل واحد يريد أن يشق عصاكم وأو يفرق جماعتكم فأقلتوه...).[2]

فيفهم من هذه الأحاديث، ومن إجماع الصحابة، أنه لا يحل وجود خليفتين للمسلمين في عصر وفي هذا الصدد يقول الإمام ابن حزم: ( ولا يحل أن يكون في الدنيا إلا إمام واحد، والأمر الأول بيعة...)[3]. ويقول الماوردي:" إذ اعقدت الإمامة لإمامين في بلاد لم تنعقد إمامتها، لأنه لا يجوز أن يكون للأمة إمامين في وقت واحد...". فهذه المأثورات من أقوال العلماء في الفقه الدستوري الإسلامي، أقوال متقاربة يكاد أصحابها يجمعون على أن الخلافة لا تنعقد إلا لواحد فقط مهما تباعدت البلاد وكثر العباد لأن الغرض من الإمامة جمع الأمة على هدى الله وحمل كافة الخلق على مقتضى شرع الله تعالى، فإن تعددت الإمامة اضطربت الآراء، وتشعبت بالأمة الأهواء، وكثر الهرج والمرج بين الناس من جراء التنافس، والتطاول، فينتج عن تعدد الخلفاء في العصر واحد، خراب البلاد وهلاك العباد، فوحدة الأمة والدولة في ظل خلافة الراشدة هو الواقع الشرعي الذي جعل للمسلمين قوة سياسية وعسكرية، تؤثر في العالم، بالقيم الرفيعة والمثل العليا السامية، وتتصدر قيادة البشرية في ازالة الطغاة من الأرض، وترفع الظلم عن العباد، وتحمل الدعوة الإسلام عن طريق الجهاد في سبيل الله لكل أقطار العالم.

إذن فوحدة الأمة الإسلامية والدولة الإسلامية، أصل هام عند علماء العقائد والفقهاء، لهذا لم يخلُ عصر من العصور الإسلام من وجود خليفة يجمع كيان الأمة والدولة في كيان واحد، داخل دائرة الإسلام، وما أثبتناه من النصوص يؤكد منع تعدد الخلفاء والكيانات ويحتم وجود كيان واحد وخليفة واحد للمسلمين جميعا حتى ولو بلغت رقعة دولة الإسلامية أطراف العالم فقد امتدت دار الإسلام ثلاث قارات وظل لها خليفة واحد، دونما حاجة إلى تعدد الخلفاء، مع وجود ما يستوجب ذلك آنذاك، لصعوبة الاتصال وبعد المسافات، وكثرة الشعوب وتنوع اللغات والمعتقدات والأجناس، وصعوبة

[1] النووي، شرح صحيح مسلم، الصدر نفسه، 241.

[2] المصدر نفسه، ص242.

[3] ابن حزم الأندلسي، المحلي بالآثار، دار الكتب العلمية، بيروت،ج8، 1988، ص422، وينظر النووي، المصدر نفسه، 232، و ينظر القلقشندي ، مآثر الاناقة،ج1، المصدر السابق،ص45-48.

إدماجها الثقافي والسياسي في العادة، ورغم هذه الظروف كلها ظل المسلمون يمنعون عقد الإمامة لشخصين في صقع واحد لأنهم يعلمون حرمة ذلك مما فهموه من النصوص الشرعية التي تجعل وحدة الدولة والأمة قضية مصيرية، لأنهم يعلمون أن النبي صلى الله عليه وسلم أمر بذلك حيث يقول صلى الله عليه وسلم:( فإذا بويع لخليفتين فاقتلوا الآخر منهما....)[1]. وبهذا الخصوص أورد القلقشندي ما نصه: (لا تعقد البيعة لأكثر من واحد....فلو عقدت لاثنين معا لم تنعقد لواحد منهما...وما عليه الجمهور بطلان بيعتهما...)[2].

من هذا يمكن القول بأنّه يجب أن ينصب خليفة واحد لكي تجتمع الأمة والدولة على الرأي انعقادها لاثنين يحتم بالضرورة عزل كليهما المؤدي إلى بطلان بيعتها.

8- ليس لخليفة المسلمين قدسية. وذاته ليست مصونة:

هذه قضية هامة في الفكر السياسي، وقد دلت النصوص الشرعية عليها، وتشدد فيها الخلفاء الراشدون المهديون، حيث أن منصب الخلافة منصب بشري والدولة الإسلامية دولة بشرية، الحاكم فيها مقيد بشرع الله، ومطالب بتقوى الله في نفسه وفي سياسته لرعيته، فهو مسؤول مسؤولية كاملة عن أعماله وتصرفاته، قال صلى الله عليه وسلم: ( والإمام الذي على الناس راع وهو مسؤول عن رعيته)[3]. وإلى جانب هذه المسؤولية السياسية فهو مسؤول مسؤولية جزائية وجنائية عن تصرفاته وأفعاله، كمسلم مكلّف بتقوى الله وطاعته. وخليفة المسلمين ليس له مزية على أحد من الناس، سوى أنه أكثرهم مسؤولية، وأثقلهم عبئا فرسول الله صلى الله عليه وسلم قد سنّ لنا ذلك وهو المعصوم ليكون في هذا أسوة لأولياء أمور المسلمين فلا يستبدّون ولا يتطاولون على عباد الله بالنفوذ والسلطان. جلس رسول صلى الله عليه وسلم على منبر في مرضه الذي توفي فيه فقال: (يا أيها الناس، من كنت جلدت له ظهرا، فهذا ظهري فليستقد منه، ومن كنت شتمت له عرضا فهذا عرضي فليستقد منه، ومن أخذت له مالا فهذا مالي فليأخذ منه، ولا يخشى الشحناء من قبلي فإنها ليست من شأني، ألا وإن أحبّكم إليّ من أخذ منّي حقا، إن كان له، أو حلّلني فلقيت ربي وأنا طيّب

[1] النووي، شرح صحيح مسلم، م6،ج12، المصدر السابق، ص242.

[2] القلقشندي،ج1، المصدر السابق، ص46-47.

[3] ابن حجر العسقلاني، فتح الباري شرح صحيح البخاري، ج13، المصدر السابق، ص111.

النفس...).[1] فلو كان لحاكم قدسية، وكانت شخصية الحكام مصونة لا تمس، وكانت للحكام حصانة تمنع من مساءلتهم، لكان أولى البشر بذلك رسول صلى الله عليه وسلم، فكان هذا الإجراء النبوي معالجا لكافة المظالم الدستورية في هذا الشأن المسؤولية في الإسلام، ليست تسلّطا وتجبرا وتعاليا على خلق الله وليست هيمنة وسيطرة، و إنما هي رعاية لشؤون الناس في الدنيا بشرع الله عزّ وجلّ، فالخليفة في رعيته كالوالد البارّ في أسرته وأبنائه، قال تعالى:﴿ **وَمَا أَنْتَ عَلَيْهِمْ بِجَبَّارٍ** ﴾[2].

وهذا ما سار عليه الخلفاء الراشدون، فها هو أبو بكر الصديق رضي الله عنه يقول عندما يبايع بالخلافة:( أيها الناس قد وليت عليكم ولست بخير منكم، إن أحسنت فأعينوني وإن أسأت فقوموني....)[3]. وهذا عمر بن الخطاب يعطي القود من نفسه، ويعطي الرعية القود من الولاة، وقد أشتهر كل ذلك عن الخلفاء الراشدين وعرفوا بذلك.

وهذا مما ينسجم مع قاعدة رئيسية من قواعد الحكم في الإسلام، وهي أن السلطان للأمة الإسلامية، فالأمة هي التي تبايع الخليفة، وهي التي تراقبه، وهي التي تراقبه، وتحاسبه ومنذ تخلي المسلمين عن هذه القاعدة الذهبية في الفكر السياسي والبلاء يعمّهم، والفساد ينتشر في بلادهم، و الانحطاط ظاهر عليهم، فمهابة الأمة من السلطان، وتخليها عن دورها في تنصيبه، ومحاسبته وتقويمه، بل وعزله إن أساء أو ظلم، أي تخليها عن سلطانها، أو السكوت عمن يغتصب سلطانها، كل ذلك سبب مباشر في طغيان الحكام وتسلطهم، وكل ما تعانيه الأمة الإسلامية من ويلات في الحاضر، وما حدث لها في الماضي، إنما هو في معظمه من تفريط الأمة بسلطانها، وسكوتها عن مغتصبي السلطة، وما أحاديث الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، ووجوب الأخذ على يد الظالمين، وعدم الركون لهم، وتحريم مهابة الظالمين إلى توجيهات شرعية مباشرة في إلزام المسلمين بالحرص على هذه القاعدة الهامة من قواعد الإسلام في الفكر السياسي من مثل قوله صلى الله عليه وسلم:( لتنقضن عرى الإسلام عروة عروة...فأولهن نقضا للحكم وآخرهن الصلاة...)[4]. رواه ابن حيان من حديث

---

[1] ابن سعد، الطبقات الكبرى، م6، المصدر السابق، ص255.

[2] سورة ق، الآية 45.

[3] احسان عبد المنعم عبد الهادي سمارة، النظام السياسي في الاسلام، المرجع السابق، ص65.

[4] المرجع نفسه، ص66.

أبي أمامة قوله صلى الله عليه وسلم: (سيكون أمراء تعرفون وتنكرون، فمن نابذهم نجا، ومن اعتزلهم سلم، ومن خالطكم هلك)[1]. رواه البزار و الطبراني في الكبير عن ابن عباس وقوله صلى الله عليه وسلم: (لتأمرون بالمعروف ولتنهون عن المنكر، أو ليسلطن الله عليهم شراركم، فيدعوا خياركم فلا يستجاب لهم).[2]

فهذه النصوص وأمثالها تبين أن خليفة المسلمين ليس مصونا بل هو محاسب أكثر من غيره، كما تبين الضمانة الشرعية في منع استبداد الحاكم في الأمة فالحاكم في الإسلام، إنما هو فرد عادي تأهل للخلافة بشروط شرعية والأمة أنابته ليسوسها بشرع الله في الداخل والخارج، وهو مسؤول مسؤولية كاملة عن أعماله سياسيا وجنائيا.

9- مدة بقاء الخليفة في الحكم والسلطان:

ومن القضايا السياسية الهامة التي يكشف عنها إجماع الصحابة في سقيفة بني ساعدة، الذي يدل على أن الإسلام لا يوجد فيه تقييد الخليفة بمدة زمنية محددة، وإنما يقيد بشروط يلزم بالوفاء بها، وإن أخل بشرط منها عزل من منصبه، أما إن وفى بتلك الشروط، فيبقى في الحكم طيلة حياته، ما دام صالحا له وقادرا عليه، قائما بواجباته الشرعية التي بويع عليها. فإجماع الصحابة على أن لا إقالة في أمر البيعة بعد انعقادها. وقول الأنصار لفاطمة بنت الرسول الله: (يا بنت رسول الله، قد مضت بيعتها لهذا الرجل- أي لابي بكر رضي الله عنه -ولو أنّ زوجك وابن عمك سبق غلينا ما عدلنا به..)[3].

فهذه الأقوال حصلت على مسمع الصحابة ولم ينكرها أحد منهم فيكون إجماعا على أن البيعة إذا انعقدت لخليفة، لا تحلّ فيها الإقالة، فعقد البيعة يلزم الأمة بالسمع والطاعة للخليفة المبايع ما دام ملتزما بتقوى الله في نفسه، قائما بحق الله عليه فيما استرعاه من رعية المسلمين يحملهم على شرع الله ويسوسهم به، كما يحرم عليه أن يتخلى على مسؤولياته في الخلافة، فبعقد البيعة يلزم الخليفة بالقيام بمسؤولياته وواجباته التي تجب عليه نحو الأمة وتلزم الأمة شرعا بطاعته، ونصرته ما لم يتغير حاله، ولو ظل طيلة حياته حاكما، فإن أخلّ بعقد البيعة وجب عزله، بغضّ النّظر عن مدة حكمه، لذا نجد أن أبا بكر الصديق رضي الله عنه يقول للمسلمين عند جلوسه للبيعة على الطاعة قال: ( أطيعوني ما أطعت الله ورسوله؛

[1] احسان عبد المنعم عبد الهادي سمارة، المرجع نفسه، ص 66.

[2] المرجع نفسه، ص 66.

[3] ابن قتيبة الدينوري، الإمامة والسياسية، المرجع السابق، ص19.

فإذا عصيت الله ورسوله فلا طاعة لي عليكم...).[1] يفهم من رواية الطبري وابن كثير وغيرهم فيما رووه من قول أبي بكر الصديق رضي الله عليه على مسمع الصحابة أنه ربط طاعتهم له بطاعته لله ورسوله، ولم يربطها بمدة زمنية محددة. فمعنى هذا أن الإجماع منعقد على وجوب استمرار طاعة الخليفة طيلة حياته ما دام مطيعا لله قائما بواجباته نحوهم، فطاعتهم له مشروطة بطاعته لله ورسوله، وليست مشروطة بمدة زمنية محددة. و في هذا الصدد يقول الخالدي: ( تحديد فترة زمنية لرئاسة الخليفة مخالف لإجماع الصحابة الذي انعقد على أنّ الخليفة يبايع مدى الحياة ما دام يحكم بما تضمّنه عقد البيعة...)[2]. ويقول النبهاني:( ليس لرئاسة الخليفة مدة محددة بزمن محدد فما دام محافظا على الشرع، منفذا لأحكامه، قادرا على القيام بشؤون الدولة، ومسؤوليات الخلافة فإنه يبقى خليفة ذلك أن نص البيعة الواردة في الأحاديث جاء مطلقا ولم يقيد بمدة زمنية محددة ... و أيضا فإنّ الخلفاء الرّاشدين قد بويع كلّ منهم بيعة مطلقة ... وكانوا غير محدودي المدّة، فتولى كل منهم الخلافة منذ أن بويع حتى مات. فكان ذلك إجماعا من الصحابة رضوان الله عليهم على أنّه ليس للخلافة مدة محددة، بل هي مطلقة فإذا بويع ظل خليفة حتى يموت...).[3] و حاصل القول أنّ عقد الخلافة إن عقد لرجل استكمل شروط الخلافة، يظل بهذا العقد طيلة حياته خليفة للمسلمين يجب له على المسلمين حقّ الطاعة والنصرة ما دام يلتزم بالإسلام فيهم، وما دام يقدر على الوفاء بواجبات الخلافة المشروعة. و يكاد أن يكون هذا الرأي من الأمور البديهية في الفكر السياسي الإسلامي. يتضح ذلك من خلال أقوال علماء السياسية الشرعية، كالماوردي البغدادي، وابن حزم وغيرهم ممن تناول هذا الموضوع بالبحث. ومما يقوله هؤلاء الأئمة الأعلام أن الإمام يبقى على حاله طيلة حياته ولا يخلع من منصبه أو ينخلع إلا في حالة عدم عدله، أو ما إلى ذلك من أمور تمنع الخليفة من مباشرة مهامه وقيامه بواجباته الشرعية المناطة به اتجاه المسلمين.

ويقول القلقشندي:( يخلع الخليفة نفسه من الخلافة لعجز من القيام بأمور الناس، من هرم أو مرض ونحوهما، فإذا اخلع نفسه لذلك انخلع...ولو عزل نفسه من غير عذر من عجز ففيه ثلاثة أوجه أصحّها: أنّه لا ينعزل ، لأنّ الحقّ في ذلك

[1] الطبري، تاريخ الطبري، ج1، المصدر السابق، ص19.

[2] محمود الخالدي، معالم الخلافة في الفكر الإسلامي، المرجع السابق، ص299-335، بتصرف بسيط.

[3] النبهاني، نظام الحكم في الإسلام، المرجع السابق، ص87-88.

للمسلمين لا له.....يخلعه أهل الحلّ والعقد...إن كان قد حدث في حاله خلل فلهم عزله، وإن كان مستقيم الحال فليس لهم ذلك، لأنّا لو جوّزنا ذلك لأدّى إلى الفساد... وزوال الهيبة وفوات الغرض من انتظام الأمر...).[1]

إذن بانعقاد الخلافة لرجل مستجمع لشروط الخلافة، يظل طول حياته خليفة ما لم يتغير حاله ويفسد أمره، ومعنى هذا أن الإسلام لم يحدد مدة زمنية لفترة الخلافة، ولا تنتهي صلاحيات الخليفة بمدة زمنية، وإنما بخلل يحصل منه، إما في دينه أو في بدنه، أو أي خلل يتناقض مع ما بويع عليه من قبل المسلمين، وفي هذا الصدد يقول القلقشندي: (... يخلعه أهل الحل والعقد قال المتولي: إن كان قد حدث في حاله خلل فلهم عزله، وإن كان مستقيم الحال فليس لهم ذلك، لأنا لو جوزنا ذلك لأدى إلى الفساد...)[2]. فعلى ضوء هذا يفهم بأن عقد الخلافة عقد يتعلق به حق الخير، ويرتبط به كيان الأمة الإسلامية كلها، لأن الإسلام جعله وقاية للمسلمين من الخلاف والاختلاف، وجعله مسؤولا عن المسلمين في السلم وفي الحرب. قال صلى الله عليه وسلم: ( ..."وإنما الإمام جنة يقاتل من ورائه ويتقي به". ويشرح الإمام النووي الحديث بقوله: "الإمام جنة" أي كالستر لأنه يمنع العدوّ من أن يؤذي المسلمين، ويمنع الناس بعضهم من بعض ويحمي بيضة الإسلام ويتقيه الناس ويخافون سطوته...)[3]. يقول القاضي عياض:( أجمع العلماء على أن الإمامة لا تنعقد لكافر، وعلى أنّه لو طرأ عليه كفر وتغير انعزل...وكذا لو ترك إقامة الصّلاة والدّعاء إليها...فلو طرأ عليه كفر وتغير للشرع أو بدعة خرَج عن حكم الولاية وسقطت طاعته، ووجب على المسلمين القيام عليه وخلعه ونصب إمام عادل...).[4]

فيفهم من هذه الأدلة الشرعية الواردة في هذا الموضوع بأن عقد الخلافة من العقود اللاّزمة، فيظل الخليفة بموجبه في منصبه بكامل صلاحياته، لا يستقيل ولا يقال إلاّ عند تغير حاله بفسق، أو ضعف قدرته عن القيام بمهام الخليفة، أو نقص في بدنه. فالخليفة مقيد بشروط شرعية يجب عليه الالتزام بها بمقتضى عقد الخلافة بينه وبين الأمة الإسلامية، وليس مقيد بمدة أو وقت.

---

[1] القلقشندي، مآثر الأنافة، المصدر السابق، ص65-66، بتصرف بسيط.

[2] الطبري، تاريخ الطبري، ج3، المصدر السابق، ص530-531.

[3] النووي، صحيح مسلم بشرح النووي، ج12، المصدر السابق، ص230.

[4] المصدر نفسه، ص 229.

# الفصل الثاني

الخلافة في العصر العباسي:

المبحث الأول: الخلافة والخليفة

المبحث الثاني: ولاية العهد

المبحث الثالث: خلفاء بني العباس

## المبحث الأول: الخلافة والخليفة

1- الخلافة

ماهيتها:

يعتبر اليوم الثاني عشر من ربيع الأول سنة إحدى عشرة من الهجرة، يوم من أخطر الأيام التي مرت في تاريخ المسلمين ففي ذلك اليوم توفي الرسول صلى الله عليه وسلم وفيه قامت الخلافة ، فقد قام الدارسون بتعريفها ووقوف عند أهم أسسها و معالمها.

فالخلافة في الاصطلاح اللغوي من مصدر "خلف "يقال " خلفه خلافة، كان خليفته و بقي بعده.

و الخليفة السلطان الأعظم، و الجمع خلائف و خلفاء"[1].

فالخلافة في الأصل موضوعة ليكون شخصا خلفا لآخر، و لهذا سمي من يخلف النبي صلى الله عليه و سلم في الأحكام الشرعية خليفة .

ورد في لسان العرب خلف فلان فلانا، إذا كان خليفته و خلفه يخلفه، صار خلفه و اختلفه: أخذه من خلفه و اختلفه و خلفه و أخلفه ، جعله خلفه.

مثال: جلست خلف فلان أي بعده.

و يقال: خلفت فلانا أخلفته تخليفا و استخلفته أنا جعلته خليفتي، و استخلفه جعله خليفة و الخليفة الذي يستخلف ممن قبله، و الجمع خلائف، جاؤوا به على الأصل مثل كريمة و كرائم، وهو الخليفة و الجمع الخلفاء[2].

و الخليفة هو الذي يخلف النبي صلى الله عليه وسلم في أمته فيقال خليفة بإطلاق أو خليفة رسول الله.

و قد اختلف في تسميته خليفة الله، فأجازه بعضهم اقتباسا من الخلافة العامة التي للآدميين في قوله تعالى:﴿ **وَهُوَ الَّذِي جَعَلَكُمْ خَلَائِفَ الْأَرْضِ**﴾[3] وقد نهى أبو بكر المسلمين عن تسميته (خليفة الله)

و اعتبر نفسه خليفة رسول الله، فالاستخلاف إنما هو للغائب لا للحاضر يقال خلفت فلانا في أهله، و ماله خلافة، صرت خليفته، و خليفة أصله خليف بغير هاء، لأنه بمعنى الفاعل، و الهاء للمبالغة ،

---

[1] أنور الرفاعي، نظم إسلامية، دار الفكر دمشق، 1973، ص9.

[2] ينظر، ابن منظور، لسلن العرب، مادة خلف، دار الصادر، بيروت، مج5، ط4، 1970، ص131

[3] سورة الأنعام، الآية 165.

و منهم من يجمعه باعتبار الأصل، فيقول: الخلفاء ، مثل شريف وشرفاء و منهم من يجمع باعتبار اللفظ، فيقول الخلفاء، و يجوز تذكير و تأنيثه[1]

أما في الاصطلاح الإسلامي فيقول ابن خلدون: ( هي حمل الكافة على مقتضى النظر الشرعي في مصالحهم الأخروية، و الدنيوية الراجعة إليها فهي في الحقيقة خلافة عن صاحب الشرع ، في حراسة الدين، و سياسة الدنيا)[2].

فالخلافة إذن و ما فيها من الألفاظ هي رئاسة دينية، و مدنية على عامة المسلمين كافة يتقلدها فرد واحد.

**2- الخليفة:**

هو الذي ينوب عن الأمة في الحكم و السلطان، و تنفيذ أحكام الشريعة، و حماية بلاد الإسلام، و لحفاظ على الأعراض و الأموال و الأنفس.

و الخليفة تعنيه الأمة، لإقامة مصالحها الدنيوية و الدينية . و خلافته مفتقرة الى بيعة الناس، فإذا بايعوه انعقدت له الخلافة و صار وليا لأمور هم. ولزمتهم طاعته، لا تتم بيعة الخليفة الا إذا بايعه أهل الحل و العقد، و تكون بيعة انعقاد، بالرضى و الاختيار مستجما لشروط الخلافة. اتخذ الخليفة ثلاثة ألقاب:(الخليفة)و (أمير المؤمنين)و (الإمام). أما لقب الخليفة فقد ورد في القرآن غير مرة، و لكنه لم يرد بالمعنى الذي صار استعماله في عهد الدولة الإسلامية[3] ، و أول من استعمل هذا اللقب الخليفة الأول أبو بكر وكان يطلق عليه (خليفة رسول الله).

فلما ولي عمر بن الخطاب كانوا يخاطبون أول الأمر، يا خليفة رسول الله ، وكان هذا اللقب ثقيلا على الآذان، قد عدت الحالة الى استعمال لقب آخر أسهل و أفضل، فاستعملوا لقب (أمير المؤمنين) ، و كان عمر أول من لقب بذلك، أما كلمة (إمام) فقد وردت في القرآن، وكانت تعني أول الأمر ما تعنيه كلمة(خليفة) و لم تستعمل عند السنة الا قليلا، و استعملها الشيعة أكثر منهم.[4]

---

[1] ينظر الشيخ النعماني المكي، الخلافة بين الاصالة والحداثة، منشورات دحلب،د.ت، ص31.

[2] ابن خلدون ، مقدمة، المصدر السابق، ص587.

[3] ينظر أنور الرفاعي، المرجع نفسه، ص18.

[4] المرجع نفسه، ص19

تتمثل في لفظ الإمام الصفة الدينية من حيث الإمامة في الصلاة التي ترتبط ارتباطا وثيقا بالدين، وقد ورد لفظ إمام في القرآن بمعنى الزعيم أو الدليل أو الرئيس. كما في هذه الآية الكريمة :﴿ وَجَعَلْنَاهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا وَأَوْحَيْنَا إِلَيْهِمْ فِعْلَ الْخَيْرَاتِ ﴾.[1]

- واجبات الإمام:

_ حدد الفقهاء - و من بينهم الماروردي-واجبات الامام فجاءت كما يلي:

_ حفظ الدين على اصوله المستقرة و ما اجمع عليه سلف الامة.

_ تنفيد الاحكام بين المتشاجرين والمتخاصمين حتى تعم النصفة.

_ إقامة حدود الله.

_ انتقاء واختيار: الولاة الذين يقومون على أعمال الدولة الإسلامية.

_ مباشرة أمور الأمة بنفسه والقيام على مصالحها.[2]

_ تحديد سياسة الدولة الداخلية والخارجية.

_ تولي قيادة الجيش، وله سلطة إعلان الحرب وعقد الصلح والهدنة وسائر المعاهدات وقد كان الرسول صلى الله عليه وسلم، حين أقام الدولة الإسلامية في المدنية يتولى جميع السلطات، ثم انتقلت هذه السلطة إلى الخلفاء الراشدين من بعده. وكان رسول الله يعين بنفسه الولاة والحكام والجباة ويحاسبهم، وكان يراقب الأسواق بيعه وشراءه.

**3- علامات وشارات الخلافة:**

وللخليفة علامات تشير إلى شخصية وهي:

1- البردة: هي بردة الرسول التي كان يرتديها إلى أن أعطاها للشاعر كعب بن زهير بن أبي سلمى، الذي كان قد اعلن توبته وندمه على هجاء الرسول ثم مدح الرسول بقصيدته المشهورة التي مطلعها:

(بانت سعاد فقلبي اليوم متبول)

---

[1] سورة الأنبياء، آية 73.

[2] الماوردي، الأحكام السلطانية، المصدر السابق،ص15-16.

وتداول أهل كعب البردة إلى أن اشتراها منهم معاوية بن أبي سفيان بأربعين ألف درهم، وتوارثها الأمويون والعباسيون.

2- الخاتم: صنع الرسول صلى الله عليه وسلم خاتما حينما بعث خطابه المشهور إلى كسرى فارس، وكان الاكاسرة لا يقبلون كتبا بدون أختام، فصنع الرسول خاتما من فضة ونقش عليه "محمد رسول الله" وانتقل الخاتم إلى أبي بكر ثم إلى عمر ثم إلى عثمان، ولكن الخاتم سقط من أصبع عثمان في بئر أريس، فاصطنع عثمان خاتما مثله. وحرص كل خليفة على اصطناع خاتم يختمون به كتبهم بالطين أو المداد أو الشمع. وكان معاوية أول من أنشأ ديوان الخاتم.

3- القضيب: هو ثالث علامات الخلافة، فإذا تولى الخليفة جاءوه بالبردة والخاتم والقضيب، وظل الأمر على ذلك في الدولة الأموية والدولة العباسية.

4- الخطبة: هي الدعاء للخلفاء على المنابر في الصلاة، وأصلها أن الخلفاء كانوا يتولون إمامة الصلاة بأنفسهم فكانوا يختمون فروض الصلاة بالدعاء للرسول والرضى عن الصحابة[1]. فلما فتحوا البلاد وبعثوا إليها العمال. صار الولاة يتولون إمامة الصلاة في ولايتهم، فكانوا إذ صلوا ختموا الصلاة بالدعاء للخلفاء. وأول من فعل ذلك منهم عبد الله بن عباس لما تولى البصرة في عهد علي بن أبي طالب، فإنه وقف على منبر الصلاة وقال " اللهم انصر عليا على الحق". وبهذا صار الامر معروفا، بحيث كان كل خليفة يدعوا على المنابر البلاد التي تخضع لسلطته.

5- السكة: ومن شارات الخلافة نقش اسم الخليفة على السكة أي العملة بطابع من حديد.

6- الطراز: حرص الخلفاء الأمويون ثم العباسيون على رسم اسماءهم أو علامات مميزة على اثوابهم، وعلى ثياب كبار رجالهم وجنودهم.[2]

كل الذي ذكرناه هي شارات تدل على ان الشخص هو خليفة على المؤمنين فالبردة والخاتم والقضيب أشياء تسلم إلى الخليفة إذا تولى هذا المنصب.

---

[1] ينظر أنور الرفاعي، المرجع نفسه، ص20.

[2] ينظر، حسن ابراهيم حسن، النظم الاسلامية، المرجع السابق، ص50.

## المبحث الثاني: ولاية العهد

### 1- ولاية العهد:

استمرت ولاية العهد وراثية في العصر العباسي الأول، كما كانت عليه في العصر الأموي، فقد أخذ الخليفة العباسي يعين ولي عهده ويأخذ في حياته البيعة من وجوه الناس والأعيان وكبار القواد ويلجأ أحيانا إلى توليه العهد لأكثر من واحد من أبنائه أو أقربائه.[1]

ولهذا السبب واجهت الخلافة العباسية كثيرا من المشاكل حول ولاية العهد وشرعيتها ومسألة نقلها من ولي عهد إلى آخر، فالخليفة الأول أبو عباس السفاح قرر واقتنع بأن المرشح للمنصب من بعده هو أخوه أبو جعفر المنصور الذي يستطيع ضمان الحفاظ على الخلافة في نسل ابيه محمد العباسي، ولما أبداه أبو جعفر المنصور من الأعمال الكبيرة في خدمة الدولة العباسية، ولامتلاكه ثقافة علمية وفقهية، إذ كان يحضر الحلقات الأدبية والكلامية والمناقشات الدينية والسياسية في البصرة، وصاحب عددا من علمائها مثل: عمرو بن عبيد وغيره، وجعل عيسى بن موسى وليا للعهد بعد المنصور مبعدا ابنه محمدا عنها لضعف قدرته الإدارية والشخصية وصغر سنه[2]، وما أثار غضب عمه عبد الله بن علي الذي ادعى بأن أبا العباس كان قد وعده بالخلافة إذا تمكن من قتل مروان بن محمد، وقد فعل، ولكنه لم يعلن ذلك رسميا أو علنيا[3].

وحين توفي أبو عباس السفاح سنة 136هـ/ 753م أعلن الخليفة أبو جعفر المنصور ولي عهده عيسى بن موسى، والتطور الجديد الذي حدث هو رغبة المنصور في جعل الخلافة في نسله وإبعاد ابن أخيه عيسى بن موسى عن ولاية العهد، وقد بدأ يعرض هذا الموضوع على رجال الدولة بعد نجاحه في القضاء على ثورة محمد ذي النفس الزكية لكن المانع الوحيد عيسى بن موسى الذي فاتحه المنصور أول مرة عام 147هـ / 764م، وحاول إقناعه بمختلف الحجج والأساليب للعدول عن رأيه حتى نجح في ذلك. فبايع المهدي على أن يكون ولي عهده عيسى بن موسى بعد منحه المال والقطائع لتسهيل ذلك[4].

---

[1] ينظر ابراهيم الكروي، المرجع في الحضارة العربية الاسلامية، منشورات ذات السلاسل، الكويت، ط2، 1987، ص39.

[2] ينظر الطبري، تاريخ الرسل و الملوك، ج7، المصدر السابق، ص470.

[3] ينظر المصدر نفسه، ص474.

[4] المصدر نفسه، ج8، ص19-25-20.

ونلاحظ أن المنصور قد نجح في وضع اللبنة الأولى في النظام ولاية العهد ليكون في يد أبنائه وأحفاده، من بعده تاركا لابنه المهدي بذور المشكلة نفسها بقبول عيسى بن موسى وليا للعهد، تاركا الزمن كي يحلها بقوته.[1]

ولما جاء المهدي للحكم سنة 158 هـ/ 875م، وفي مدة مبكرة لا تتجاوز السنة قرر تعيين ابنه موسى الهادي وليا للعهد متجاوزا مرة أخرى عيسى بن موسى، وحين أمره المهدي بخلع نفسه رفض بحجة أن عليه عهدا في ماله وأهله، ولا يمكن نقضه أو مخالفته مما حدا بالخليفة المهدي إلى استدعاء عدد من العلماء والقضاة للاستفسار حول إمكانية نقض هذا العهد.

حاول بعد ذلك موسى الهادي خلع أخيه هارون الرشيد بعد أن كان والدهما قد رتب ولايتهما للعهد بشكل متتابع.[2]

خشي الخليفة هارون الرشيد أن يحدث بين أبنائه مثلما حدث بينه وبين الهادي فكتب الى المؤمون كتابين يحدد ويفصل ولاية العهد فيهما وكذا ما يتعلق بحقوق الوالدين في ولاية العهد.

وكرر الأمين سياسة المنصور والمهدي في السعي لخلع ولي العهد الثاني الذي كان قد اختاره سلفه متبعا سياسة الإقناع والمراسلة في ذلك محاولا نقض البيعة لأخويه المأمون والقاسم.

وحدث تطور جديد في عهد الخليفة المأمون عندما جعل في البدء ولي عهده الإمام على الرضا متظاهرا أنه يرمي لنقل الخلافة من البيت العباسي إلى البيت العلوي، وكان ذلك في الحقيقة مناورة سياسية أراد بها المؤمون إظهار العلويين ما خفى منهم، وكسب الطبقة العامة إلى جانبه.

ولما رأى المأمون عدم نجاح طريقته وعدم تحقق غايته في الرضا توفي فجأة، واختلفت المصادر في ذكر سبب وفاته.

وبعدها لم تحدث مشكلة في عهده لأنه سلم الخلافة لأخيه المعتصم بالله بعدما توثق من كفاءته وقدرته العسكرية مبعدا ابنه العباس عنها.

وبعد وفاة المعتصم انتقلت الخلافة الى الواثق بشكل طبيعي وبدون مشكلة تذكر.[3]

---

[1] ينظر، شاكر مصطفى، دولة بني العباس، خالد بن الوليد، دمشق، ط1،ج1، 1973، ص903.

[2] ينظر، الطبري، المصدر نفسه، ص125.

[3] ينظر، الطبري، تاريخ الرسل و الملوك، ج9، المصدر السابق،ص118-119.

وفي سنة 232 هـ / 846م توفي الواثق تاركا المشكلة من غير حل إذ رفض أن يعهد لأحد من بعده بالخلافة، فعقد كبار رجال الدولة مؤتمرا لاختيار جديد انتهى بتولية المتوكل على الله[1]، الذي يبدو أنه لم يتعظ بتجربة الرشيد المؤلمة، إذ جعل الخلافة لأبنائه الثلاثة من بعده وهم المنتصر والمعتز والمؤيد.[2]

وهكذا استمرت ولاية العهد متضاربة بين خلفاء بني العباس أحد عن اخر يوليها لأبنائه من بعده دون اي تفكير في العواقب والمشاكل التي كانت تنجر عن تلك الولايات للعهد.

[1] المصدر نفسه، ص150-151.

[2] المصدر نفسه، ص 176-177.

## المبحث الثالث: خلفاء العصر العباسي الأول

### 1- أبو العباس السفاح: ( 132هـ / 749م – 136هـ / 754م)

هو أبو العباس عبد الله بن محمد بن علي بن عبد الله بن العباس، وكنيته أبو العباس، ولد سنة 104هـ[1] بالحميمة وهي القرية التي كان أبوه وجده نازلين بها، وأمه ريطة بنت عبيد الله بن عبد الله بن عبد المدان الحارثي، كان كريما حليما، وقورا عاقلا كثير الحياء، حسن الأخلاق.[2]

في أخلاقه يقول المسعودي:" إنه كان جميلا وسيما".

ويقول السيوطي:" و كان السفاح أسخى الناس، ما وعد عدة فأخرها عن وقتها، ولا قام من مجلسه حتى يقضيها".[3]

وفي قول آخر للمسعودي:" ولم يكن أحد من الخلفاء يحب مسامرة الرجال مثل أبي العباس السفاح، وكان كثيرا ما يقول إنما العجب من يترك أن يزداد علما، ويزداد جهلا".[4]

بيعته:

كان إبراهيم العباسي قد أوصى لأخيه أبي العباس عبد الله بن محمد بإمامة الدعوة العباسية من بعده ، وهذا بعد إحساسه باقتراب منيته، فأمره أن يسير بأعماله وأهل بيته إلى الكوفة، ولما وصلها هاربا بأهله رفقة الجيوش العباسية قبل قادة الجيوش والدعاة به وبايعوه بيعة خاصة، وكان ذلك ليلة الجمعة 13 ربيع الأول سنة 132هـ الموافق ل: 30 أكتوبر 749م. وفي اليوم التالي خرج أبو العباس إلى المسجد مع مجموعة من الجند عددهم 1000 فارس إذ لم يكن واثقا من تأييد الكوفيين، فتلقى الناس البيعة العامة.

وفي أول خطبة ألقاها الخليفة أبو العباس بعد مبايعته في مسجد الكوفة أوضح بأن الثورة العباسية قامت باسم الاسلام ومن اجله وأنها تعني العدالة للمظلومين والمستضعفين من الناس وزاد من أعطيات الناس فجعلها 100 درهم شهريا[5]. وأكد بأن للعباسيين الحق في الخلافة لأنهم أقرباء الرسول صلى الله عليه وسلم

---

[1] ينظر، الخضري بك، الدولة العباسية، المرجع السابق،ص48.

[2] ينظر، ابن طباطبا، الفخري، المصدر السابق، ص151.

[3] المسعودي، مروج الذهب، القاهرة ج2 ، 1346 هـ، ص215.

[4] المصدر نفسه، ص217.

[5] فاروق عمر فوزي، الخلافة العباسية، المرجع السابق، ص29.

وندد بسياسة الامويين وظلمهم للناس كما حذر المتطرفين من الحركة واعدا و متوعدا بأنه السفاح المبيح والثائر ومن هنا جاء لقبه بالسفاح.[1]

الأحوال الداخلية التي كانت سائدة في عهده:

قضى أبو العباس أكثر حياته في إخماد تلك الثورات التي كانت كثيرة فلم تكن هزيمة مروان وقتله منتهى متاعب العباسيين فإنه كان لا يزال في الأمة العربية قواد ضلعهم مع بني أمية، ولا يزال عندهم شيء من القوة فكانوا يثورون إما خوفا على أنفسهم من بني العباس الذين أظهروا قوة شديدة في معاملة مغلوبيهم وإما طمعا في إعادة تلك الدولة العربية التي كان لهم منها نصيب وافر، ولقد كانت تلك الثورات بالشام والجزيرة والتغلب على يزيد بن هبيرة الذي كان أمير العراق لمروان بن محمد وتحصن بمدينة واسط بعد غلبة العباسيين على الكوفة وما معها.[2]

كانت حياة أبي العباس مفعمة بحوادث القسوة التي لم يشهد التاريخ مثلها مع بقايا بني أمية ومع غيرهم من أولياء الدولة الذين كان لهم الأثر المحمود في إحيائها.

ولقد كانت جيوش أبي العباس تستعد للجولة الأخيرة مع الأمويين حين بويع بالخلافة، حيث كانت مهمته شاقة وعسيرة، كان عليه أن يثبت أقدام العباسيين في الحكم، ويوطد أركانهم، ورأى أن يستعين بإخوانه وأعمامه وأبناء إخوته، ويشركهم في أمره حتى لا يستأثر القواد والدعاة بالأمر دونهم و من جهة أخرى، فإنه أراد نقل السلطة تدريجيا إلى أيدي أفراد الأسرة العباسية، فعين عمه سليمان بن علي واليا على البصرة وأعمالها، وعمه إسماعيل بن علي كور الأهواز، وعمه داود بن علي الحجاز واليمن بعد أن عزله عن الكوفة، وعمه عبد الله بن علي واليا على حرب مروان الثاني، وأخاه أبو جعفر المنصور لقتال يزيد بن هبيرة.[3]

ولما تململ بعض القادة الذين قامت على أكتافهم الثورة خافوا من أن يتنصب غيرهم في مواطن السلطة، هذا الذي دفع الخليفة السفاح إلى بعث الراحة والاطمئنان في نفوسهم بأن مشاركة أهله في تلك الأمور ليست

---

[1] ينظر، الهاشمي عبد المنعم، الخلافة العباسية، المرجع السابق، ص43.

[2] ينظر محمد الخضري بك، المرجع نفسه، ص 48-49.

[3] ينظر، الهاشمي عبد المنعم، المرجع نفسه، ص 43.

سوى مشاركة شرفية، حيث كتب إلى الحسن بن قحطبة يخبره في رسالة، بأن العسكر عسكره والقواد قواده ولكنه أحبب أن يكون أخاه أبا جعفر حاضرا أو متوليا للأمر.[1]

وعندما فرغ من هذا الأمر، اتجهت عيونه نحو الأمويين للقضاء عليهم، فبعد هزيمة مروان الثاني على يد عم السفاح عبد الله بن علي الذي لحق مروان مصر وقتله، كثرت الفتن والاضطرابات الداخلية ضد حكم أبو العباس خصوصا في المناطق العربية.

لقد عانى الأمويون من مبالغة بنوا العباس في قسوتهم معهم، إذ ارتكبوا في حقهم مجازر كثيرة من بينها مجزرة نهر أبي فطرس، التي وقعت سنة 132 هـ /750م[2] وتذكر بعض المصادر هذه الحادثة مثل الفخري لإبن طباطبا وتاريخ اليعقوبي وتاريخ الطبري بأن عبد الله بن علي والي الشام دعا الأمويين إلى مأدبة – بعد أن أعطاهم الأمان- في إحدى القلاع الرومانية قرب نهر أبي فطرس بفلسطين. وبعد أن أكرمهم أمر الخرسانية بقتلهم كلهم.[3]

تصفية الخصوم:

بدأ العباسيون في تصفية خصومهم، وحاول الامويون الدفاع عن أنفسهم فقد كان إسحاق بن مسلم العقيلي عامل مروان على أرمينية[4]، وكان قائدا على جيشه، ولما بلغه هزيمة مروان الثاني على يد العباسيين، انتقل من ارمينية إلى الجزيرة، واجتمع عليها أهلها، وحاصروا موسى بن كعب بحرا شهرين، فأرسل السفاح إليه أخاه أبا جعفر، وكان محاصرا لابن هبيرة بواسط، فانطلق أبو جعفر لقتال إسحاق بن مسلم ومر أبو جعفر المنصور بقرقيسيا والرقة، وقد خلع أهلها السواد ولبسوا البياض فسار نحو حران، فانتقل إسحاق بن مسلم، وذهب إلى الرها، وبعث أخاه بكار بن مسلم الى قبائل ربيعة، ورئيسهم يومئذ برمكة من الحرورية، والتقى بهم أبو جعفر فهزمهم، وقتل برمكة، وانصرف بكار إلى اخيه إسحاق، فخلعه وسار إلى شمشاط بعسكره.

---

[1] ينظر، حنيفة الدينوري، الأخبار الطوال، تحقيق عبد المنعم عامر، مكتبة المثنى، بغداد، د.ت، ص 260.

[2] ينظر، الطبري، تاريخ الرسل و الملوك، ج6، المصدر السابق، ص51، و ينظر، اليعقوبي، تاريخ اليعقوبي، دار صادر، بيروت، ج2، د.ت، ص 25.

[3] ينظر، عمر فاروق فوزي، المرجع السابق، ص38.

[4] ينظر، عبد المنعم الهاشمي، المرجع نفسه، ص44.

وجاء عبد الله بن علي، وأبو جعفر، فحاصروا إسحاق بن مسلم سبعة أشهر، ولما تأكد من موت مروان طلب الأمان، فاستأذنوا السفاح في ذلك فأمرهم بتأمينه، وخرج إسحاق بن مسلم إلى أبي جعفر فكان من آثر أصحابه، واستقام أهل الجزيرة والشام، وولى السفاح أخاه أبا جعفر المنصور على الجزيرة وأرمنية والعراق.[1]

وما واجه الخليفة ابو العباس من الخصوم أيضا ابن هبيرة آخر قواد الامويين الذي كان ما زال متحصنا في الواسط، وما إن استقرت أوضاع السفاح في الخلافة، حتى أرسل أخاه أبا جعفر المنصور لقتاله، وتبادلت الوفود بين ابي جعفر وابن هبيرة.[2]

تمكن المنصور من اقناعه بتسليم نفسه وذلك بعد أن كتب له وصل أمان بعدم قتله، وكان المنصور وفيا لهذا الرأي ولم يقم بقتل ابن هبيرة ولكن الذي حصل أن قتله أبو العباس السفاح، وبتحريض من أبي مسلم الخرساني الذي كان يرى أن الدولة لا تستقيم وابن هبيرة على قيد الحياة.[3]

قام أبو العباس بتصفية منافسه السياسي الذي اراده أن يملك ولا يحكم، وهو أبو سلمة الخلال وزير آل محمد، وداعية الدولة العباسية في الكوفة ويرجع السبب في التخلص منه هو محاولته نقل الخلافة من العباسيين إلى العلويين. وللتخلص منه أوكل الخليفة أمره إلى أخيه أبا جعفر هذا الأخير الذي استعمل في ذلك أبا مسلم. فقد قام ابا مسلم بالقضاء عليه وفق مؤامرة رسمها السفاح وهي قتله ولكن ليس من طرف السفاح وإنما من طرف الخوارج[4] ولتحقيق هذا دعا أبو مسلم مرار بن أنس الضبي، وأمره بقتل ابي سلمة حيث ثقفه. فقد كان أبو سلمة يسمر في بيت ابي العباس، ولما خرج قتله مرار وقالوا: قتله الخوارج، ولتغطية هذه المؤامرة قام الخليفة السفاح بإرسال أخيه يحيى بن محمد ليصلي عليه، وبهذا شاع بين العباسيين أن الخوارج هم من قتلوه.[5]

**وفاته:**

---

[1] ينظر، عيسى الحسن، الدولة العباسية، المرجع السابق، ص 50-51-52.

[2] ينظر، أحمد اسماعيل الجبوري، علاقة الخلافة العباسية بالعلماء في العصر العباسي الأول، دار الفكر ناشرون و موزعون، عمان، ط1، 1430هـ / 2009م، ص47-48.

[3] ينظر، الطبري، تاريخ الرسل و الملوك، ج7 المصدر السابق، ص 454.

[4] ينظر، الهاشمي عبد المنعم، المرجع نفسه، ص48.

[5] ينظر، الطبري، المصدر نفسه، ص 449.

بقي السفاح في الخلافة أربع سنين وتسعة اشهر ومات بالجدري في ذي الحجة سنة ست وثلاثين ومائة. بمدينة الانبار التي اتخذها قاعدة بخلافته وكان عمره آنذاك ثلاث وثلاثون سنة.[1] وصلى عليه عمه عيسى بن علي ودفن بالأنبار العتيقة في قصره. وفي السنة التي توفي فيها عهد إلى أخيه أبي جعفر وبعده إلى عيسى بن موسى بن محمد بن علي.

**2- أبو جعفر المنصور ( 136 هـ -158هـ / 547م – 775م):**

ولد ابو جعفر عبد الله بن محمد بن علي العباسي سنة 101 هـ في الحميمة من أرض الشراة على مقربة من العقبة، وذلك في أواخر خلافة عمر بن عبد العزيز، وأمه سلامة البربرية[2]. وقد تربى وسط كبار الرجال من جلة بني هاشم، وصحب اباه وجده فنشأ اديبا فصيحا، ملما بسير الملوك والأمراء[3]. وقد كان كثير الأسفار والتنقل، فخبر الحياة والناس، فلما استخلف أخوه لازمه فقد كان عضده الأقوى وساعده في تدبير الخلافة فمن أخلاقه وصفاته التي تميز بها، أنه كان من أعظم الملوك وعقلائهم وذي الآراء الصائبة منهم والتدبيرات السديدة.[4]

ويعتبر المؤسس الثاني للدولة العباسية، يقول الطبري:" كان المنصور اسمر طويلا نحيفا خفيف العارضين"[5] وكان ميالا بطبيعته إلى النظام الذي هو أساس نجاح الأعمال. فكان ينظر في صدر النهار في أمور الدولة وما يعود على الرعية من خير. فإذا صلى العصر جلس مع اهل بيته، فإذا صلى العشاء نظر فيما يرد عليه من كتب الولايات والثغور وشاور وزيره ومن حضر من رجالات دولته فيما أراد من ذلك، فإذا مضى الثلث اليل انصرف سماره، وقام إلى فراشه، فنام الثلث الثاني، ثم يقوم من فراشه فيتوضأ. ويجلس في محرابه حتى مطلع الفجر، ثم يخرج فيصلي بالناس.

---

[1] ينظر، حسن ابراهيم حسن، تاريخ الإسلام، المرجع السابق،ص28، وينظر ، جلال الدين السيوطي، تاريخ الخلفاء، دار الفكر العربي، القاهرة، 1988، ص240.

[2] ينظر، اليعقوبي، تاريخ اليعقوبي المصدر السابق ،ص426.

[3] ينظر ابن طباطبا، الفخري في الأدب السلطانية ودول الإسلامية، المصدر السابق،ص159.

[4] ينظر عبد المنعم الهاشمي، المرجع نفسه، ص61.

[5] الطبري، المصدر نفسه،ج9، ص299.

وكان يكره سفك الدماء إلا بالحق. وعرف المنصور أيضا بالثبات عند الشدائد، فهذه الصفة تعتبر من ابرز الصفات التي كفلت له النجاح إذا صادفته إحدى الصعوبات، بإضافة إلى كل هذا كان رجل حكيما يسمع نصيحة العلماء.

**بيعته:**

في السنة التي توفي فيها أبو العباس عقد العهد لأخيه ابي جعفر وكان إذ ذاك أميرا على الحج، ثم توفي السفاح و أبو جعفر بالحجاز فأخذ البيعة له بالأنبار ابن أخيه عيسى بن موسى وكتب إليه يعلمه وفاة السفاح والبيعة له فلقيه الرسول بأحد المنازل عائدا بعد انتهاء الحج. وقد تمت البيعة له في اليوم الذي توفي فيه أخوه 8يونيه 754 م واستمر خليفة إلى ان توفي يوم الأحد سابع ذي الحجة 158 هـ / 812 أكتوبر 775 فكانت خلافته (22 سنة) هلالية إلا ستة ايام.[1]

**الأوضاع الداخلية في عهده:**

كان كل ما يشغل المنصور حين توليه للخلافة ان يوطد دعائمها ويقوي أركانها إذ لم يكن قد تحقق هذا بعد، فقد واجهته منذ ساعات حكمه الأولى مصاعب متتابعة ما بين تمردات وحركات وثورات مناهضة له شخصيا وللدولة العباسية عموما.[2] ورجل كالمنصور كان يجمع الجرأة وبعد الهمة والمكر والدهاء استطاع بحكمه وجهده أن يحفظ الدولة ويبقيها في الأسرة العباسية، وفي هذ يصفه ابن هبيرة آخر الخصوم الرسميين للعباسيين بقوله:( ما رأيت رجلا في حرب أو سلم اشد تيقظا من المنصور، لقد حاصرني تسعة اشهر وكان معي فرسان العرب فجهدنا كل الجهد حتى ننال من عسكره شيئا فما قدرنا لشدة ضبطه لعسكره وكثرة تيقظه)[3]. ويتخلص من جميع الأخطار التي واجهت بني العباس واحدة تلوى الأخرى ويمكننا أن نجمعها فيما يلي:

تثبيت السلطة والقضاء على المنشقين والمعارضين:

---

[1] ينظر محمد الخضري بك، الدولة العباسية، المرجع السابق ص56.

[2] ينظر ، أحمد اسماعيل الجبوري، علاقة الخلافة العباسية بالعلماء، المرجع السابق، ص16

[3] الطبري، المصدر نفسه، ج8، ص78.

1- مواجهة عمه عبد الله بن علي:

أول ما واجه المنصور تمرد عمه عبد الله بن علي الذي هزم مروان بن محمد آخر خلفاء بني امية في معركة الزاب، ففي أيام أبا العباس السفاح كان قد وعد لمن يقضي على مروان بن محمد بولاية العهد من بعده، تثمينا لجهده، فلم يتقدم لذلك سوى عمه عبد الله بن علي الذي كان يأمل أن يؤول الأمر إليه، ولذلك فوجئ حين سمع خبر البيعة لابي جعفر المنصور.

لقد كان تاريخ عبد الله حافلا بالجهود في خدمة الثورة العباسية وتأسيس الدول فادعى لنفسه الخلافة[1]، بحجة أن أبا العباس أقامه واليا للعهد حينما أرسله لقتال مروان الثاني[2].

نظر المنصور حوله وفكر ورأى من الحكمة أن يعالج هذا الخطر بذراع طويلة قريبة، هذه الذراع هي أبو مسلم الخرساني ضاربا بذلك عصفورين بحجر واحد، وهذا لأنه كان يشك في صدق ونوايا أبي مسلم، بالإضافة إلى هذا كان يأمل باستقطاب الخرسانيين في جيش عمه عن طريق أبي مسلم حاكم خرسان، الذي أبدى استعدادا للتصدي لحركة التمرد.[3]

أما عبد الله فقد تكون جيشه من اهل الشام الذين كانوا يأسفون لزوال دولتهم "الدولة الأموية" وأهل خرسان و الجزيرة.

استمرت الحرب بين الخلافة العباسية وعبد الله بن علي خمسة اشهر من مطلع سنة 137 هـ / 754 م حتى كانت المعركة الاخيرة في جمادى الآخرة في السنة نفسها.[4] تمكن خلالها أبو مسلم الخرساني من الانتصار على عبد الله بن علي فهرب الاخير إلى أخيه سليمان في البصرة لكن المنصور لاحقه وأعطاه الأمان ثم سجنه ومات في السجن سنة 147 هـ / 765 م في ظروف غامضة.[5]

---

[1] ينظر، أحمد إسماعيل الجبوري، المرجع نفسه،ص17.

[2] ينظر، المسعودي مروج الذهب ، ج3، المرجع السابق، ص289.

[3] ينظر، الطبري، المصدر نفسه، ج7، ص475.

[4] المصدر نفسه، ص477-478.

[5] ينظر ، عيسى الحسن ، الدولة العباسية، المرجع السابق، ص58-59-60.

2- مواجهة أبي مسلم الخرساني:

كان لأبي مسلم الخرساني والخرسانيين دورا بارزا في بناء وقيام الدولة العباسية، هذا ما جعل طموحات الخراسانيين تكبر، خاصة أبا مسلم الذي ادعى أنه صانع الدولة العباسية ولولاه لما قامت لها قائمة وقد أخذته العزة حين رأى التفاف الفرس حوله يأتمرون بأمره ويرون فيه زعيما قوميا، فراودته أحلام وطموحاته من التفرد بحكم خرسان وبلاد الشام.

كان في نفس المنصور قديما حزازات من أبي مسلم، وكان بينهما تباغض وقد كان المنصور أشار على أخيه السفاح بقتله فامتنع السفاح وقال: (كيف يكون ذلك مع حسن بلائه في دولتنا؟)[1]

فلما ولي المنصور الخلافة، كان طبيعيا أن يبدأ عهده بحل مشكلة أبي مسلم، فانتهج أسلوبا يمكنه من التخلص منه معتمدا على الأسس الآتية:

1. إبعاده عن منطقة نفوذه في خرسان.
2. جعله قريبا من مركز الخلافة حتى تسهل مراقبته.[2]
3. تجريده من النفوذ والسلطان.

بدأ المنصور في تنفيذ سياسته فكتب إلى أبي مسلم يقول:

( إني قد وليتك مصر والشام فهي خير لك من خرسان فوجه إلى مصر من أحببت وأقم بالشام حتى تكون قريبا من أمير المؤمنين).[3]

فلما جاء الكتاب أبا مسلم غضب ورفض البقاء في الشام وصمم على الذهاب إلى خرسان وأقبل من الجزيرة مجمعا على الخلاف مريدا خرسان، مخالفا بذلك أوامر الخليفة.

ولما رأى ذلك المنصور خشي من عودته إلى خراسان، فيصبح قادرا على تحديه وما كان أمام المنصور إلا استعمال الدهاء لإيقاع أبي مسلم في فخ ينصبه له حتى لا يثير حربا شعواء، فتوجه إلى المدائن وكتب إلى أبي مسلم يدعوه لزيارته وهو في طريقه إلى خراسان لأمر هام لكن أدرك مرامي الخليفة المنصور ورد عليه برسالة

---

[1] ابن طباطبا، الفخري، المصدر السابق، ص 168.

[2] ينظر، طقوش محمد سهيل، تاريخ الدولة العباسية، دار النفائس، بيروت، ط2 ، 1998، ص 51.

[3] الطبري، المصدر نفسه، ج7، ص 370-371.

عبر فيها عما يعتريه من ريبة وحذر وحقد، فكتب إليه المنصور يطيب نفسه ويستدعي منه الحضور، فأجابه في قوله: ( إني على الطاعة وأني متوجه إلى خراسان فإن أصلحت نفسك كنت سامعا مطيعا، وإن أبيت إلا أن تعطي نفسك سؤلها كنت قد نظرت لنفسي بالحال التي تقارنها السلامة).[1]

فاشتد خوف المنصور منه، وكتب إليه كتابا يشير فيه إليه بأنه ليس في نظره بهذه الصفة، ويذكره بدوره الفعال في قيام دولة بني العباس، بعدها يستدعيه للحضور، ويأمر بني هاشم أن يكتبوا له، فكتبوا إليه يحسنون له الحضور والاعتذار إليه. وأرسل له هذا الكتاب عن طريق عيسى بن موسى وأمره الخليفة أن يكلمه بألين الحديث وأن يمنيه فإن رفض، فقال له: ( يقول لك أمير المؤمنين لست من العباس وبرئت من محمد إن مضيت مشاقا ولم تأتني إن وكلت أمرك لأحد سواي، وإن لم آل طلبك وقتالك بنفسي ولو قضت البحر لخضته ولو اقتحمت النار لاقتحمتها وراءك حتى أقتلك أو أموت).[2]

فمضى الرسول إليه وناوله الكتب فقرأها، فاستشار أبو مسلم صديقه في هذا فأشار عليه على أن لا يرجع لأنه لم يعد يأمنه بعد أن وقع في نفسه ما وقع فعزم أبو مسلم على ذلك ورفض الرجوع، وحينئذ أبلغه الرسول الرسالة الأخيرة ونصحه بالرجوع والاعتذار وبأنه ما زالت مكانته محفوظة لدى الخليفة وهكذا ظل الخليفة يلاعبه بالرسائل وأبو مسلم يتردد في الذهاب إليه، حتى أرسل له رسولا من أدهى العرب وأذكيائها[3]. استطاع بذكائه أن يقنع أبا مسلم بالعودة و الاعتذار من الخليفة وأخبره بأنه سيلقى عنده إلا ما يحبه. وبهذا اقتنع أبا مسلم وقرر الرجوع، ولما علم المنصور بوصوله أمر الناس جميعا بتلقيه، فلما دخل عليه قبل يده فأدناه وأكرمه، ثم أمره أن يستريح ويعود من الغد فمضى، فلما أصبح أتاه رسول المنصور يستدعيه وقد أعد المنصور جماعة من أصحابه خلف الستور بأيديهم السلاح، فلما دخل أبو مسلم عليه قال له: (أخبرني عن سيفين وجدتهما في عسكر عبد الله بني علي. فقال أبو مسلم: هذا أحدهما، وكان في يده سيف)[4]. فأخذه المنصور وبدأ يقلبه بيده ويهزه، ثم وضعه تحت فراشه وأصبح يعاتبه على أفعاله، وأبو مسلم يعتذر، فقال أبو مسلم مثلي يا أمير المؤمنين لا يقال له هذا ولا تعدد عليه مثل هذه الذنوب. فغضب المنصور وقال له يابن الخبيثة!

---

[1] ابن طباطبا، المصدر نفسه، ص 169.

[2] الهاشمي عبد المنعم، الخلافة العباسية، المرجع السابق، ص 47.

[3] هو جرير بن عبد الله البجلي، وصفه الطبري واحد من أهل زمانه.

[4] الفخري، المصدر نفسه، ص 170.

لو كانت أمة مكانك لأغنت. فرد أبو مسلم: دع هذا فقد أصبحت لا أخاف إلا الله وحده. فشتمه المنصور وصفق بيده، فخرج الحرس، وضربه عثمان بن نهيك فقطع علابيه.

فقال أبو مسلم: يا أمير المؤمنين! استبقني لعدوك.

فقال المنصور: لا أبقاني الله إذا، وأي عدو أعدى منك.

وأخذ الحرس بسيوفهم حتى قتلوه، وذلك لخمس بقين من شعبان سنة 137هـ /755م، وخطب المنصور بهذه المناسبة منتصرا ومحذرا خصومه وخصوم دولته:" انه من نازعنا عروة هذا القميص أوطئناه ما في هذا الغمد وأن أبا مسلم بايعنا وبايع لنا، على أنه نكث بيعتنا فقد أباح لنا دمه ثم نكث بيعته هو فحكمنا عليه لأنفسنا حكمه على غيره لنا"[1].

ومن الأحداث أيضا التي واجهت الخليفة المنصور أثناء حكمه:

ظهور الحركات الثورية:

1/ حركة السنباذ: ففي عقب قتل أبي مسلم خرج رجل اسمه سنباذ بخرسان يطلب بثأر أبي مسلم الخرساني، كان سنباذ رجلا مجوسيا، من قرية أهن احدى قرى نيسابور وفي رواية للطبري[2] أنه كان من أتباع أبي مسلم وصنائعه فقد كانت تربط بينهما علاقة ودية، فقد كان أحد قواد جيشه، بدأت حركته في قرية نيسابور والمناطق التي حولها، إذ أحسن اختياره للموقع نظرا لأهميته الإستراتيجية، والسياسية باعتباره محل اقامة الوالي العباسي[3]. ظهر غضبا لقتل أبي مسلم، هذا ما جعل أتباعه تكثر فقد أطاعه أكثر أهل الجبال إذ غلب على كثير أهل خرسان، فلما بلغ المنصور خبره أرسل إليه عددا من الجند، فالتقوا بين همذان والري، وكان هذا سنباذ قد أفسد في بلاد بهدف القضاء على الخلافة العربية وهدم رمز الدين الإسلامي وقبلته الكعبة، هذا ما جعل بعض الروايات تصف بأنه خرميا*. اثناء التقاءه بفرسان المنصور ، كان سنباذ قد

---

[1] المسعودي، مروج الذهب، ج3، المصدر السابق، ص 293.

[2] ينظر، الطبري، تاريخ الرسل و الملوك، ج6، المصدر السابق، ص 140.

[3] فاروق عمر فوزي، الخلافة العباسية، المرجع السابق، ص 140.

* خرميّا: الخرمية هم قوم لا يعرفون الاّ اللذة الدينية، مما جعل للنساء عندهم مكانة.و اسم خرم معناه بالفارسية لذيذ، وقيل أن اسمها مشتق من خرم، و هي ناحية بأردبيل يجمعون على القول بالرّجعة و أن الرسل كلهم يحصلون على روح واحدة و أن الوحي لا ينقطع أبدا.

اسرى عددا كبيرا من المسلمين وخاصة النساء منهم. فأمر سنباد بإخراج هذه النساء أمام عسكره، "فخرج النساء وصحن صيحة واحدة ومحمداه! فنفرت الجمال وكرت راجعة على عسكر سنباد ففرقتهم، فتابعها عسكر المنصور ودخلوا خلف الجمال فوضعوا فيهم السيوف وابدوهم قتلا"[1]. ومما أدى إلى فشل هذه الحركة التي تلونت باللون المجوسي هو اجتماع العرب المسلمين الذين كانوا يستقرون في الجبال ضدها بإضافة إلى تأييد الفرس المسلمين للسلطة العباسية.

2/ الحركة الراوندية: كانت الأفكار التي دفعت سنباذ إلى الانتفاضة هي الباقية بالرغم من القضاء على سنباذ نفسه، لذلك شهدت بلاد فارس وما وراء النهر قيام حركات مناوئة للحكم العباسي. ومن هذه الحركات الحركة الراوندية هم جماعة من أهل خرسان، من أتباع أبي مسلم الخرساني ظهرت سنة 141 هـ / 758م وثور قيامها قضى عليها العباسيون عليها لكن السلطة العباسية كما يظهر لم تكن شديدة بدرجة كبيرة بحيث تجتث جذورها. ولهذا ظهرت مرة ثانية في العراق، ونادت بآراء متطرفة بعيدة عن الدين الإسلامي، فقد ألهّت المنصور ونادت بقدسيته ونشرت آراء مجوسية، ولم تكتف بهذا بل انتهزت أول فرصة فثارت على المنصور وهاجموا قصره مما اضطر الخليفة إلى مجابهتهم بقوة السلاح، وهكذا تمكن المنصور من القضاء عليهم وما كانوا يحملونه من خطر على الدين والدولة.

وكذلك من الثورات التي ظهرت بخرسان ثورة أستاذ سيز أو حركة أستاذ سيس 150 هـ / 767م، هذه الأخيرة التي تجمع فيها كافة الطبقات الحاقدة على الدولة العباسية[2]، ولمواجهة هذه الحركة إختار المنصور ابنه المهدي، كانت المعارك الأولى مع جماعة أستاذ سيز خاسرة بقيادة المهدي، لكن المعارك اللاحقة التي كانت بقيادة خازم التميمي، كانت ناجحة مما أدى إلى انهزام أستاذ سيز واستسلامه، بعدها أرسل إلى بغداد وهناك تم قتله.

جابه المنصور ثورة ليست أقل خطرا على وجوده وبقاء دولته وهي ثورة العلويين بقيادة محمد بن عبد الله بن يزيد بن الحسن بن علي بن أبي طالب الملقب بالنفس الزكية بالمدينة وأخوه ابراهيم بن عبد الله في البصرة، "كان النفس الزكية من سادة بني هاشم ورجالهم فضلا وشرفا ودينا وعلما وشجاعة وفصاحة ورئاسة وكرامة

---

[1] الفخري ، المصدر نفسه، ص 171.

[2] ينظر، عبد المنعم الهاشمي، الخلافة العباسية، المرجع السابق، ص 92.

ونبلا، وكان في ابتداء قد شيع بين الناس أنه المهدي الذي بشر به"[1]. مدعيا بهذا أنه الأحق بالخلافة، لكن المنصور واجه الأخوين وتمكن من الإنتصار عليهما في معركة حاسمة 145 هـ /762م وقتل محمد ذو النفس الزكية وأخوه. ولقب أبو جعفر على إثرها بـ "المنصور".

**الأوضاع الخارجية التي واجهت الخليفة المنصور:**

المنصور والأمويين في الأندلس:

تأثرت الأندلس تأثرا كبيرا من انتقال الخلافة من الأمويين إلى بني العباس، فقد عانت إثر هذا صراعات عنصرية وإقليمية، وفي أثناء هذا سقطت الخلافة الأموية على أيدي بني العباس وأخذ الولاة العباسيون يتتبعون الأمويين ويقتلونهم[2]. ففي عهد المنصور هرب عبد الرحمان بن هشام بن عبد الملك بن مروان إلى الأندلس، وبها اسس الدولة الأموية الثانية وكان المنصور يعجب به وبقدرته وبعزيمته التي جعلته يؤسس ملكا في هذه البلدان القاصية، لكن رغم هذه العزيمة إلا أن دهاء المنصور كان أقوى، فقد استغل هذا الأخير الأوضاع القلقة التي واجهت عبد الرحمان الداخل أثناء حكمه، في التخلص منه عن طريق أحد زعماء العرب.

ومن كل هذا فقد استطاع المنصور أن يقضي على الأخطار المحدقة بالدولة الجديدة وأن يصفّي المتمردين الواحد بعد الآخر فبعد أن قضى على منافسه عمه عبد الله بن علي العباسي في الشام فتخلص من خطر أبي مسلم الخرساني ثم قضى على حركات العلويين ومؤامرات الفرس التخريبية.[3]

ثم تفرغ المنصور لبناء الدولة واعمار البلاد ،ولقد شهد عهده تحولا نوعيا في الإدارة والنظم فقد تبلورت الدواوين المركزية بتطبيق المنصور لسياسة المركزية الإدارية كعلاج للإنحلال الإداري في أواخر العصر الأموي، وكان لاستحداث عاصمة جديدة للعهد جديد ببناء بغداد.

**بناء بغداد:**

بغداد حاضرة الخلافة العباسية، وهي مدينة إسلامية عظيمة بناها المنصور ثاني خلفاء العباسيين في سنة 145 هـ / 763م.[1]

---

[1] الفخري، المصدر نفسه، ص 165.

[2] ينظر، المرجع نفسه، ص 121.

[3] ينظر، فاروق عمر فوزي، الخلافة العباسية، المرجع نفسه،ص71.

عرفت بغداد بالمدينة المدورة مدينة السلام، موقعها كان في اقليم عربي هو العراق، فقد لعبت اعتبارات سياسية ومناخية واقتصادية دورا في اختيار المنصور لموقع بغداد هذا من جهة ومن وجه آخر الواجب الأول لمدينة السلام هو أن تكون معسكرا للجند العباسي.

استطاع المنصور قبيل وفاته أن يحسم مشكلة ولاية العهد لابنه المهدي مبعدا عيسى بن موسى عنها[2]، هو ابن أخ المنصور، كان أمير الكوفة. فقد جعله ابراهيم الإمام ولي العهد بعد المنصور فقد أخذ له البيعة على الناس وحلفهم له. فلما كبر المهدي بن منصور شغف المنصور به شغفا شديدا فأحب أن يبايع له الخلافة فخلع عيسى بن موسى بن محمد بن علي بن عبد الله بن العباس وأشهد عليه الخلع، وبايع ابه المهدي وجعل عيسى بن موسى بعده.

**وفاة المنصور:**

في سنة 158 هـ حج المنصور، فخرج من مدينة السلام متوجها إلى مكة في شوال فلما صار من منازل الكوفة عرض له مرضه ووجعه ، ولم يزل يزداد حتى وصل بستان ابن عامر فاشتد به وجعه، ثم صار إلى بئر ميمونة وهو يسأل عن دخول الحرم ويوصي ربيع بما يريد.

توفي في سحر ليلة السبت 6ذي الحجة 158هـ ولم يحضر عند وفاته إلا ربيع الحاجب الذي منع النساء من البكاء عليه، ثم أصبح فحضر أهل بيت الخلافة وجلسوا مجالسهم فأخذ الربيع بيعتهم لأمير المؤمنين ولعيسى بن موسى بعده،[3] وهكذا توفي المنصور محرما عن وصوله مكة المكرمة ودفن فيها وقبره لا يعرف إلى اليوم.

---

[1] ينظر، أحمد اسماعيل الجبوري، تاريخ الدولة العباسية (العصر العباسي الأول)، دار الفكر ناشرون وموزعون، عمان، ج1، ط1، 1431هـ/2010م، ص59.

[2] ينظر، الطبري، تاريخ الرسل والملوك، ج8، المصدر السابق، ص9-10.

[3] ينظر، عيسى الحسن، الدولة العباسية، المرجع السابق، ص79.

### 3- محمد المهدي (158 هـ / 169هـ - 775م / 785م)

هو محمد بن عبد الله بن محمد بن علي بن عبد الله بن العباس، أبو عبد الله المهدي ولد سنة 126 هـ بالحميمة من أرض الشراة، وكانت سنه إذا جاءتهم الخلافة ست سنوات.[1] أمه أروى بنت منصور الحميرية وكانت تكنّى أم موسى، نشأ في بيت الخلافة وعني أبوه المنصور بتثقيفه، وعهد به إلى المفضل الضبي، فعلمه تعليما عربيا، وجمع له أمثال العرب ومختار شعرهم فمال إلى العلم والأدب، وعكف على حفظ أيام العرب ومكارم الأخلاق، ودراسة الاخبار والأشعار، فنشأ فصيحا يقول الشعر ويجيده ويحفظ كثيرا منه ومن أمثال العرب.[2]

كان المهدي على ما وصفه ابن طباطبا:" شهما كريما، شديدا على أهل الإلحاد والزندقة، لا تأخذه في إهلاكهم لومة لائم، وكانت ايامه شبيهة بأيام أبيه في الحوادث، وكان يجلس في كل وقت لرد المظالم، كما كان ذكيا فصيحا بعيد الهمة شديد الرأي، ثاقب الفكر قوي البيان عالما بضروب السياسة مما أهله لأن يتولى أمور المسلمين".[3]

كل هذه الميزات كان يدركها فيه والده، فكان إذا دخل مجلسه اتبعه ببصره لحبه له وإعجابه به.

ومن الأخلاق أيضا التي تميز بها المهدي، الحياء والعفو والجود والحلم، وكان يتأثر بالقرآن تأثرا كبيرا بالإضافة إلى أنه كان ميالا إلى السنة.

**بيعته:**

توفي المنصور في طريقه إلى الحج على مقربة من مكة وبها بويع المهدي البيعة الخاصة، أما بيعته العامة فكانت ببغداد في 18 ذي الحجة سنة 158 هـ[4] ولما تمت البيعة العامة خرج وخطب في الناس فقال:( لقد فارقت عظيما، وقلدت جسيما، فعند الله أحتسب، وبه أستعين على خلافة المسلمين: أيها الناس، أستروا مثل ما تعلنون، من طاعتنا نهبكم العافية، وتحمدوا العاقبة، واخفضوا جناح الطاعة بمن نشر معدلته فيكم، وطوى

---

[1] ينظر، محمد الخضري بك، الدولة العباسية، المرجع السابق، ص86.

[2] ينظر، الخطيب البغدادي، تاريخ بغداد، دار الكتاب العلمي، بيروت، د.ت، ص391.

[3] ابن طباطبا الفخري ، المصدر السابق، ص197.

[4] ينظر، فاروق عمر فوزي، الخلافة العباسية، المرجع السابق، ص117.

الإصر عنكم وأهل السلامة من حيث رآه الله مقدما على ذلك على فعل من تقدمه، والله لأفنين عمري من عقوبتكم، ولأحملن نفسي على الإحسان عليكم).[1]

**الأحوال في عهده:**

اقترنت سياسته بالوصية التي خلّفها له أبو جعفر المنصور والتي قرئت يوم البيعة وجاء فيها (وليتسع انصافك ويبسط عدلك، وواس بين الرعية في الاحتكام واطلب بجهدك رضا الرحمان، وأهل الدين فليكونوا أعضادك واعط حظ المسلمين من أموالهم، وعليك بعمارة البلد، وتخفيف الخراج،...إلخ)[2].

وفي ضوء هذا نستنتج خلافة المهدي، فقد بدأ عهده بسلسلة من ضروب الإصلاح. مستعينا في ذلك بما تركه له أبوه من بيت مال عامر؛ كما وفّق في القضاء على الزنادقة وغيرهم من الخوارج عليه وعلى الدين، فمن أعماله أيضا أنه أمر بالإفراج عن المسجونين إلا أكثرهم شرا وفسادا.

وقرّب رجال الدين والفقهاء، وأنفق من بيت المال كثير الخدمات المسلمين، فقد قام ببناء الأبنية في طريق مكة وزاد في المسجد الحرام. وقد حصّن المدن، وصارت بغداد في عهده مركز لتجارة العالم، وغدت الموسيقى والشعر والحكمة والأدب من مميزات هذا العصر، فقد أجمع المؤرخون على أن خلافة المهدي، خلافة ترفيهية عن الناس ما كانوا يلقونه من بعض الشدة أيام المنصور، فقد اتسم عصره بالاستقرار و الازدهار.[3]

رغم هذا إلا أنه ظهرت حركات معادية له منها:

**حركة المقنع بخرسان:**

كان هذا المقنع رجلا أعور قصيرا من أهل مرو، وكان قد عمل وجها من ذهب وركبه على وجهه لئلا يرى وجهه، وادعى الإلاهية، وكان يقول بالتناسخ، ودعا الناس إلى ذلك فأجابه خلق كثير وعبدوه، ولمواجهته أرسل إليه المهدي جيشا عظيما وحاصروه في قلعته وهناك تم القضاء عليه.

---

[1] جلال الدين السيوطي تاريخ الخلفاء، تحقيق محمد محي الدين عبد الحميد، مطبعة المنير، مكتبة الشرق الجديد، بغداد، 1986 ، ص272.

[2] اليعقوبي، تاريخ اليعقوبي، المصدر السابق، ص125-126.

[3] ينظر ، شاكر مصطفى، دولة العباس، مطبعة النهضة، القاهرة، ج3،ط1، 1927م-1928م، ص192.

**الأحوال الخارجية في عهده:**

كان منظر الخلافة في داخل المملكة باهرا، وكذلك كان مظهرها في نظر الأمم الأخرى إلا أنه مما يؤسف سوء العلاقة مع دولة بني أمية في الأندلس[1]. فقد حاول المهدي كما حاول من قبله والده المنصور إعادة الأندلس إلى الدولة العباسية وإنهاء الأمويين هناك. لكن بعد المسافة حال دون تحقيق هذه المحاولات، وبالتالي لم يتمكن العباسيون من ارسال جيوشا تقاتل في الأندلس لكن المهدي كان يشجع كل حركة تهدف إلى إضعاف نفوذ الأمويين هناك. وكانت الأندلس في هذه الايام تعيش ثورات وحركات مناهضة للأمويين ، ولما علم المهدي بهذا أيدهم،- و رغم هذا -إلا أن العباسيون فشلوا في استعادة الأندلس من الأمويين.

**وفاته:**

توفي المهدي بعد أن خلع عيسى بن موسى من ولاية العهد، وعهد إلى ولديه موسى الهادي ثم هارون الرشيد على التوالي.[2]

وكانت وفاته في المحرم عام 169 هـ في قرية الروذ نتيجة اصطدامه بباب خربة أثناء ممارسته رياضة صيد الغزلان، وفي رواية أخرى: أن إحدى جواريه وضعت سما في المأكل لجارية أخرى، فأكل منه المهدي فمات.

## 4- الخليفة موسى الهادي (169 هـ -170هـ / 785 م- 786م)

**نسبه:**

هو موسى الهادي بن محمد المهدي بن عبد الله المنصور بن محمد بن علي بن عبد الله بن العباس، ولد بالري سنة 147 هـ /764م في خلافة جده المنصور وأمه أم ولد تدعى الخيزران[3]، اشتهرها أبوه المهدي وأعتقها وتزوجها بعد أن ولدت له موسى، وهارون.

(كان الهادي، متيقظا غيور كريما شهما شديد البطش جرئ القلب مجتمع الحس، ذا إقدام وعزم وحزم)[4]

---

[1] ينظر، محمد الخضري، الدولة العباسية، المرجع السابق، ص91.

[2] ينظر، الطبري، تاريخ الرسل والملوك، ج8، المصدر السابق، ص142.

[3] ينظر، ابن كثير، البداية والنهاية، المصدر السابق، ص159.

[4] ابن طباطبا، الفخري، المصدر السابق، ص191.

وقد وصفه المسعودي فقال:" إنه كان قاسي القلب شرس الأخلاق صعب المرام، كثير الأدب محبا له، وكان شديدا شجاعا جوادا سخيا"[1].

ومن بين الأخلاق التي اشتهر بها الإسراف في العطاء كان يشبه في هذا أبوه المهدي.

**بيعته:**

كان موسى الهادي أكبر من أخيه هارون، وقد ولاه أبوه العهد وسنه 16 سنة وعهد لهارون بالخلافة من بعده، ثم فكر في تقديمه عليه، لولا أن عاجلته المنية، ولما علم بما كان يريده والده. لم يتردد في البيعة لأخيه حين سمع بوفاة أبيه. وقد قضى الهادي قبل أن يعتلي عرش الخلافة أكثر أيامه في بلاد المشرق.

أتته البيعة وهو يحارب في طبرستان وجرجان وكان ذلك يوم: 22 محرم 169هـ / 4أغسطس 785م[2]

**الأحوال الداخلية في عهده:**

ورث الهادي عن أبيه كراهيته للزنادقة وعمل على استئصال شأفتهم وقد قام بوصية ابيه له، بألا يفتر عن التنكيل بهذه الطائفة وتطهير البلاد من رجسهم وفسادهم. فقد قام بقتل جماعة كبيرة منهم، وقد شارك أباه بغضه للخوارج، ولكن خالفه في موقفه من الأمويين فقد كان يبغضهم وتهدأ نفسه إذا ذكرت له قصص التنكيل والفتك بهم وخالف أبيه في موقفه من العلويين[3]، فقد قام بقطع ما كان المهدي يجري لهم من أرزاق وأعطيات. كانت سياسته اتجاههم تتسم بالشدة وسوء المعاملة فانجر عن هذه السياسة المتطرفة قيام ثورة الحسين بن علي بن الحسن.

**ثورة الحسين بن علي سنة 169هـ :**

كانت سياسة الخليفة العباسي الرابع تتسم بالشدة تجاه العلويين حيث أمر بايقاق العطاء لهم، وحين وصلت الحالة إلى درجة التأزم بسبب غضب الوالي العباسي تقدم انصار العلوية إلى الحسين بن علي الذي كان أكبر العلويين سنا وأكثرهم قدرة على زعامة الحركة الثورية وحثوه على الثورة، وكذلك المعاملة التي عاناها العلويين

---

[1] المسعودي، مروج الذهب، ج2، المرجع السابق، ص255.

[2] حسن ابراهيم حسن، تاريخ الإسلام السياسي، المرجع السابق، ص24.

[3] ينظر، عبد المنعم الهاشمي، الخلافة العباسية، المرجع السابق، ص182.

في المدينة أثارت الشيعة العلوية، فقد قام الحسين بإعداد ثورة في موسم الحج، وقد اتصل بالشيعة العلوية في الكوفة. قام الحسن بإعلان حركته في المدينة ولكن الحسن لم يجد تجاوبا من أهل المدينة ولذلك قرر الذهاب إلى مكة رغم هذا لم يتجاوب معه أهل مكة.

التقى العباسيون بالحسين بن علي في 8ذي الحجة المصادف ل11 حزيران في وادي فخ،* وقد قتل الحسين بن علي مع مئة من أتباعه في مجزرة دموية.[1]

ومما ورثه أيضا عن والده هو نقض ولاية العهد الشرعية لصالح ابنه. فقد أراد أن يسلب أخاه هارون من ولاية العهد الشرعية ويعطيها إلى ابنه جعفر من بعده.

**وفاته:**

لم تدم خلافة المهدي أكثر من سنة وقرابة شهرين فقد توفي سنة 170هـ/786م في ظروف غامضة، فاحدي الروايات تنسبها الي قرحة في معدته، والاخرى تتهم امه خيزران لسوء العلاقة بينهما وتضايق الهادي من تدخّلها في الحكم، ثم خوفها على ابنها هارون.[2]

## 5- الخليفة هارون الرشيد(170-193هـ/786م-809م):

**نسبه:**

هو هارون الرشيد بن محمد المهدي بن عبد الله "المنصور"، وامه يمانية جرشية يقال لها الخيزران وهي ام الهادي، ولد بالري سنة 145هـ[3]، و من بين الصفات التي اتصف بها انه كان طويلا مسمنا ابيضا جميلا[4]. ذا فصاحة فقد كان له نظر جيد في الادب و الفقه، واتصف ايضا بالعفو و التسامح فميراثها في ولده المهدي.

---

* فخ: وهي واد بمكة

[1] ينظر، فاروق عمر فوزي، الخلافة العباسية، المرجع السابق، ص184.

[2] ينظر، الطبري، تاريخ الرسل والملوك، ج8، المصدر السابق، ص157.

[3] ينظر، محمد الخضري بك، الدولة العباسية، المرجع السابق، ص 101.

[4] ينظر، الخطيب البغدادي، تاريخ بغداد، ج 14، المصدر السابق، ص 5.

اما اخلاقه فقد كان خليفة دين محافظا على التكاليف الشرعية اتم محافظة، فأما صلاته فكان يصلي في كل يوم مئة ركعة الى ان فارق الدنيا، و اما صدقته فقد كان كل يوم يتصدق من صلب ماله بألف درهم سوى العطايا التي كانت تهطل على الناس منه.

واما حجه فانه كان لا يختلف عنه الا اذا كان مشغولا بالغزو فهو كل عام بين غاز و حاج وفيه يقول ابن طباطبا: (كان الرشيد من افاضل الخلفاء وفصحائهم و علمائهم و كرمائهم، كان يحج سنة و يغزو سنة، و كان يصلي في كل يوم مائة ركع، وحج ماشيا و لم يحج خليفة ماشيا غيره، و كان اذا حج حج معه مائة من الفقهاء وابناؤهم، واذا لم يحج اجج ثلاثمائة رجل بالنفقة السابقة و الكسوة الظاهرة)[1].

كان يحب الشعر و الشعراء، ميالا الى اهل الادب و الفقه، و كان يحب المديح لا سيما شاعر فصيح. فقد كان يسمع وعظ الواعظين و هو عند ذلك رقيق القلب سريع الدمعة. واما جهاده فانه كان لا يترك الخروج مع جنده بل كان غالبا في مقدمتهم حتى لا يعتاد الراحة ولا يعقده الترف عن القيام بهذا الواجب. تميز ايضا بالشجاعة و شدة الغضب و معاقبة المسيء بلا شفقة.

بيعته:

جعله ابوه ولي عهد بعد الهادي و في السنة 169هـ وهي السنة التي توفي فيها والداه اراد ان يقدمه على الهادي لما ظهر منه من شجاعته وعلو شأنه فحالت منية المهدي دون ذلك.

بويع الرشيد بالخلافة يوم مات أخوه هارون في 14 ربيع الأول 170 هـ[2]

الحال في عهده:

يعتبر هارون الرشيد من أشهر خلفاء بني العباس، فقد كان عهده واسطة عهد المدة العباسية، وصلت فيه الخلافة إلى أفخم درجاتها صولة وسلطانا وثروة وعلما وأدبا ارتفعت فيه حضارة الدولة العلمية والأدبية والمادية إلى أرقى درجاتها[3]، فقد سمي عهد الرشيد بالعصر الذهبي للدولة العباسية بكل ما فيه مظاهر الحضارة

---

[1] ابن طباطبا، الفخري، المصدر السابق، ص 193.

[2] ينظر، الطبري، تاريخ الرسل و الملوك، ج 10، المصدر السابق، ص 47-48، و ينظر السيوطي، تاريخ الخلفاء، المصدر السابق، ص 177.

[3] ينظر ، محمد الخضري بك، المرجع نفسه، ص 101-102.

ودلالات الازدهار، ويعد منعطفا في تاريخ الخلافة العباسية تتمثل فيه بداية الانحلال الإداري والتفكك السياسي ومن الفتن والثورات في عهده ظهور الحركات المناهضة من العلوية التي كانت بقيادة ادريس بن عبد الله الذي تمكن من الهرب من وقعة فخ كما أسلفنا الذكر بالإضافة الى الحركات الأموية في الأندلس لكن أهم ما يميز عصره ظهور البرامكة فمن هم البرامكة؟ وما صلتهم بالخليفة الرشيد ؟ وهل كان لهم علاقة بالأسرة العباسية قبل خلافة هارون؟

- البرامكة:

البرامكة هم أسرة ايرانية تنسب إلى جدها برمك وهو من مجوس بلخ، وكان برمك وأولاده يدينون بالديانة المجوسية، دين الفرس القديم ولما ظهر الإسلام أسلم بعضهم لما جاءت الدعوة العباسية خراسان، كان خالد بن برمك من أكبر دعاتها وزعمائها وكان ذا صفات عالية أهّلته للسيادة والرفعة مما أدى بالخليفة السفاح إلى استوزاره وكذلك أخوه المنصور، ثم ازدياد نفوذ يحي بن خالد البرمكي في دولة المهدي واتصاله بالخيزران زوجة المهدي وبابنها الرشيد[1] وترجع أصول هذه العلاقة إلى ايام طفولة الرشيد، فقد كانت أم هارون على صلة بأسرة يحيى بن خالد البرمكي، فقد استطاع البيت البرمكي بجهد نسائه الودودات أن يدخلن إلى قلب أم الرشيد، فكان مجلسها لا يخل من أم جعفر، ومن أم الفضل، فقد كانتا مرضعتا الرشيد وبهذا أصبح الرشيد أخا لجعفر والفضل وكلاهما ولدي يحي بن خالد البرمكي وبالتالي أصبح هذا الأخير أبا لهارون و صارت زوجاته أمهات للرشيد، و قد امتدت هذه الصحبة مجمل العمر. فما إن يذكر الرشيد إلا وذكر أبو الفضل وجعفر يحي بن خالد البرمكي.[2]

اتخذ هارون الرشيد يحي بن خالد البرمكي كاتبا له يرجع إلى رأيه وتدبيره ولما ولي الخلافة استوزره وفوض له أمور دولته واستعان بأولاده الأربعة قائلا: ( فاحكم بما ترى واستعمل من شئت واسقط من رأيت فأني غير ناظر معك في شيء)[3]. فقد كانت الدواوين كلها بيد يحي بن خالد البرمكي، وتولى ابنه الفضل إدارة عديد من الأقاليم خاصة خراسان وكان مربيا للأمير محمد الأمين بن هارون الرشيد، أما جعفر فقد كان مقربا إلى

[1] ينظر، فاروق عمر فوزي، الخلافة العباسية، المرجع السابق، ص 196.

[2] ينظر عبد المنعم الهاشمي الخلافة العباسية، المرجع السابق، ص 204.

[3] عمر فاروق فوزي، المرجع نفسه، ص 197.

الرشيد، وعهد إليه بمهمات سياسية عديدة أما المهمات الإدارية فقد أعطاه الخاتم واشركه في النظر في المظالم وكتب اسمه على الدنانير بجانب اسم الخليفة، هذا ما أدى ببعض المؤرخين إلى القول: ( إن في دولة الرشيد دولة ملوكها البرامكة)[1]. لكن هذه السلطات لم تستمر أكثر من أربع سنين حيث كانت سنة وفاة الخيزران أم الرشيد بداية ونهاية نفوذهم. وفي سنة 187 هـ سقط البرامكة حين قرر الرشيد ذلك، فقد اورد المؤرخون العديد من الاسباب التي أدت إلى سقوط البرامكة ولكن السبب الحقيقي هو استبدادهم بالأمور دون الرشيد، ومشاركة الخليفة في صلاحيات سياسية ومالية كما أن سقوطهم لم يكن وليد مكيده أو انفعال مفاجيء بل كان تدبيرا مخططا له اختمر تدريجيا بسبب أحداث عبر عنها الرشيد بقوله: ( استبد بالأمور دوني وامضاها على غير رأيي وعمل بها أحبه دون محبتي)[2].

وقد كانت مدة خلافة الرشيد زاخرة بالعطاء الحضاري المتمثل بجهود العلماء بدعم من الرشيد ذاته في شتى مجالات المعرفة[3]، ففي عهده بلغت بغداد درجة عالية من الحضارة والعمران، فبنيت فيها القصور الشاهقة، وزادت موارد ثروتها، وكانت تصل إليها التجارة من أقصى البلدان[4].

قبل وفاة الخليفة الرشيد، ونتيجة للظروف الصعبة و الضغوطات التي تعرض إليها لمّا كان واليا للعهد في خلافة أخيه موسى الهادي، هذا الأخير الذي أراد أن يكون ولده خليفة من بعده، وقع الرشيد في الخطأ نفسه الذي وقع فيه والده المهدي وأعطى ولاية العهد الأوى إلى إبنه محمد الأمين والثانية إلى ابنه عبد الله المأمون والثالثة إلى ابنه القاسم المؤتمن، كما قسم ولايات الدولة الإسلامية بينهم فكان بهذا أول خليفة يبايع لأولاده الثلاثة من بعده، فبعد أداءه لمناسك الحج سنة 186 هـ /802 م كتب ثلاثة عهود لأبنائه علقت في الكعبة بعد أن أشهد عليها القضاة والقواد والعمال وأهل بيته[5].

- وفاته:

---

[1] ابن كثير، البداية و النهاية، ج10، المصدر السابق، ص 215.

[2] عمر فاروق فوزي، المرجع نفسه، ص 200.

[3] ينظر، أحمد اسماعيل الجبوري، الخلافة و علاقتها بالعلماء، المرجع السابق، ص 22.

[4] ينظر، حسن ابراهيم حسن، تاريخ الاسلام السياسي، المرجع السابق، ص 55.

[5] ينظر، الطبري ، تاريخ الرسل و الملوك، ج8، المصدر السابق، ص 286.

خرج الرشيد من بغداد في خامس شعبان سنة 192 هـ قاصدا خراسان عندما بلغه استفحال أمر رافع بن الليث بما وراء النهر، واستخلف ابنه محمد الأمين بمدينة السلام وخرج معه ابنه عبد الله المأمون ولم يزل الرشيد في مسيره حتى وافى مدينة طوس في صفر سنة 193 هـ. وهناك اشتدت به العلة.[1] مات يوم السبت من شهر جمادى الآخرة سنة 193هـ. فكانت ولايته ثلاث وعشرين سنة وستة أشهر، ومات وهو ابن الأربع والأربعين سنة وأربعة أشهر.[2]

### 6- الخليفة الأمين: (193 هـ – 198 هـ / 808م – 813م)

- نسبه:

هو محمد الأمين بن هارون الرشيد، ولد سنة 170هـ وهي السنة التي ولي فيها أبوه الرشيد الخلافة، وذلك بعد مولد أخيه عبد الله المأمون بستة أشهر، وأم الأمين هي أم جعفر زبيدة ابنة جعفر المنصور، وليس في الخلفاء من بني العباس خليفة أبوه وأمه هاشميان سواه.[3]

وقد وصفه الطبري في هذه العبارة فقال: ( وكان سبطا أبزع أبيض صغير العينين أقنى جميلا عظيم الكراديس بعيد ما بين المنكبين)[4] ووصفه السيوطي بقوله: ( وكان أحس الشباب صورة، أبيض طويلا ذا قوة مفرطة وبطش وشجاعة معروفة، يقال أنه قتل مرة أسدا بيده وله فصاحة وبلاغة وأدب وفضيلة. لكن كان سيء التدبير كثير التبذير ضعيف الرأي أرعن، لا يصلح للإمارة)[5].

---

[1] ينظر، محمد الخضري بك، الدولة العباسية، المرجع السابق،ص133.

[2] ينظر، الطبري، ج10، المصدر نفسه ، ص112.

[3] ينظر، حسن ابراهيم حسن، المرجع نفسه، ص56، وينظر، عبد المنعم الهاشمي، الخلافة العباسية، المرجع السابق، ص322-223.

[4] الطبري،ج1، المصدر نفسه، ص299.

[5] جلال الدين السيوطي، تاريخ الخلفاء، المصدر السابق، ص197.

ومن خصاله أيضا يتحدث السيوطي في تاريخ الخلفاء فيقول: ( اجتمعت في الأمين خصائل لم تكن في غيره، كان أحسن الناس وجها وأسخاهم وأشرف الخلفاء أبا وأما، حسن الأدب عالما بالشعر، لكن غلب عليه الهوى واللعب، وكان مع سخائه بالمال بخيلا بالطعام جدا).[1]

- بيعته:

في أيام خلافة والده الرشيد كان قائما مقام أبيه ببغداد حينما سافر إلى خراسان، ولما مات الرشيد بطوس بويع له في عسكر الرشيد بالخلافة ووصل الخبر إلى بغداد فبايعه الخاصة والعامة وذلك سنة 193هـ -808م.

- الأحوال الداخلية في عهده:

كان عهده عهد اضطرابات وفتن، فما إن قامت الفتنة بينه وبين المأمون حتى بدأت في بلاد الشام على يد علي بن عبد الله السفياني، الذي دعا إلى البيعة لنفسه، واحتل دمشق وما يليها، وكاد يتم له الإستقلال بهذه البلاد، وقد أرسل الأمين الجيوش لقمع هذه الفتن، لكن سوء الأحوال في بغداد بسبب فتنة الأخوان الأمين والمأمون، حال دون القيام بعمل جدي ضد السفياني، واصبحت بلاد الشام مسرحا للفوضى.[2]

**شرح الفتنة بين الأمين والمأمون:**

نشبت حرب أهلية بين الأخوين، وهذا راجع إلى قرار الرشيد بخصوص ولاية العهد. فقد وصلت المفاوضات بين الأمين والمأمون إلى طريق مسدود وحدثت الحرب التي كانت سجالا بين الطرفين في البداية ثم بدأت كفة المأمون بالرجحان وتقدم جيشه بقيادة طاهر بن الحسين باتجاه العراق وبعد أن هزم عددا من جيوش الأمين دخل حدود العراق وأعلنت العديد من المدن ومنها مكة اعترافا بالخلافة للمأمون، وبعد حصار لبغداد دام أربعة عشر شهرا قاوم فيه الأمين وانصاره مقاومة شديدة حيث كان القتال يدور من شارع إلى شارع حتى سميت المعارك باسم الدروب.[3]

---

[1] المصدر نفسه،ص202.

[2] ينظر، حسن ابراهيم حسن، المرجع نفسه، ص56.

[3] ينظر، عمر فاروق فوزي، الخلافة العباسية، المرجع السابق، ص371.

- وفاته:

ظل الأمين خليفة لمدة أربع سنين وثمانية أشهر وخمسة أيام، وقد قتل وهو في الثامنة والعشرين من عمره على اثر خلاف بينه وبين أخيه المأمون فقد كانت الفتنة بسبب خلعه أخاه، وتوليته ابنه موسى العهد من بعده.

وقام بنكث العهد والميثاق الذي أخذه عليه ابوه الرشيد.[1]

وقد سادت عهده الفتنة الهوجاء التي فرّقت المسلمين وأضعفت قوتهم وفوضت كثيرا من معالم مدينة بغداد حاضرة العباسيين، ومكتبة العلوم والآداب ، ومركز التجارة، وحاضرة الإسلام.

**7- الخليفة المأمون (198هـ – 218هـ / 813 م- 833م)**

نسبه:

المأمون عبد الله أبو عباس بن الرشيد، ولد سنة 170 هـ، في ليلة الجمعة منتصف ربيع الأول، وهي الليلة التي توفي فيها عمه الخليفة الهادي، وأمه أم الولد اسمها مراجل ماتت يوم نفاسها به[2]، وقد ولاه أبوه العهد وهو في الثالثة عشر من عمره بعد أخيه الأمين، قرأ العلم في صغره فقد برع في الفقه والعربية وايام الناس ولما كبر عني بالفلسفة وعلوم الأوائل ومهر فيها، فجره ذلك إلى القول بخلق القرآن.

بقول السيوطي في كتابه تاريخ الخلفاء (كان أفضل رجال بني العباس حزما، وعزما، حلما، وعلما، ورأيا، ودهاء، وهيبة، سؤددا، وسماحة، وله محاسن وسيرة طويلة لولا ما أتاه من محنة الناس في قوله بخلق القرآن، ولم يل الخلافة من بني العباس أعلم منه وكان فصيحا مقوما).[3]

وكان المأمون يتحلى بصفات كثيرة التي امتاز بها عن سائر الخلفاء العباسيين، من ذلك ميله الى العفو وكراهيته للانتقام. عرف كذلك المأمون بكرمه الزائد، مما يدل على هذا هو ما أنفعه على زواجه من بوران بنت الحسن بن سهل.

وكان المأمون حاضر الديهة سريع الجواب. وروى في هذا أن امرأة جائته وهو في مجلس العلماء وقالت له: ( يا أمير المؤمنين! مات أخي وخلّف ستمائة دينار، أعطوني دينارا. فأخذ المؤمون يحسب ثم قال لها، هذا

---

[1] ينظر، الهاشمي عبد المنعم، المرجع نفسه، ص324.

[2] ينظر، الهاشمي عبد المنعم، تاريخ الخلافة، المرجع نفسه، ص 365.

[3] جلال الدين السيوطي، تاريخ الخلفاء، المصدر السابق، ص 284.

نصيبك، فقال العلماء: كيف علمت يا أمير المؤمنين؟ فقال: هذا الرجل خلّف ابنتين، قالت: نعم، فلهن الثلثان أربعمائة، وخلف والدة فلها السدس ماءة، وخلف زوجة فلها الثمن خمسة وسبعون، وبالله ألك إثنا عشر أخا؟ قالت: نعم ! قال: أصابهم ديناران وأصابك دينار.[1]

بيعته:

بعد وفاة أبيه لم يف له أخوه الأمين بوعده بل أراد أن يقدم عليه ابنه موسى فأبى ذلك المأمون وكان من وراء ذلك الحرب القطيعة كما سلفنا الذكر فيها، والتي انتهت بقتل الأمين في (25 محرم 198هـ)( 5سبتمبر 813م) ومنذ هذا التاريخ بويع المامون بالخلافة العامة وذلك في بغداد.[2]

الأحوال في عهده:

كان المأمون من عظماء الخلفاء ومن عقلاء الرجال وأكثر ما ميز عصره بالاضافة إلى النشاط العلمي والتطور الحضاري، إختراعات كثيرة في مملكته منها:

- أنه أول من فحص منهم في علوم الحكمة وحصّل كتبها وأمر بنقلها إلى العربية وشهرها وحل إقليدس ونظر في علوم الأوائل. وتكلم في الطب وقرب أهل الحكمة.
- إلزام الناس أن يقولوا بخلق القرآن أي أن القرآن مخلوق بمعنى غير أزلي.
- نقل الدولة من بني عباس إلى بني علي عليه السلام.

حاول المأمون في بداية حكمه التوفيق بين العباسيين والعلويين[3]، وفي سنة 201هـ قرر خلع أخيه المؤتمن من العهد وجعل ولي العهد من بعده علي الرضا بن موسى الكاظم بن جعفر الصادق، فقد كان هو من سمّاه الرضا. وأمر بترك السواد ولبس الخضرة، لأن أصله من الجنة، فاشتد ذلك على بني العباس جدا وخرجوا عليه، وبايعوا إبراهيم المهدي فقد لقب هذا الأخير "المبارك" وعند ما بلغ هذا للمأمون جهز لقتاله[4]. وفي أثناء

---

[1] حسن ابراهيم حسن، المرجع نفسه، ص 59.

[2] ينظر، محمد الخضري بك، الدولة العباسية، المرجع السابق، ص 166.

[3] ينظر، ابن طباطبا، الفخري، المصدر السابق، ص 216، و ينظر حسن ابراهيم حسن المرجع نفسه، ص 58.

[4] ينظر، جلال الدين السيوطي، المصدر نفسه، ص 285.

رجوع المأمون الى العراق كتب إلى أهل بغداد يعلمهم أنهم ما نقموا عليه الاّ بيعته لعلي، فلما أحس الناس برجوع الخليفة إلى بغداد قاموا بخلع ابراهيم بن المهدي من الحكم فاختفى في ذي الحجة وكانت ايامه في الخلافة سنتين إلا أياما. وبقي في اختفائه ثمان سنين، ولما دخل المأمون بغداد تلقاه العباسيون وكلموه في ترك لباس الخضرة والعودة إلى السواد، فاستجاب الخليفة إلى هذا وأمر الناس بتغييره والعود إلى لباس السواد. فإن أكثر ما عرف من أخلاق المأمون هو العفو وكراهية الانتقام فقد عفى عن عمه ابراهيم بن المهدي ولم يؤاخذه وأحسن إليه.[1]

اتخذ المأمون في آخر حياته مبدا الاعتزال، حيث ظهرت في أيامه محنة القول بخلق القرآن، وقد عدّت هذه القضية من أسوأ القضايا التي طرحت في عهد المأمون بل في العصر العباسي بأكمله.[2] فإذا أردنا البحث في جذور هذه القضية فإننا نجدها ترجع إلى أواخر أيام الدولة الأموية وتصاعدت هذه المقولة حتى ورثها المعتزلة هذه الأخيرة التي كانت بزعامة أحمد بن دؤاد والذي كان ضدا للإمام أحمد بن حنبل وقد بدأت هذه المحنة حينما اثر علماء المعتزلة في المأمون الذين قاموا بإقناعه بالقول بخلق القرآن هذا ما أدى إلى ظهور فتنة بين المأمون والأئمة والفقهاء، فإن بداياتها هذه الأولى كانت معانات للإمام أحمد بن حنبل في وجه هذا الدعي أحمد بن ابي دؤاد الذي نصره الحاكم، إلا أن الله نصر صاحب الحق، واعتذر ابن أبي دؤاد للإمام الحنبلي في مجلس من المجالس لكنه بقي يعاني في عهد المعتصم والواثق، فقبيل وفاة المأمون أوصى أخوه المعتصم وصية يقول فيها خذ بسيرة أخيك في القرآن ثم أوصاه بأحمد بن دؤاد، فيحرص على مشورته وإشراكه في رأي قبل تنفيذه.[3]

---

[1] ينظر، حسن ابراهيم حسن، المرجع نفسه، ص 59- 60.

[2] ينظر، فاروق عمر فوزي، الدولة العباسية، ص 372.

[3] ينظر، عبد المنعم الهاشمي، الخلافة العباسية، ص المرجع السابق، 334-335.

الأحوال الخارجية في عهده:

أهم ما ميز أحوال المأمون الخارجية هو حربه مع الروم وذلك سنة 215هـ. فلم يكن قبل هذه السنة حروب بين المسلمين والروم[1]. فقد قام المأمون بغزو الروم فقام بفتح حصن قرة عنوة، وحصن ماجدة، ثم صار إلى دمشق، ثم عاد في سنة 216هـ الى الروم وافتتح عدة حصون ثم عاد إلى دمشق ثم توجه إلى مصر ودخلها فهو أول من دخلها من الخلفاء العباسيين، ثم عاد في سنة 217 هـ إلى دمشق والروم .

وفاته:

بينما كان المؤمون ببلاد الروم في آخر غزواته أصابته حمى لم تمهله كثيرا وفي 18 رجب سنة 218هـ أدركته منيته فحمل إلى طرطوس ودفن بها وكانت سنّه إذ توفي 48 سنة[2] وبهذا كانت خلافته عشرين سنة. وكان قد عهد بالخلافة من بعده إلى أخيه أبي إسحاق ابن الرشيد.

### 8- الخليفة المعتصم بالله (218 هـ-227هـ / 833م-841م):

نسبه:

هو أمير المؤمنين أبو إسحاق محمد المعتصم بن هارون الرشيد بن علي المهدي بن المنصور العباسي، ولد سنة 180هـ. وأمه أم الولد تسمى "ماردة"[3] يقال له "المثمّن"[4] لأنه ثامن ولد العباس وثامن الخلفاء من ذريه، ومنها انه تمكن من إحراز ثمان فتوحات وأقام بالخلافة ثماني سنوات وثمانية أشهر وثمانية أيام، وأنه ولد سنة ثمانين ومائة في شعبان وهو الثامن من السنة، وأنه توفي وله من العمر ثمانية وأربعون عاما، وأنه خلف ثمانية من

---

[1] ينظر، جلال الدين السيوطي، المصدر نفسه، ص 286.

[2] ينظر، حسن ابراهيم حسن، المرجع نفسه، ص 64.

[3] ذكرها المسعودي في مروج الذهب، ج2، المرجع السابق، ص 345، و ذكرها الطبري في تاريخه، ج 11، ص 9، و السيوطي، المصدر نفسه، ص 309.

[4] ينظر، جلال الدين السيوطي، تاريخ الخلفاء، المصدر السابق، ص 309، و ينظر محمد الخضري بك، الدولة العباسية، المرجع السابق، ص 214.

البنين وثماني من البنات، كان أميا لا يحسن الكتابة، أما عن صفاته فقد وصفه ابن طباطبا وقال: ( إنه كان سديد الرأي، شديد المنة، يحمل ألف رطل ويمشي بها خطوات، وكان موصوفا بالشجاعة)[1].

كان المعتصم أبيض، أصهب اللحية طويلها، مربوعا مشربا بحمرة، ذا شجاعة وهمة عالية، وقوة مفرطة، رغم كونه لا يحسن الكتابة، إلا أنه تميز بالفصاحة مهيبا، حتى قيل عنه أنه كان أهيب الخلفاء العباسيين.[2]

بيعته:

كان المعتصم أيام المأمون واليا على مصر والشام، وكان المأمون يميل إليه لشجاعته فولاه عهده وترك ابنه وفي اليوم الذي توفي فيه أخوه الخليفة ببلاد الروم بويع له بالخلافة ولقب بالمعتصم، في 19 رجب 218هـ، وأول ما واجه المعتصم هو رفض الجند الدخول في طاعته، لأنهم كانوا يريدون من العباس بن المأمون أن يتولى الحكم ولكن العباس أسرع إلى مبايعة عمه بالخلافة احتراما لوصية أبيه، فحذا الجيش حذوه.[3]

الأحوال في عهده:

كانت شخصية المعتصم على النقيض من شخصية أخيه المأمون، فلم يكن مهتما بالفكر والثقافة والعلوم قدر اهتمامه بأمور الجيش والحرب، وبقدر ما كان المأمون مفكرا ملتزما كان المعتصم عسكريا محترفا، ولذلك فإن استمرار مذهب الاعتزال في عهده لم يكن عقيدة أو إيمان الخليفة الجديد به بل تقليد لسلفه وانقياد لوصية أخيه، التي تنص في حمل الناس على القول بخلق القرآن فأكثر ما نتج عن هذه الوصية هو إلحاق الأذى بكل من يعارض بذلك من أهل الرأي والعلماء، فقد أهان أحمد بن حنبل* إهانة بالغة وسجنه.

إن اختيار المأمون للمعتصم خليفة من بعده دون ابنه يدل على ذكاء وحكمة عرف بهما المأمون، فالظروف السياسية التي كانت تمر بها الدولة داخليا وخارجيا كانت تحتم اختيار رجل عسكري من طراز المعتصم الذي

---

[1] ابن طباطبا، الفخري، المصدر السابق، ص 229.

[2] ينظر الهاشمي عبد المنعم، المرجع نفسه، ص336-337.

[3] ينظر الطبري، ج10، المصدر نفسه، ص304.

* الإمام أحمد بن حنبل بن عبد الله أحمد بن محمد بن حنبل هلال بن أسد الشيباني المروزي الأصل، ولد سنة 164 هـ الموافق 780م وكان إمام المحدثين وصف المسند توفي سنة 241هـ الموافق ل855م ، ابن خلكان، وفيات الأعيان، ج1، المصدر السابق، ص63-64.

كان الشخص المناسب في المكان المناسب[1]، فقد أعاد تنظيم الجيش وأكثر من استخدام الأتراك وفضلهم على سائر الجنود الأخرى هذا ما سنفصله لاحقا، وبهذا التخطيط والتغيير حسم العديد من الاضطرابات التي كانت تهدد حكمه والتي كانت تعاني منها الدولة قديما أهمها:

أ- الخرمية:

بابك الخرمي[2]: نشأ في بلاد فارس التي كانت كثيرة المعتقدات والبدع، هذا ما أدى إلى ظهور الطوائف الدينية على اختلافها ومنها طائفة الخرمية، وتنتسب هذه الطائفة إلى بابك الذي ادعى الألوهية، وعكر صفوة الدولة العباسية في عهد المأمون وأخذ أمره يشتد في أيام المعتصم، يرى بعض المؤرخين أن بابك الخرمي من سلالة أبي مسلم الخراساني، ومن مبادئ الخرمية الاساسية تحويل الملك من العرب المسلمين إلى الفرس والمجوس. وقد ظهر بابك بأذربيجان وبها اشتدت نفوذه.

وظل عشرين سنة يحارب قواد الخليفة، وهزم منهم كثيرا من القواد .

ب. حركة الزط على طريق البصرة:

كانت هذه الحركة من أصعب الحركات التي واجهت المعتصم وأزعجته كثيرا فقد تمكن هؤلاء من السيطرة على طريق البصرة، وهددوا مرافق الدولة وفرضوا المكوس على السفن، وحالوا دون وصول الإمدادات إلى بغداد.

وقد ندب المعتصم لقتالهم عجيف بن عنبسة أحد قواد من العرب. فعسكر بالقرب من واسط* وسد الأنهار عليهم وأحاط بهم من كل جانب، وقاتلهم تسعة اشهر وأرغمهم على طلب الأمان وبعدها قام الخليفة بنفيهم إلى آسيا الصغرى.

---

[1] ينظر فاروق عمر فوزي، الدولة العباسية، المرجع السابق، ص373.

[2] ينظر حسن إبراهيم حسن تاريخ الإسلام، المرجع السابق، ص95-96، وينظر الهاشمي عبد المنعم المرجع نفسه، ص338.

* واسط مدينة بين الكوفة والبصرة.

ولمواجهة هذه الحركات استعان المعتصم بالأتراك. وكان هذا أكثر ما ميز عصر المعتصم هو الاكثار من استخدام الاتراك، وتفضيلهم على العناصر الأخرى في الجيش[1]: الذين جلبهم من أقاليم ما وراء النهر*، مثل سمرقند، والشاش* وخوارزم*.

ولقد خصت شوارع بغداد بهم مما أثار مشاكل نتيجة اصطدامهم بالعامة، مما أضطر الخليفة إلى اخراجهم خارج بغداد وبناء عاصمة جديد لهم وللدولة العباسية وهي مدينة سامراء سنة 220 هـ/835م على بعد 150 كلم شمالي بغداد[2]، فقد نقل مركز الدولة إليها حيث أصبحت مقر للجيش والدواوين ولعل العامل الأهم في نقل العاصمة هو الفارق الحضاري بين أهل بغداد المتمدنين وبين الجند الترك البدو، مما أدى إلى التصادم بين الفئتين الذي نتج عنه ظهور اضطرابات في دولة المعتصم.

وفاته:

أصيب المعتصم في آخر أيامه بمرض قضى عليه يوم الخميس لثماني ليال من شهر ربيع الأول 228هـ. وولى عهده لإبنه هارون ولم يجعل معه في الولاية غيره.[3]

### 9- خلافة هارون الواثق (228 هـ-232هـ / 742 م -747م):

نسبه وصفاته:

هو أبو هارون الواثق بالله بن المعتصم بن الرشيد، وأمه أم الولد رومية اسمها قراطيس، ولد سنة 186هـ بطريق مكة، ويقول المؤرخون في صفات الواثق:" إنه كان كثير الأكل والشرب واسع المعروف متعطفا على

---

[1] ينظر اليعقوبي، تاريخ اليعقوبي ،ج3، المصدر السابق،ص198-199.

* ما وراء النهر: يراد به ماوراء نهر جيحون بخراسان، يقود الحموي، معجم البلدان، دار صادر، بيروت، ج3، ص246-247.

* الشاش: بلدة كبيرة ماوراء نهر جيحون متاخمة لبلاد الترك، يقود الحموي، المصدر نفسه، ص308.

* خوارزم: وهي بلدة كبيرة معامرة قرب نهر جيحون وخراسان، ياقوت الحموي، ج2، المصدر نفسه، ص395-396.

[2] ينظر اليعقوبي، المصدر نفسه، ص198-199.

[3] ينظر محمد الخضري بك، الدولة العباسية، المرجع السابق، ص213.

أهل بيته متفقدا لرعيته، وكان محبا للنظر مكرما لأهله، مبغضا للتقليد وأهله محبا للإشراف على علوم الناس وآرائهم. ممن تقدم وتأخر من الفلاسفة والمتطببين"[1].

كان الواشق لا يبارى في علمه وأدبه حتى سمي المأمون الأصغر لأدبه وفضله وقد شغف بالوقوف على آراء العلماء والحكماء.

يقول السيوطي:" كان الواثق وافر الأدب، مليح الشعر، وكان يسمى مأمون الأصغر لأدبه وفضله، وكان المأمون يعظمه، ويقدمه على ولده، وكان أعلم الناس بكل شيء وكان أعلم الخلفاء بالفن"[2].

يقول ابن طباطبا:" كان الواثق من أفاضل خلفائهم، وكان فاضلا لبيبا فطنا فصيحا شاعرا، وكان يتشبه بالمأمون في حركاته وسكناته".[3]

بيعته:

بويع بالخلافة عقب وفاة أبيه في يوم الخميس 8 من ربيع الأول سنة 228هـ 5 يناير سنة 846م بعهد من ولده المعتصم في اليوم الذي توفي فيه المعتصم يوم الأربعاء لثمان ليل مضت من شهر ربيع الأول.[4]

أحوال عهده:

لما ولي هارون الواثق الخلافة أحسن إلى بني عمه الطالبيين، ولم يقع في أيامه من الفتوحات العظيمة والحوادث المشهورة. أما عن سياسته فإنها كانت استمرار لسياسة عمه وأبيه.

فقد سار على أثر عمه وأبيه في الإعتزال وقام بامتحان الناس في محنة خلق القرآن، وحاول التسامح مع العلويين، فقد اتسم عصره بالهدوء النسبي وأهم ما ميز عصره تعاظم نفوذ الأتراك[5]،

---

[1] محمد الخضري بك، المرجع نفسه، ص236.

[2] جلال الدين السيوطي، تاريخ الخلفاء، المصدر السابق، ص317.

[3] ابن طباطبا الفخري، المصدر السابق، ص317.

[4] ينظر أحمد اسماعيل الجبوري، علاقة الخلافة العباسية بالعلماء في العصر العباسي الأول، المرجع السابق ،ص26.

[5] ينظر عبد العزيز الدوري،دراسات في العصور العباسية المتأخرة، بغداد، 1945، ص 36-38.

وكذلك نفوذ المعتزلة وخاصة زعيمها بن أبي داؤاد* فقد كان الخليفة لا يصدر رأيا إلا بالرجوع إليه وإلى وزيره محمد بن عبد الملك الزيات، وقد تشدد الواثق في تطبيق مذهب الاعتزال فكانت (المحنة) أعنف مما كانت عليه في عهد المأمون والمعتصم هذا ما أدى إلى انفجار أهل بغداد 231هـ/846م في انتفاضة عارمة قادها أهل الحديث بقيادة رئيسها أحمد بن نصر بن مالك الخزاعي، ولكن الانتفاضة قمعت وحكم على أحمد الخزاعي بالموت، ولكن سياسة اسكات المعارضين كانت لها مردودات سلبية حيث زادت من التذمر وسهلت على الخليفة الجديد المتوكل إنهاء سلطة المعتزلة السياسية بسهولة دون صعوبة.[1]

وقد ذكر المؤرخون أن عهد الواثق يشكل نهاية العصر العباسي الأول.[2]

وفاته: حكم الخليفة الواثق مدة خمس سنين وتسعة أشهر وخمس عشرة يوما ولم يول عهده أحدا[3]، وسئل في مرضه أن يوصي بالخلافة لولده، فلم يقبل قال:" لا أتحمل أمركم حيا وميتا". توفي الواثق في شهر ذي الحجة سنة 232هـ وعمره 36 سنة، وبموته انتهى العصر الذهبي للدولة العباسية.

---

* ابن أبي داؤد: عربي الأصل من اياد نشأ في طلب العلم و خاصة الفقه و الكلام فصحب رجلا من أهل المعتزلة، فصار بذلك معتزلا بل و من كبار المعتزلة، ولد بالبصرة سنة 160هـ، و توفي في سنة 240هـ، ينظر، أحمد أمين، ضحى الاسلام، ج3، عمان، الأردن،ط1، 1998، ص 155.

[1] ينظر، عمر فاروق فوزي، الخلافة العباسية، المرجع السابق، ص 374-375

[2] ينظر، حسن ابراهيم حسن، تاريخ الاسلام، المرجع السابق، ص 76.

[3] ينظر، الخضري بك، الدولة العباسية، المرجع نفسه، ص 232.

# الفصل الثالث

لوزارة في العصر العباسي الأول:

المبحث الأول: تعريف الوزارة وأنواعها

المبحث الثاني: نشأة الوزارة وتطورها في العصر العباسي الأول

المبحث الثالث: أشهر وزراء بني العباس

## المبحث الأول: تعريف الوزارة وأنواعها

جاءت كلمة وزير في القرآن الكريم حيث قال تعالى: ﴿**وَاجْعَلْ لِي وَزِيرًا مِنْ أَهْلِي (29) هَارُونَ أَخِي**﴾[1] وهي تعني المشير والمؤازر، وجاء في عيون الأخبار أن الأخبار أن كلمة الوزير مشتقة من الوزر، وهو الحمل، والمراد أنه يحمل من الأمور مثل الأوزار، ويقال الإثم وزر تشبيها له بالحمل على الظهر.

والوزر: الحمل الثقيل، والوزر : الذنب الثقيل وجمعها أوزار، والوزير، الذي يحمل ثقل الملك ويعنيه برأيه، وقد استوزره، وحالته الوزارة،[2] والوزارة، ووازه على الأمر، أعانه وقواه، والأصل آزره، والوزير في اللغة اشتقاقه من الوزر، والوزر: البل الذي يعتصم به، ليني من الملاك، وكذلك وير الخليفة معناه الذي يعتمد على رأيه في أموره ويلتجئ إليه.[3]

وقال ابن طباطبا المعروف بابن الطقطقي:" الوزير وسيط بين الملك والرعية، فيجب أن يكون في طبعه شطر يناسب طباع الملوك، وشرط يناسب طباع العوام، ليعامل كلا من الفريقين بما يوجب له القبول والمحبة، والأمانة والصدق رأس ماله".[4]

الوزير هو صلة وصل بين الملك وشعبه فيه تكتمل حلقة الحكم، فهو يوصل للملك هموم الناس وطلباتهم، وكذا يحمل ردود الملك إلى شعبه سواء بالقبول أو الرّفض، وعليه (الوزير أن يتطبع بسلوك العوام كي يستطيع التأمل معهم بما يرضيهم ويكسب حبهم ورضاهم كما وجب عليه كسب ثقة الملك وذلك بطاعته وعدم الاختلاف معه.

والوزارة من الوظائف الكبرى في الدولة إن لم تكن أكبرها، وهي من الوظائف التي تحمل في دلالتها وتطوّرها شواهد على نظام الحكم الإسلامي وموقفه من الحضارات السابقة. قال ابن خلدون: " الوزراء أم الخطط السلطانية

---

[1] سورة طه، الآيتان (2928)

[2] ينظر، علي حسن الشطشاط، دراسات في تاريخ الحضارة الإسلامية، دار القباء للطباعة و النشر و التوزيع، القاهرة، ط1، 2001،ص68.

[3] ينظر الماوردي، الأحكام السلطانية، المصدر السابق، ص22.

[4] ابن طبا طبا، الفخري في الآداب السلطانية ودول الإسلامية، المصدر السابق، ص152.

والرتب الملوكية".[1]

وإذا نظرنا إلى الوزراء في وظيفتها ومدى تأثير الحضارات السابقة على الإسلام في تطورها وتحديد اختصاصها، فإن صلة العرب قبل الإسلام بالأمم المجاورة كانت وثيقة بدرجة تجعلنا لا نشك في أنهم عرفوا الوزارة، ومن ثم كانت الألقاب التي يحملها الوزير في نظام العربي القديم قريبة من الألقاب التي حملها نظراؤهم في النظم المجاورة.

والإسلام لا يعترض على الوزارة في ذاتها، ويحدث على المشاورة والمؤازرة، قال الرسول صلى الله عليه وسلم حين سأله علي بن أبي طالب رضي الله عنه وهو خارج لغزوة تبوك: ( يا رسول الله خرت وخلفتني أما ترضى أن تكون مني بمنزلة هارون من موسى إلا لا نبي بعدي؟ ).[2]

وقد علمنا أن الله تعالى جعل هارون وزيرا لموسى. وقال أبو بكر رضي الله عنه في سقيفة بني ساعدة مخاطبا الأنصار (نحن الأمراء وأنتم الوزراء)3

لقد عرفت الوزارة منذ ظهور الإسلام وقول أبو بكر دليل على أن الصحابة اتخذوا وزراء لهم خلال توليهم الخلافة.

**1صفات الوزير:**

عمل الخلفاء العباسيون في العصر العباسي الأول بنظام الوزراء واختاروا وزراءهم من الأكفاء والعلماء وذوي المواهب العالية وقد روي عن الخليفة المأمون قوله في اختيار الوزير والصفات التي يؤمل توفيرها فيه:

" إني التمست لأموري رجلا جامعا خصال الخير، ذا عفة في طلائقه واستقامة في طرائقه، وقد هذيته الآداب، وأحكمته التجارب إن اؤتمن على الأسرار قام بها، إن قلد مهمات الأمور نهض بها ، يسكنه الحلم ، وينطقه العلم، وتكفيه اللحظة، وتعينه اللّمحة، له صولة الأمراء وأناة الحكماء، وتواضع العلماء، وفهم الفقهاء، إن أحسن إليه شكر وإن ابتلي

---

[1] ابن خلدون، مقدمة ، المصدر السابق،ص412.

[2] ابن سعد الطبقات الكبرى ، م2، المصدر السابق، ص34

[3] المصدر نفسه، ص182.

بالأسى صبر، لا يضيع نصب يوم بجرماني عدّه، يسترق قلوب الرجال خلابة لسانه وحسن بيانه".1

والذي نلحظه أن من مجموع واحد وعشرين وزيرا ممن تقلّدوا هذا المنصب في العصر العباسي الأول ، ستة وزراء كان منهم من يعد من فئة العلماء.2

ولقد كان الخلفاء العباسيون يمعنون في البحث والتحري عن أفضل الوزراء فالخليفة العباسي المأمون وضع مجموعة من المعايير لاختيار وزيره كما سبق لنا وأن ذكرنا؛ ثم استوزر المأمون فضل بن سهل (ت202هـ) . وقد كان الفضل هذا من أعاظم الوزراء في تاريخ الإسلامي، ولمكانته أطلق عليه المأمون يده في كل الأمور "وسماه ذا الرياستين لتدبيره أمر السيف والقلم".3 أي جعله يتولى الأمور المتعلقة بالسياسة والحرب، ولم يكن ذلك الجمع لو زير سابق.

وكذلك وجدنا ابن العميد علي بن محمّد بن الحسين، من جملة الوزراء الّذين ذاع صيتهم وانتشرت شهرتهم في ذلك العصر، فعلى الرّغم من كونه وزيرا لآل بويه، إلا أننا وجدنا مؤسسّة الخلافة تمدحه، وترفعه على مكانة عالية ومن ثم لقب "بذي الكفايتين"4 أي السيف والقلم، وما كان امتداح الخليفة لأنّه اتصف بصفات تستحق ذلك المديح.

وقد ذكر صاحب الفخري بعض صفات الوزير فقال:

"...والأمانة والصدق رأس ماله...والكفاءة والشهامة....والفطنة والتيقظ والدّهاء....والرّفق والأناة والتثبت في الأمور والحلم والوقار....5 فهذه صفات جليلة وضروري توفرها في الوزير لأنه وسيط بين الخليفة ورعيته، ينوب عن الخليفة في عديد الأمور، ويقرر عنه في بعضها.

---

[1] الماوردي، الأحكام السلطانية، المصدر السابق ،ص2625.

[2] ينظر، إبراهيم سليمان الكروي، نظام الوزارة في العصر العباسي الأول ، الكويت، 1983، ص47، وينظر ابن طباطبا، الفخري في الآداب السلطانية، المصدر السابق، ص221.

[3] الخطيب البغدادي، تاريخ بغداد أو مدينة السلام،ج14، دار الكتب العلمية ، بيروت، د.ت، ص229.

[4] ينظر، علي حسين الشطشاط، المرجع السابق، ص71.

[5] ينظر، ابن طباطبا، المصدر السابق، ص152

2- أنواع الوزارة:

من خلال مطالعتنا لبعض المصادر وجدنا أن الوزارة في الإسلام ضفتين: الأوّل وزارة التفويض وتجمع بين كفايتي السيف والقلم، وهي الّتي يمارس فيها الوزير صلاحيات الخليفة كاملة في الإدارة فيما عدا أمور ثلاثة، هي حق تعيين ولي العهد، أو عزل الخليفة، أو عزل من عينه الخليفة، والثاني وزارة التنفيذ وتختصّ بالرأي والحزم، وهي تأتي في مرتبة ثانية لوزارة التفويض وتصر فيها سلطات الوزير على تنفيذ أوامر الخليفة وقراراته.

أ. وزارة التفويض:

هي الوزارة الجامعة بين كفايتي السيف والقلم، وهي الأعم نظرا، وأنفذ قدرا، وهي الوزارة التي تختص بالاستيلاء على التدبير، والعقد والحل، والتقليد والحل، وفيها يستوزر الخليفة من يفوض غليه تدبير برأيه، وإمضائها على اجتهاده، ويعتبر في هذه الوزارة شروط الإمامة فيما عدا النسب، ومن كان لوزير التفويض معظم صلاحية الإمام، وهي أجل الولايات بعد الخلافة.

وفي هذا الصدد يذكر الماوردي أنّه "ينظر في كل ما ينظر فيه الخليفة"[1] وهذا لا يعني تخلّي الخليفة عن كل شيء، فهو الأصل، وله مباشرة الأمور كلّها متى أراد.

ويستوجب الماوردي في وزير التفويض أن تنطبق عليه الإمامة (الخلافة) إلا النسب القريش ويحتاج الوزير في هذه الوزارة إلى شرط زائد عن شروط الخلافة، وهو أن يكون لديه المعرفة بأمري الحرب والخراج، ليباشرهما بنفسه، أو يختار من يباشر هما تحت إشرافه.[2]

ومع ذلك فقد حدّد الفقهاء الضوابط التي تضع وزير التفويض من الاستبداد فقالوا: إنه يجب على وزير التفويض مطالبة الإمام لما أمضاه من تدبير، وأنفذ من ولاية وتقليد لكي لا يصير بالاستبداد كالإمام، كما أنه يجب على الإمام أن

---

[1] الأحكام السلطانية، المصدر السابق، ص153.

[2] المصدر نفسه، ص20.

يتصفّح أعمال الوزير وتدبيره للأمور ليقرّ منها ما وافق الصواب ويستدرك ما خالفه، لأنّ تدبير الأمة إليه موكل واجتهاده محمول.

- اختصاصات وزير التفويض:

لقد أجمعت المصادر على مجموعة من الاختصاصات لوزير التفويض وأهميتها:

1. يجوز لوزير التفويض: أن يحكم بنفسه، وأن يقلد الحكام، كما يجوز للخليفة ذلك.

2. يجوز له أن ينظر في المظالم، ويستنيب فما لأنّ شروط المظالم فيه معتبرة.

3. يجوز له أن يتولّى الجهاد بنفسه، وأن يقلّد من يتولّاه، لأن شروط الحرب فيه معتبرة.

4. يجوز أن يباشر تنفيذ الأمور التي دبّرها، وأن يتصرف في أموال بيت المال.

وكل ما صحّ من الإمام، صح من وزير التفويض، إلا ثلاث أشياء:

الأول: ولاية العهد: فإن الإمام يعهد من يرى وليس ذلك للوزير.

الثاني: أن الإمام أن يستغني الأمة من الإمامة، وليس ذلك للوزير.

الثالث: أنّ الإمام أن يعزل من قلده الوزير، وليس للوزير أن يعزل من قلده الإمام، وما سوى هذه لثلاثة فحكم التفويض إليه يقتضي جواز فعله.[1]

ويضاف إلى الاختصاصات المذكورة، أن على الوزير الدفاع عن الملك والمملكة والرعية، كما يجب أن يصون نفسه ويدافع عنها.

[1] ينظر، الماوردي الأحكام السلطانية، المصدر السابق، ص25.

فأما دفاعه عن الملك فيأتي من قيادته للرعية بالطاعة، وحفظهم من الإغواء، وإبعاد المفسدين عنهم حتى لا يتعدى إليهم فسادهم، ويجب عليه أن يدافع عن الدولة أعدائها للحفاظ عليها وصيانة أمنها وحماية حدودها.

وأما الدفاع عن الرّعية فيكون بإقرار العدل بينهم، وإصلاح حالهم فلن يستقيم ملك فسدت أحوال الرّعية فيه.

وعلى الوزير أن يحرص على إعانة الرعية على صلاح معايشهم، و وفور مكاسبهم للتوافر قوة البلاد، ويحرصوا على النهوض للنجدة إذا ما دعا لذلك أمر ما، فالبرعية الصالحة تتوافر للملك مادته وقوته وعدته.

- الشروط الواجب توافرها في وزير التفويض:

نظرا لأهميّة هذه الوظيفة في الدولة الإسلامية، واستنادا على أن الوزير بالتفويض يقوم مقام الخليفة، فيما عدا ما حدده الفقهاء بما يترتب عليه من القيام برعاية مصالح الأمة الإسلامية، فإن شروط هذا المنصب توافق عموما شروط تولي الخلافة فيما عدا النسب القرشي وهذه الشروط هي:

1. الحرية

2. الإسلام

3. العلم بالأحكام الشرعية

4. المعرفة بأمري الحرب والخراج

ب. وزارة التنفيذ:

وتأتي في المرتبة تالية لوزارة التفويض، كما تقل وتحدد فيها سلطات الوزير، والنظر فيها مقصور على رأي الخليفة وتدبيره.[1] والوزير فيها واسطة بين الخليفة وبين الرعية والولاة، يؤدي عنه ما أمره وينفذ عنه ما ذكر، ويمضي ما حكم،

[1] ينظر، علي حسين الشطشاط، دراسات في تاريخ الحضارة الإسلامية، المرجع السابق، ص70.

ويجيز تقليد الولاة، وتجهيز الجيوش، ويعرض على الخليفة ما ورد منهم، وما جرى وما حدث في الأمصار، ووزارة التنفيذ ليست ولاية عامة، فالوزير فيها معين لتنفيذ الأمر وليس بوال عليها ولا متقلد لها، " فغن شورك فيها بالرأي كان باسم الوزارة أخص، وإن لم يشارك فيها كان باسم الوساطة والسفارة أشبه"[1].

يراعي منها مجرد الإذن ولا يعتبر في المؤهل لها الحرية ولا العلم، وعمل وزير التنفيذ مقصور على أن يؤدي على الخليفة وأن يؤدي عنه.

- أهم شروط وصافت وزير التنفيذ:

لقد اتفقت المصادر في ذكر مجموعة من الشروط توافرها في وزير التنفيذ، وخلصنا بعضها كالتالي:

1. الأمانة حتى لا يخون أو يغش.

2.صدق اللهجة فيما يؤديه، ويعمل على قوله فيما ينهيه.

3. قلة الطمع، حتى لا يرتشي، بل ولا يخدع، فيتساهل.

4. أن يسلم فيما بينه وبين الناس من عداوة وشحناء، لأن العداوة تصد عن التناصف وتمنع من التعاطف.

5. أن يكون ذكورا (أي قوالا) لما يؤديه إلى الخليفة وعنه لأنه شاهد له وعليه.

6. الذكاء والفطنة، حتى لا تدس عليه الأمور فتشتبه، ولا تموه عليه فتلتبس، فلا يصح من اشتباهها عزم ولا يصلح مع التباسها حزم.

7. أن لا يكون من أصل الأهواء فيخرجه الهوى من الحق إلى الباطل، وتدلس عليه المحق من المبطل فإن الهوى

[1] ينظر، علي حسين الشطشاط، المرجع السابق ،ص71.

خادع الألباب وصارف عن الصواب، ولذلك قال النبي صلى الله عليه وسلم (حبك الشيء يعمي ويصم)1.

8. الحنكة والتجربة التي تؤدي إلى صحة الرأي وصواب التدبير." فإن في التجارب خبرة بعواقب الأمور"2 وإن لم يشارك في الرأي لم يحتج غلى هذا الوصف.

- أحكام عامة:

أوضح الفقهاء، أنه لا يجوز أن تتولى الوزارة أمرآة لأنها فيها من الرأي وثبات العزم ما تضعف عنه النساء، ولأن فيها من الظهور في مباشرة الأمور ما هو عليهن محضور.

ويجوز أن يتولى وزارة التنفيذ رجل من أهل الذمّة إلا أنه لا يجوز في وزارة التفويض، فإنّ الإسلام أحد الشروط التي يجب أن تتوفر فيمن يتقلّدها، ولأن وزارة التفويض تتضمن ولاية أمر المسلمين، ولا يجوز في مثل هذه المناصب أن تناط لذمي.

ويجوز للخليفة أن يقلد وزيري تنفيذ على اجتماع وانفراد ولا يجوز أن يقلد وزيري تفويض على اجتماع، كما لا يجوز تقليد إمامين لأنهما ربما تعارضا في العقد والحل والعزل، قال تعالى: ﴿ **لَوْ كَانَ فِيهِمَا آلِهَةٌ إِلَّا اللَّهُ لَفَسَدَتَا..**﴾[3] وتجدر الإشارة إلى أنه عزل وزير التفويض انعزل بعزله وزير التنفيذ، وإذا اعزل وزير التنفيذ لم ينعزل وزير أحد من الولاة بعزله.

- الفرق بين وزارة التفويض ووزارة التنفيذ:

لقد ذكر الماوردي الفرق بين الوزارتين فقال: " ويكون الفرق بين هاتين الوزارتين بحسب الفرق بينهما في النظرين، وذلك من أربعة أوجه:

أجدهما: أنه يجوز لوزير التفويض مباشرة الحكم والنظر في المظالم، وليس ذلك لوزير التنفيذ.

---

[1] ينظر، صبحي الصالح ، النظم الإسلامية، نشأتها و تطورها، دار العلم للملايين،بيروت،1978، ط1،ص 32.

[2] الماوردي ، الأحكام السلطانية، ص27.

[3] سورة الأنبياء، الآية،22.

الثاني: أنه يجوز لوزير التفويض أن يستبد بتفويض الولاة، وليس ذلك لوزير التنفيذ.

الرابع: أنه يجوز لوزير التفويض أن يتصرف في أموال بيت المال بقبض ما يستحق له و يدفع ما يجب فيه ، وليس لوزير التنفيذ.

وليس فيما عدا هذه الأربعة ما يمنع أهل الذمة منها...ولهذه الفروق الأربعة بين النظرين افترق في أربعة من الشروط الوزارتين:

أحدها: أن الحرية معتبرة في وزارة التفويض وغير معتبرة في وزارة التنفيذ.

الثاني: أن الإسلام معتبر في وزارة التفويض وغير معتبر في وزارة التنفيذ.

الثالث: أن العلم بالأحكام الشرعية معتبر في وزارة التفويض وغير معتبر في وزارة التنفيذ.

الرابع: أن المعرفة بأمري الحرب والخراج معتبرة في وزارة التفويض وغير معتبرة في وزارة التنفيذ.[1] فافترقا في شروط التقليد من أربعة أوجه، كما افترقا في حقوق النظر من أربعة أوجه، واستويا فيما عداها من حقوق وشروط.

[1] الماوردي، الأحكام السلطانية، المصدر السابق، ص26.

## المبحث الثاني: نشأة الوزارة وتطورها في العصر العباسي الأول:

نظام الوزارة من النظم السياسية الهامة في الإسلام، بل هو أهم النظم السياسة بعد الخلافة، بعد انتقال الخلافة إلى العباسيين، اتخذوا نظم الحكم عن الفرس ومنها الوزارة، وفي ذلك يقول ابن طباطبا: (الوزارة لم تمهّد قواعدها وتتقرر قوانينها إلا في دولة بني العباس، فأما قبل ذلك فلم تكن مقننة القواعد، ولا مقرّرة القوانين، بل كان لكل واحد من الملوك أتباع وحاشية، فإذا حدث أمر استشار بذوي الحجّة والآراء الصائبة، فكلّ منهم يجري مجرى وزير، فلما ملك بنو العباس تقررت قوانين الوزارة وسمي الوزير "وزيرا" وكان قبل ذلك "كاتبا أو مشيرا").[1]

فكلمة وزير كانت تعني عند العرب في صدر الإسلام "المؤازر أو المعين" ولم يتعدّ هذا الاصطلاح المشاورة والمؤازرة بالرأي والعمل.

إلا أن الآراء تعدد حول نشأة الوزارة منها ما يذهب إلى القول بأنها نشأت في عهد النبوة، ومنها ما ينادي بأنها ارتبطت بنشأة الخلافة الإسلامية، بينما يقول رأي آخر بأنها ارتبطت بنشأة الخلافة الإسلامية، بينما يقول رأي آخر بأنها لم تظهر إلا في العصر العباسي تقليدا من العرب للفرس كما سبق وذكرنا آنفا.

ومهما يكن من أمر فقد ظهر الوزراء في الدولة الإسلامية منذ نشأتها، فقد اتخذ رسول الله صلى الله عليه وسلم الوزراء من رجاله وصحابته وعنه أنه قال: (وزيراي من أهل السماء جبريل وميكائيل، ووزيراي من أهل الأرض أبو بكر وعمر)2 كما اتخذ أبو بكر الصديق رضي الله عنه عمر بن الخطاب وزيرا له، وثنى الفاروق الوزراء فكان وزيراه عثمان بن عفان وعلي بن أبي طالب رضي الله عنهما.

وذهب فريق آخر إلى القول بأن الوزير هو نائب الخليفة في حكم البلاد، بينما يرى فريق آخر أن الوزير هو أكبر الولاة وأهميتهم في الإشراف على سياسة الدولة والقائم مقامه للسّهر على مصالح الأمة، فهو رئيس الدواوين والقائم على المشورة، وأقرب الناس وأشدّهم اتصالا بالخليفة، وأعلمهم بأمور السياسة ودروبها.

---

[1] ابن طبا طبا ، الفخري في الأحكام السلطانية، المصدر السابق، ص153.

[2] ينظر، فتيحة النبراوي، تاريخ النظم و الحضارة، المرجع السابق، ص49.48.

ويقول الفقهاء: إن الوزراء ظهرت في الإسلام انطلاقا من المشاركة في تحمل المسؤولية وعدم الاستبداد، ذلك أن الإمام لا يستطيع بمفرده مباشرة كل أمور الأمة إلا باستتابة وزير أو وزراء، لأن ذلك أصح في تنفيذ الأمور من تفرده بها ليستظهر به على نفسه، و بها يكون أبعد من الزلل وأضع من الخلل.

وعندما أصبحت الخلافة ملكا في بني أمية احتاج خلفاؤهم غلى من يستشيرونهم في أمور الدولة ويستعينون بهم في أمور القبائل والعصائب، واصطناع الأحزاب منهم فاختاروا بعض البارزين من ذوي الرأي والسياسة ليقوموا بمثل هذا العمل، فكان هؤلاء يقومون بمهام المعاونين والمستشارين والكتاب، لأن الوزارة كمنصب أو رتبة سياسية لم يكن كتابهم ومعاونيهم لقب "وزير" وفي ذلك يقول المسعودي: (كانت ملوك بني أمية تنكر أن يخاطب كاتبا لها بالوزارة وتقول: الوزير مشتق من الوزارة، والخليفة أجل من أن يحتاج إلى المؤازرة".[1]

ويظهر من هذا أن العباسيين هم الذين عرفوا المعنى السياسي للوزراء وإن لم تظهر أهميتها في أوائل هذا العصر ولم تحدد سلطاتها بصورة واضحة في عهد أبو سلمة الخلال أحد أركان الدّعوة الإسلامية، فقد كان أول وزير للعباسيين إلا أنه لم يتمتع بصلاحيات أو سلطات كاملة في جميع الدواوين، ثم نمت وتدرجت حتى اتخذت شكلها النهائي في أواخر العصر العباسي الأول.

وكان الوزير ساعد الخليفة الأيمن، ينوب عنه في حكم البلاد،وينصب العمال ويشرف على الضرائب، ويجمع في شخصه السلطتين المدنية والحربية بجانب الواجبات العادية من نصح الخليفة ومساعدته.[2]

وخلال العصر العباسي الأول كان الوزراء يخافون على أنفسهم من بطش الخلفاء بهم، فكان كل واحد من الوزراء يبتعد عن اسم وزير بعد موت أبو جهم على يد المنصور. وكان خالد بن برمك يعمل عمل الوزراء متجنبا تسميته بالوزير، على الرّغم من احتلاله مكانة رفيعة عند الخلفاء.

واستمرّت هذه الحال التي كانت عليها الوزارة في أيام المنصور، بل في الصدر الأول من هذا العصر. لقد كان أبا أيوب الموربانى، وزير المنصور بعد خالد البرمكي، وهو من "موريان"*اشتراه المنصور صبيا وثقفه وعلمه، وفي لقاء مع الخليفة السفاح أعجب بهيئة وفصاحة المورياني فأبقاه عنده وأعتق رقبته، وجعله من أخصّ رجاله الأقربين، وبقي على ذلك حتى تولى المنصور الخلافة فقلده الوزارة، وكان نصيبه نصيب من سبقه من الوزراء.

---

[1] المسعودي، التنبيه و الإشراف، دار ومكتبة الهلال، 1981، ص294.

[2] ينظر، ابن خلدون، المصدر السابق، ص422.

* قرية من قرى الأهواز، ينظر، عيسى الحسين، الدولة العباسية، تكامل البناء الحضاري، الأهلية للنشر والتوزيع، عمان، الأردن، ط1، 2009، ص68، وينظر، ابن طباطبا، الفخري، المصدر السابق، ص175.

## المبحث الثالث: أشهر وزراء بني عباس:

والدال على أن منصب الوزراء يعد أهم مناصب الدولة بعد منصب الخلافة، أصحاب هذا المنصب شاركوا في صنع القرار السياسي مع الخليفة وتركوا بصمات واضحة في النواحي السياسية، والإدارية والاقتصادية، والاجتماعية والفكرية، كما استغل بعضهم الرتبة لأغراض معينة ولعل أشهر من استغل هذه المرتبة لأغراض سياسية خاصة، أول الوزراء العباسيين من حيث الترتيب الزمني.

1. أبو سلمة الخلال:

أ. نشاط أبي سلمة الخلال السياسي قبل تسلم بني عباس السلطة:

قاد أبو سلامة الخلال الدعوة للعباسيين في الأعوام الخمسة الأخيرة قبل تسلم بني العباس السلطة، وهو من تلقب بالوزارة في العصر العباسي، كان فارسي الأصل، واسمه حفص بن سليمان الهمداني الخلال مولى بن الحارث بن كعب من العراق،[1] وقد اتفق أغلب المؤرخين القدامى على أنه كان من مياسر أهل الكوفة، وكان يعمل بالصرفة أما تلقيه بالخلال، فربما يعود إلى منزله بالكوفة في حارة الخلالين.[2]

نعرف أبو سلمة على الدعوة عن طريق "بكير بن ماهان"3 رئيس الدعاة بالكوفة، وأهمتها على الإطلاق، نظرا لطول المدة التي قضاها في رئاسة الدعوة، وإخلاصه لها وتفنيه في خدمتها.[4]

ولعل أول عمل جدي قام به أبو سلامة في خدمة الدعوة العباسية هو تكليفه من قبل بكير المرتقب، وقد طلب

---

[1] ينظر ابن طباطبا، الفخري في الآداب السلطانية، المصدر السابق،ص 153، و ينظر ابن خلكان، وفيات الأعيان، حققه إحسان عباس،دار صادر بيروت، ج2، د.ت، ص195..

[2] ينظر ابن طباطبا، المصدر نفسه،ص 153-154، و ينظر ابن خلكان، المصدر نفسه، ص169.

[3] ابن طباطبا، المصدر نفسه، ص154.

[4] كان أبو سلمة صهرا لبكير بن ماهان، فهو زوج ابنته، البلاذري أنساب الأشراف، دار الفكر، بيروت، ط1، ج4، 1417هـ/1996م،ص160.

منه أن يأمر الشيعة بتسويه الثياب، وأعطاه ثلاثة رايات سود، واحد لمن بمرو من الشيعة، والأخرى لمن بجرجان، وأن يبعث بالثالثة إلا ماوراء النهر.

واستطاع أبو سلمة أن يؤدي علمه بكفاءة عالية، وأن يبث دعاته ورسله.

وكانت مدة إقامته في خراسان أربعة أشهر رجع بعدها إلى الكوفة، فكان بذلك أول من أدخل الرايات السود وعمل على نشر الدعوة بها.

وبعد وفاة بكير بن ماهان سنة 127هـ/744م تسلم أبو سلمة قيادة الدعوة بناء على توصية ابن ماهان[1].

واتخذ من الكوفة مركز له، وذلك لوقوعها في متصف الطريق بين الحميمة في الأردن مقر إبراهيم الإمام وبين خراسان وأخبر إبراهيم الإمام شيعته بخراسان أنه عين أبا سلمة الخلال كبير الدعاة بالكوفة، وأمرهم بطاعته.2

وقد عمل أبو سلمة في خدمة الدعوة العباسية بكل إتقان وإخلاص، وبذل أموالا طائلة من أجل إظهارها، وذلك في أكثر مراحلها حرجا، وكثيرا ما كان يتردد على خراسان مشرفا على أمورها هناك مصطحبا معه أبا مسلم الخراساني.

وفي تلك الفترة الحرجة من التاريخ الدعوة العباسية لعب دورا سياسيا مهما وبارزا، فما أن انتصرت الجيوش الخراسانية في خراسان ودخلت العراق حتى أرسل أبو سلمة إلى محمد بن خالد بن عبد الله القسري، أن يعلن الدعوة بالكوفة مظهرا السواد شعار العباسيين.

وكان أن مضى محمد بن خالد إلى قصر الإمارة فدخله، ودعى الناس إلى بيعته الرضا من آل محمد، بعد أن هرب صاحب الشرطة الموالي للأمويين إلى واسط ملتحقا بابن هبيرة والي الأمويين على العراق.3 وبعد ذلك طلب أبو سلمة

---

[1] البلاذري، المرجع السابق، ص160، و ينظر ابن طباطبا، الفخري، المصدر السابق،ص154.

[2] ينظر الطبري، تاريخ الرسل و الملوك، ج2، المصدر السابق، ص329.

[3] خليفة بن خياط، تاريخ خليفة بن خياط، تحقيق أكرم ضياء العمري، دار طيبة، الرياض،ط2، 1405هـ/1985م، ص400، و ينظر البلاذري، المرجع نفسه، ص183،و ينظر الطبري، المصدر نفسه، ص417.

من الحسن بن قحطبة قائد القوات الخراسانية أن يدخل الكوفة يوم الجمعة، وأقبل الحسن إلى أبي سلمة وسلم إليه الرئاسة، وخاطب باسم وزير آل محمد، وبايعه أهل خراسان وأهل الكوفة، وأضحى بذلك صاحب السلطة الفعلية والممثل الشرعي لآل محمد، ولقد أعلن الإمامة الهاشمية دون تسمية الخليفة بالاسم.[1] وبذلك كان له دور كبير في إرساء معالم الدولة العباسية.

ب. دور أبو سلمة السياسي والإداري بعد ظهور الدعوة العباسية بالعراق:

و بعد هذا الانتصار الذي حققه أبو سلامة في الكوفة وتسلمه جميع السلطات الفعلية بوصفه الممثل الشرعي لآل محمد، رحل إلى حمام أعين على بعد ثلاثة فراسخ من الكوفة وعسكر بها. ومن هناك أخذ بتنفيذ سلطاته ومسؤولياته، فبدأ بتأسيس الدواوين وتعيين العمال عليها، ووجه القواد إلى نواحي ليقاتلون الجيوش الأموية بها[2].

أما فيما يتعلق ببيت المال والخزائن حمل ما فيها إلى معسكر وأخرج أعطيات الجند منها. ومن معسكر بحمام أعين أخذ أبوسلمة يصدر الأوامر ويراسل أبا سلمة الخراساني في مستجدات الأمور، ويدير شؤون الثورة باسم الدعوة للإمام القائم من بني دون أن يسمى الخليفة.[3]

حاول أبو سلمة وللمرة الثانية إن يلعب دورا سياسيا بارزا وخطيرا على الأحداث، فكما كان دوره الذي لا يستهان به قلب الحكم الأموي، أراد كذلك قلب الحكام العباسي إلى العلوي، في أشد أوقات الدولة العباسية حرجا، فعندما وصل أبو عباس وآل بيته إلى الكوفة في صغر سنه 132هـ /749م، لم يستقبل أبو سلمة وأبقاهم خارج المدينة منكرا قدومهم، وكتم أمرهم عن جميع القواد ورفض أن ينقل لهم النفقات الانتقال.[4]

---

[1] خليفة بن خياط،المرجع نفسه، ص400، و ينظر البلاذري، أنساب الأشراف، المرجع نفسه، ص138.

[2] ينظر الطبري، تاريخ الرسل و الملوك، ج7، المصدر السابق، ص418-419.

[3] ينظر الجهشياري، كتاب الوزراء و الكتاب، تحقيق مصطفى السقا و آخرون،مطبعة مصطفى الألباني الحلبي، القاهرة، ط1، د.ت، ص84.

[4] ينظر الطبري، المصدر نفسه، ص423-430، و ينظر الجهشياري، المصدر نفسه، ض85.

ويتفق أغلب المؤرخين الأجلاء على انحراف أبي سلمة في هذه الفترة عن العباسيين، ورغبته في استغلال الدعوة لمصالح العلويين، فاليعقوبي يرى أن سبب إخفاء أبي سلمة وآل بيته (أنه دبر أن يصير الأمر إلى آل أبي طالب) 1. بينما يرى المسعودي إن أبا سلمة حين بلغه مقتل إبراهيم اضمر الرجوع عما كان عليه من الدعوة العباسية لآل أبي طالب (لأنه خاف انتقاض الأمر وفساده عليه)[2] أما الجهشياري فيذكر (أنه لما صح عن أبي سلمة موت إبراهيم الإمام لقي رجالا من شيعة علي فناظرهم على نقل الأمر إلى ولد علي)[3] أي أنه لما درس أحوال بني العباس لم يجد فيهم من يصلح أن يتولى إمامة المسلمين، كما أشار الطبري إلى أن تنكر أبي سلمة لأبي العباس وأهل بيته وتصنيف عليهم، على أن هذه المحاولات قد باءت بالفشل، إذ لم ترض الأطراف قبول دعوة أبي سلمة الخلال، وبذلك وقع أبو سلمة ضحية سوء تقديره، وعدم بعد نظر.

وكان أبو سلمة تلك الأثناء يتغيب عن أبي العباس وأهل بيته، وكان كلما أرسل إليه أبو عباس ليسأله عن موعد ظهورهم يطلب منه التريث، ويخبره بان الوقت لم يحن بعد، وبقوا على هذه الحالة أربعين يوما وكذلك كان يفعل مع الخراسانيين عندما يسألونه عن الإمام[4]، إلى أن اكتشف الخراسانيون عن طريق أبي الجهم بن عطية الباهلي وعدد من القادة الآخرين مكان اختفاء أبي العباس وبايعوه وأعلنوا اسمه خليفة للدولة الجديدة.

وبعد فشل أبي سلمة في جهوده التي بذلها لنقل الخلافة إلى العلويين وجد نفسه في مأزق حرج، فلا هو عباسي كما كان مع إبراهيم الإمام، إذا إن قادة الثورة كانوا مستعدين أن يتنازلوا على سلطانهم التي أحرزوها، وكانوا على يقين من أنه لتأمين استمرار نجاح ثورتهم لا بد من التمسك بالعباسيين أصحاب الدعوة، ومبايعة أبي العباس إماما لدولتهم الناشئة، كما أنه لم يجد من العلويين من ينصره ويأخذ بيده.

---

[1] اليعقوبي، تاريخ اليعقوبي، المصدر السابق، ص349.

[2] المسعودي، مروج الذهب و معادن الجوهر، دار الفكر العربي، بيروت، ج3، ط5، 1393هـ/1973م، ص268.

[3] الجهشياري، المصدر نفسه،ص86.

[4] البلاذري، أنساب الأشراف، المرجع السابق، ص184.

ولم يكن أمام أبي سلمة، الذي تمت مبايعة أبي العباس له دون علمه، إلا إن يقبل بالأمر الواقع ويبايع الخليفة، مبررا موقفه بأنه كان يحاول تمهيد الأمور لاستقامة الأمر[1]. ورغم كل ما فعله أبو سلمة واستنكار وقله حذر و عدم تخطيط محكم لقي التماسا لعذره عند السفاح الذي تقبله قائلا: (عذرناك يا أبا سلامة غير مفند، وحقك لدينا معظم وسابقتك في دولتنا مشكورة وزلتك مغفورة)[2] وعلى الرغم من معرفة أبي العباس بكل ما فعله أبو سلمة لإبعاده عن منصب الخلافة، إلا أنه استوزره وأقر تلقيبه بوزير أر محمد، وقد أجمع المؤرخين على اكتساب الخلال لهذا اللقب قبل فترة الدعوة إلا أنهم اختلفوا حول الصلاحيات التي ترتبت على منحه، فبعضهم يرى أنه كان لقبا تشريفيا أطلق على الخلال لقاء خدمته، وبعضهم يرى أنه ينطوي على مسؤوليات محدودة.

أما عن سلطاته وصلاحياته خلال توليه الوزارة بع تولي أبي العباس الخلافة فيبدوا أن ديوان الخراج، وديوان الجند لم يكونا داخلين في سلطة، لأن الخليفة كان قد قلدهما لخالد بن برمك[3]، حيث كان هذين الديوانين من أهم الدواوين في الدولة، فالأول يشرف على جباية الخراج، والمصدر الرئيسي لدخل الدولة، بينما ينظم الثاني السجلات المتعلقة بمصروفات الجند، وهي أهم باب في مصروفات الدولة آنذاك. وكثيرا ما وقع الصدام بين سلطة أبي العباس وسلطة وزيره أبي سلمة، لعدم تحديد صلاحيات الثاني، والذي كان يرغب في السيطرة على الجهاز الإداري كله.

وقد ذكر المؤرخون (بأن أبا سلمة كان ينفذ الأمور من غير مؤامرة، أي دون مشاورة و أنه كان يظهر الإذلال و القدرة على أمير المؤمنين)4. وبعد أن ثبت أبو العباس أقدامه في الحكم، أحس بان الفرصة مواتية له بأن يتخلص من وزيره ومنافسه السياسي الخطير، فكتب إلى أبي مسلم الخراساني يستشيره في قتل أبي سلامة، فوافقه أبو مسلم على

---

[1] البلاذري، أنساب الأشراف، المرجع نفسه، ص135، و ينظر اليعقوبي، تاريخ اليعقوبي، المصدر السابق، ص350.

[2] الجهشياري ، كتاب الوزراء و الكتاب، المصدر السابق، ص87.

[3] المصدر نفسه، ص 87-89.

[4] الدينوري، الإمامة و السياسية، المرجع السابق،ص120، و حنيفة الدينوري، الأخبار الطوال، تحقيق عبد المنعم عامر دار المثنى،بغداد، د.ت، ص370.

ذلك، وأرسل رجاله لينفذوا عملية القتل في رجب 132 هـ /فبراير 750م، وأعلن رسميا إن الخوارج اغتالته،[1] وقد كان للمنافسة بين العملاقين أبي مسلم الخراساني وأبي سلمة الخلال دور كبير في تعجيل بالتخلص من أبي سلمة الخلال. وهكذا قتل أول من وقع عليه لقب الوزارة في الدولة العباسية، ولم تغفر له سابقته في الدعوة وإسهاماته من الناحية السياسية في قلب حكم الدولة الأموية إسهاماته الجليلة في خدمة الدعوة العباسية حيث أنفق كثيرا من أمواله الخاصة على رجالها،[2] إلا أن هذه الجهود والخدمات لم تشفع له عند أبي العباس.

اختلف المؤرخون على من احتل منصب الوزارة بعد أبي سلمة الخلال، فقيل أن أبا الجهم بن عطية الباهلي هو الذي تسلم مسؤوليات الوزير دون اتخاذ اللقب، وكان المهيمن على الجيش خلال تولي أبي سلمة الوزارة.[3]

وبعد مقتل أبي سلمة أصبح من المقربين من الخليفة، وبمثابة حاجبه ومستشارهن وبذلك يكون قد جمع بين السيطرة على الجيش والسيطرة على الإدارة دون إن ينال لقبا معينا أو مرتبتا سياسية أو إدارية معينة.

وقد بقي أبو الجهم موثوقا به ومقربا من الخليفة أبي العباس مدة خلافته، هو الذي أخرج العباس من موضعه الذي أخفاه فيه أبي سلامة، وقام بأمره حتى بويع، ولكنه لم ينل تلك الثقة من قبل أبي جعفر المنصور، فقد اتهمه أبو جعفر بأنه جاسوس لأبي مسلم الخراساني، وأنه يكاتبه بأخباره فتخلص منه بالسم.[4]

---

[1] ينظر، الجهشياري، كتاب الوزراء و الكتاب، المصدر السابق، ص90، و ينظر ابن طباطبا، الفخري المصدر السابق، ص155.

[2] ينظر، المسعودي، مروج الذهب، المصدر السابق، ص284، وينظر، ابن طباطبا، المصدر نفسه، ص154.

[3] ينظر، الطبري، تاريخ الرسل و الملوك' المصدر السابق، ص471، و ينظر الجهشياري ، المصدر نفسه، ص136، و ينظر ابن طباطبا، المصدر نفسه ، ص156.

[4] ينظر، البلاذري، أنساب الأشراف، المرجع السابق،ص253، والجهشياري، المصدر السابق، ص136

على أن بعض المؤرخين يرون إن أبا العباس بعد مقتل أبي مسلم استوزر خالدين برمك وزارة تنفيذ، غير أنه رفض أن يسمى "وزيرا" تشاؤم من صاحبه الخلال.[1]

لقد خلف خالد بن برمك أنا سلمة سلمة في جميع مهامه ومسؤولياته بالإضافة غلى إشرافه على ديوان الجند، وديوان الخراج والغنائم وفي الواقع أن إشراف خالد على الشؤون المالية يرجع إلى ما قبل تولي أبي العباس الخلافة، فقد تقلد خالد خراج ما يفتحه جيش قحطبة بن شيب الطائي من البلد، كما اشرف على الغنائم وتوزيعها بين الجند، وعرف عنه أنه كان عادلا في توزيعها، فأرضى بذلك جميع أهل خراسان حتى وصفه الجهشياري " بأن ما من أحد من أهل خراسان إلا وكان عليه يد ومنة، لأنه قسط الخراج فأحسن فيه إلى أهله"2 ويبدو أن أبا العباس أراد الاستفادة من خبرة خالد في الشؤون المالية، إضافة إلى خبرة قومه في الناحية الإدارية.

فأقره على ما كان يده من الغنائم، ثم قلده ديوان الخراج وديوان الجند، وظل شخصا موثوقا به في كل شيء عند الخليفة يستشيره في الأمور خاصة العظيمة منها ويعمل بنصائحه وتدبيره.

فلما ولى أبو جعفر المنصور الخلافة أبقى خالدا في منصبه مدة فكان خير سند له في تثبيت دعائم حكمه، وفي إخماد الفتن والثورات، كما كانت له جهود بارزة في الإصلاح الإداري، فهو أول من ثبت الدواوين في دفاتر بعد أن كانت تثبت في صحف، وكان أول من سمى المستسمحين الذين يدخلون على الوزير لطلب العفو والسماح "بالزوار" وكانوا قبل ذلك يسمون بالسؤال ، لأنه كان يستقبح لهم هذا الاسم وفيهم الأحرار والأشراف.[3]

ويبدوا أن لخالد بن برمك دورا أساسيا مهما في خلع عيسى بن موسى من ولاية العهد والبيعة للمهدي بن منصور.

---

[1] المسعودي، التنبيه والإشراف، المرجع السابق،ص310، وينظر،ابن طباطبا، الفخري، المصدر السابق، ص156، وابن خلكان، وفيات الأعيان، المصدر السابق، ص219.

[2] الجهشياري،المصدر نفسه، ص87.

[3] ينظر، الجهشياري، كتاب الوزراء و الكتاب، المصدر السابق، ص150، وينظر ابن طباطبا، الفخري، المصدر السابق، ص157.

إلا أن أبا جعفر عزل خالدا من جميع مهامه وقلد أبا أيوب سليمان بن نخلد المويايني وزارته، وولى خالدا ولاية الفرس لمدة عامين، ثم عزله عنها بسبب وشاية أبي أيوب المورياني، فصادر أبو جعفر أملاكه وألزمه بدفع ثلاثة ملايين درهم.[1] ثم عفا عنه بعد ذلك وولاه الموصل سنة 158هـ/775م وظل خالد واليا عليه حتى توفي المنصور، فأبقاه عليها، وكانت وفاة خالدا سنة 163هـ/779م في أواخر خلافة المهدي.[2]

2. أبو أيوب سليمان بن مخلد المورياني:

يبدو أن جعفر المنصور استفاد من تجربة أخيه أبي العباس مع وزيره أبي سلمة الخلال، فعمد على إتباع سياسة إدارية صارمة نجحت في تحديد سلطات وزرائه. فبعد أن تخلص من أبي الجهم بن عطية، وأبعد خالد بن برمك، تردد المنصور في اتخاذ وزير، خوفا من تضخم نفوذه. وكان معظم وزراء المنصور في أعمالهم أقرب إلى الكتاب والمساعدين الإداريين منهم إلى الوزراء.

وفي ذلك يقول صاحب الفخري: (فلم تكن الوزراء في أيامه طائلة لاستبداده واستغنائه برأيه وكفاءته، وكانت هبته تصغر لها هيبة الوزراء، وكانوا لا يزالون على وجل منه خوف فلا يظهر لهم أبهة ولا رونق).[3]

ولعل أبرز من ظهر على مسرح الأحداث من وزراء المنصور هو أبو أيوب المورياني، وهو فارسي الأصل من موريان من قرى الأهواز.

وكان ذا خبرة إدارية بشؤون العراق، كما كان ضليعا في الكيمياء، والطب والفلك، والرياضيات، والسحر، ولكنه لم

---

[1] ينظر، الجهشياري، المصدر نفسه، ص93.

[2] المصدر نفسه، ص151.

[3] ابن طباطبا، المصدر نفسه، ص174

يكن متمكنا في الفقه والشريعة الإسلامية.[1]

وترجع مقدرة أبي أيوب الإدارية وخبرته بالشؤون المالية إلى أواخر العهد الأموي، فقد عمل كاتبا لأمير الأهواز سليمان بن حبيب بن المهلب بن أبي صفرة.[2]

كما كان مستخدما في الديوان في ولاية يوسف بن عمر، على العراق في عهد هشام بن عبد الملك.3

أما عن كيفية اتصاله بالعباسيين، فقد حدث ذلك عندما كان أبو أيوب كاتبا لسليمان بن حبيب بن المهلب عندما قلد سليمان هذا أبا جعفر كورة إيدج بين خوزخستان واصفهان، كان على أبي جعفر أن يرسل بعض الأموال إليه، فاتهم بأنه احتجزها لنفسه فقبض عليه سليمان وأمر بضربه بالسياط ضربا شديدا، وكان يريد الفتك به بعد أن ضربه، فخلصه أبو أيوب منه فاعتدها المنصور يدا له، وكان ذلك بداية اتصال أبي أيوب بالمنصور.

وعندما تولى أبو جعفر المنصور الخلافة رأى أن ينتفع بخبرة المورياني الطويلة بشؤون العراق الإدارية والمالية، وفي نفس الوقت مكافئته على ما أسداه إليه من معروف، فاستدعاه، وأسند إليه بعض الأعمال. فكان أول عمل إداري لأبي أيوب في الخلافة المنصور هو النيابة عن عبد الملك بن حميد، كاتب المنصور، في حال غيابه عن مجلس الخليفة. وحدث أن مرض عبد الملك بداء النفوس فلزم داره وقام أبو أيوب بالعمل نيابة عنه، وقد وفق في أدائه مما زاد منزلته عند المنصور، حتى قلده وزارته، والإشراف على الدواوين وتدبير شؤون الدولة.[4]

وقد روى الجهشياري بأن المنصور بعد عزل أبي أيوب عين ثلاثة مكانه ليقوموا معمله، أحدهم للخاتم، والثاني لشؤون الخلافة العامة والمرسلات الخاصة والثالث لإدارة ضياعه، والحقيقة أن الجهشياري أطلق لقب وزير على أبي

---

[1] الجهشياري، المصدر السابق، ص174.

[2] ينظر، ابن خلكان، وفيات الأعيان، ج3، المصدر السابق، ص276.

[3] ينظر، البلاذري، أنساب الأشراف، المرجع السابق، ص325.

[4] ينظر الجهشياري، كتاب الوزراء و الكتاب، المصدر السابق، ص97.

أيوب في عدة مناسبات،[1] ولم يحصر سلطاته في مهام محددة، إذ ذكر في عدة أماكن الصلاحيات الوزارية التي منحها لأبي أيوب مثل تقليدي للدواوين مع الوزراء. واستطاع أن ينال مكانة كبيرة عند المنصور، وأن يكون له نفوذ في الدولة حتى انه عين جميع أقربائه في المراكز الإدارية، إضافة إلى جباية الخراج،[2] كما كان يشارك المنصور في اتخاذ القرارات السياسية ومنها:

القضاء على أبي جعفر، فهو الذي طمأن أبا مسلم الخراساني عندما أراد المنصور التخلص منه، حتى يتمكن من القبض عليه، كما كان له دور إيجابي في القضاء على عبد الجبار الأزدي والي خراسان.

وهكذا نرى أن أبا أيوب لم يكن كاتبا أو مستشارا خاصا لدى المنصور فقط وإنما كان نفوذه وسلطته أكبر من ذلك بكثير حتى أصبح محابا عند الخاصة من أهل بيت الخلافة وعند العامة، فهم يلجئون إليه لقضاء حوائجهم، وإذا بدرت منهم بادرة يلتمسون العفو من المنصور على يديه.

استمرت علاقة المورياني بالمنصور وثيقة جدا إلى أن بدأت سموم الوشاية تعمل عملها في نفس المنصور، وبدأ المنصور يشك في إخلاص المورياني وأقربائه الذين عينهم في مناصب لجمع الثروات الضخمة وابتزازهم الأموال.

ويبدوا أن المورياني استغل واردات الدولة المالية من جباية وخراج والنظر في الضياع وممتلكات الخليفة الخاصة لصالحه الخاص، ومن ذلك:

- احتكار لرخص المواد الغذائية في سواد الكوفة والبصرة طمعا في الربح.

- أخذه مبلغ ثلاثمائة درهم لإصلاح ضيعة ابن الخليفة (صالح المسكين) بالقرب من الأهواز فأخذ المال ولم يصلحها.

- المتاجرة باسمه، ومركزه، ومن ذلك بيع اسمه لصاحب ضيعة من الأهواز بمبلغ من المال، يقدر بمائة ألف درهم في

---

[1] المصدر نفسه، ص97، 100، 115، 118.

[2] ينظر، البلاذري المرجع نفسه، ص346، وينظر، الجهشياري، المصدر نفسه، ص97، 117.

كل سنة، وذلك حتى يرهبه العمال والناس فلا يعتدون على ضيعته.[1]

- مشاركته هو وأخوه خالد في الإرباح مع العمال الذين يعينهم على الجباية، حتى قيل بأن الأموال التي كانت تجمع مع جباية الأهواز كان يذهب نصفها لبيت المال والآخر يذهب إلى مال خالد شقيق أبي أيوب.[2]

وعندما تحقق للمنصور سوء تصرفات وزيره وأعوانه وابتزازه للأموال، أمر بعزل المورياني عن سنة 153 هـ/770م و بقي المورياني في السجن حتى مات في السنة التالية 154هـ / 771م.

وبعد عزل أبي أيوب قلد أبو جعفر الفضل بن سليمان الطوسي، وقلد أبان صدقة ديوان الرسائل، وقلد صاعدا مولاه النظر في ضياعه وممتلكاته الخاصة، كما ولى ديوان خراج البصرة ونواحيها عمارة بن حمزة، وديوان خراج الكوفة وأرضها عمر بن كليع.[3]

وهكذا يبدوا أن توليه أبي أيوب المورياني كانت تجربة أبطلها المنصور بعد ذلك إذ أنه لم يعين أحدا مكانه، واستمر كعادته يمارس السيطرة المباشرة على شؤون دولته.

3. أشهر وزراء مرحلة الاستقرار وأثرهم على النواحي الاقتصادية و السياسية:

1. أبو عبيد الله معاوية بن يسار وأثره على النواحي الاقتصادية:

عرف عهد المهدي بأنه بداية عهد الاستقرار والازدهار للدولة العباسية، لان والده المنصور ترك له دولة آمنة مستقرة مليئة خزائنها بالأموال.[4]

ففي عهده نمت المؤسسات الإدارية ورسخ النظام الوزاري، فازدهرت لذلك الحياة الإدارية والسياسة والاقتصادية

---

[1] الجهشياري، المصدر نفسه، ص117، 118.

[2] البلاذري، المرجع نفسه، ص326.

[3] ينظر الجهشياري، المصدر، نفسه، ص124.

[4] المصدر نفسه، ص 158، وينظر، المسعودي، مروج الذهب، ج3، المرجع السابق، ص322.

وبدا منصب الوزارة يتخذ معالمه وتتسع صلاحيات الوزراء، وقد منع المهدي الوزراء سلطات واسعة واعتمد عليهم بشكل كبير، وكان يتم تعيينهم ووفقا لكفاءتهم الإدارية والكتابية.

ومن أشهر وزراء المهدي أبو عبيدة الله معاوية بن يسار الأشعري الطبراني، وهو جد محمد بن عبد الوهاب الكاتب،[1] أصله من فلسطين، حيث خدمت أسرته الإدارة الأموية، وكان والده كاتبا لقائد الجند الأردن في طبرية، (ومن هنا جاءت نسبة الطبراني إلى أبي عبيد الله).[2]

واختار المنصور أبا عبيد بن يسار لتربية ابنه المهدي، وان يكون كاتبا له، يقول صاحب الفخري:" أن المنصور كان قد عزم على أن يستوزره، ولكنه آثر به ابنه المهدي وأوصاه بأن يتمثل لمشورته".[3]

إن اختيار المنصور أبا عبيد الله معاوية بن يسار لتربية ابنه وولي عهده "المهدي" يرجع إلى خبرة أبي عبيد الله وأسرته في الشؤون الإدارية، وكذلك إلى عمله وحسن تصرفه، فقد نال أبو عبيد الله في صغره نصيبا كبيرا من العلوم المختلفة، مما كان له أثره في حسن تصرفه وإبداعه في تنظيم الشؤون الإدارية والمعاملات الاقتصادية. لازم عبيد الله مولاه المهدي طيلة فترة ولايته للعهد، فقد رافقه في حملته على خراسان سنة 150 هـ /767م، وأقام معه في الري مدة طويلة عمل أثنائها على تدبير شؤونه الإدارية والمالية بكل حرية وكفاءة.[4]كذلك استعان به المنصور في أخذ البيعة إلى المهدي من عيسى بن موسى، وفي كتابه نص تنازل عيسى بن موسى عن ولاية العهد للمهدي.[5]

وبعد وفاة المنصور اخذ عبيد الله البيعة العامة من الناس في بغداد للمهدي، فكان طبيعيا أن يقلده المهدي وزارته ودواوينه سنة 195 هـ / 755م نظير كفاءته وإخلاصه.ويعد أبا الله من أكثر وزراء العصر العباسي إنجازا من الناحية

---

[1] ينظر، المسعودي، المرجع نفسه، ص322.

[2] الجهشياري المصدر نفسه، ص126.

[3] ابن طباطبا، الفخري في الآداب السلطانية، المصدر السابق، ص 182.

[4] ينظر الجهشياري، المصدر نفسه، ص 127.

[5] المصدر نفسه، ص126، 127.

المالية، فكان على العكس سلفه أبي أيوب المورياني، شديد الحرص على بيت المال، يشير على المهدي بالاقتصاد في النفقة وعدم الإسراف. كما كان عفيفا يحب الخير ويحض عليه، ويعطف على المحتاجين غلا أنه يؤخذ عليه أنه شديد التكبر والتيه.[1]

وعلى الرغم من قصر مدة وزارة أبي عبيد الله إلا أنه أنجز عدة إصلاحات إدارية ومالية لم يعمل بها من قبل، واحتذى بها من جاء من بعده، يقول عنه ابن طباطبا: "أنه كان مقدما في صناعته فاخترع أمورا"[2].

فمن هذه الأمور إصلاحاته الإدارية والمالية والتي منها أنه:

- رتب ديوان الخراج

- أول من صنف كتابا في الخراج وتبعه آخرون بعد ذلك فصنفوا كتب الخراج.

- نظم جباية الأموال

- نقل الخراج من المساحة إلى المقاسة.

وقد تم وضع نظام المقاسة سنة 160 هـ/776م، وكان الخراج يؤخذ بالنقد وعلى مساحة الأرض، زرعت أم لم تزرع فرأى أبو عبيد الله أن تطور الظروف يستلزم إجراء تعديل هذا النظام. لأن إهمال الولاة للأمويين كان قد أدى غلى خراب السواد وتدهور الزراعة فأشار على المهدي بنظام المقاسة.

إن هذا النظام يقوم على جعل أرض الخراج من المساحة من المساحة على الجريب إلى المقاسة على إنتاج، وكان على النحو التالي.

---

[1] ينظر، ابن طباطبا، المصدر نفسه، ص 182، 183.

[2] المصدر نفسه، ص182.

(النصف على الأراضي تسقى "سيحا"*)والثلث على الأراضي التي تسقى بالدوالي. والرابع على تلك التي تسقى بالدواليب...ولا شيء عليهم سوى ذلك)[1].

أما خراج الكروم والنخيل والشجر فإنه بقي على النظام القديم، ولكنه روعي فيه القرب من الأسواق والموانئ إضافة غلى جودة المحصول أو رداءته، فقلل بذلك من عسف الجباة.[2]

ومن ضمن سياسة أبي عبيد الله معاوية بن يسار المالية اهتمامه بتحسين وإصلاح الراضي الزراعية، لما للعلاقة الوثيقة بين الزراعة وواردات الخراج وغيره من الضرائب الأخرى. وقد أشار الوزير على الخليفة المهدي بان تكون نفقات الإرواء من إنشاء شبكات الإرواء والتصريف وبناء السدود وعمل القناطير، وسد الشقوق وحفر الأنهار وتقوية الضعاف من بيت المال.

ويبدو أن هذا النظام لم يستمر طويلا، فعندما أمر المهدي بحفر نهر الصلة وإحياء ما على ضفته من الأراضي وجعل نفقتها صلة لأهل الحرمين فإن نفقات حفر هذا النهر دفعت من بيت مال المسلمين، إلا أن المهدي بعد ذلك أمر بمضاعفة الضريبة المفروضة على المزارعين غير المستفادين من حفر هذا النهر لمدة خمسين سنة تعويضا لبيت المال عن تلك النفقات.

وكما كانت إسهامات أبو عبيد الله معاوية بن يسار عظيمة في خدمة الاقتصاد الإسلامي كذلك كانت كفاءته الإدارية والكتابية، فقد كان المهدي يستعين به أثناء جلوسه للمظالم، ويشاوره في ولاة الأقاليم.

وكان يخصه بكتابة الرسائل المهمة الصادرة عنه، فهو الذي كتب إلى الأقاليم نيابة عن المهدي كتاب تنازل عيسى بن

---

* السيح: السقي بدون كلفة أو مشقة من ماء السماء و السيح الماء الجاري، لسان العرب، ج2، المصدر السابق، ص 492.

[1] الماوردي، الأحكام السلطانية، المصدر السابق، ص139.

[2] المصدر نفسه، ص 189، 190.

موسى للهادي، وكذلك فعل عندما أخذت البيعة لهارون وليا ثانيا للعهد.[1]

وهو الذي قام بتحرير كتاب يأمر فيه العمال الخراج برفع العذاب عن أهل الخراج الذين كانوا يعذبون بصنوف العذاب من السبا والزنابير عندما لا يستطيعون إيفاء ما عليهم من أموال وطالب عمال الخراج يعاملوهم معاملة العزماء.[2]

ظل أبو عبيد الله معاوية بن يسار، مقربا من المهدي ومحط ثقته، إلا أن شدة تكبره وتخطيه حدود سلطاته، وتدخله في أمور لا تعنيه نفرت منه الخليفة، وأصبح عرضة للمنافسين له والوشاة، ومن لهم مصلحة في إبعاد عن منصبه. وكان الربيع بن يونس من اشد المنافسين لأبي عبيد الله،ولم يجد الربيع سبيلا إلى طعن أبي عبيد الله في شحنه، وذلك لكفاءته وتقدمه في صناعته وتقواه، ولكنه وجد السبيل إلى ذلك في اتهام أحد أبنائه بالزندقة، وكما رأينا سلفا أن الخليفة يكره الزنادقة، واقنع المهدي بذلك، فأمر المهدي بقتل ابن عبيد الله، وكان ذلك سنة 163 هـ/779م.[3]

وبعد هذه الحادثة صرف المهدي أبا عبيد الله عن وزارته، مكتفيا بجعله على ديوان الرسائل، ثم عزله عن ديوان الرسائل، ثم عزله عن ديوان الرسائل سنة 167 هـ / 783م فقلد الربيع بن يونس4 ومازال أبو عبيد الله يؤدي عمله في بلاط الخليفة بكل أمانة وإخلاص إلى أن طلب المهدي من الربيع يحجبه عنه استيحاء منه بسبب إقدامه على قتل ولده فانقطع بداره واضمحل أمره ولم يطل العمر به إذ توفي سنة 170 هـ /786م.[5]

2. يعقوب بن داود وسياسة المصالح مع العلويين:

هو يعقوب بن داود بن عمرو بن عثمان بن طهمان، مولى بني سليم[6]، فارسي الأصل، نشأ في بيئة اشتغل أفرادها

---

[1] ينظر، الجهشياري، كتاب الوزراء و الكتاب ، المصدر السابق، ص145.

[2] المصدر نفسه، ص142، 143.

[3] ابن طباطبا، الفخري، المصدر السابق ، ص183.

[4] الجهشياري، المصدر نفسه، ص156.

[5] المسعودي، مروج الذهب، ج3، المرجع السابق، ص322، ابن طباطبا، المصدر نفسه، ص184.

[6] ينظر الطبري، تاريخ الرسل و الملوك، ج8، المصدر السابق، ص117، المسعودي المرجع نفسه، ص322.

بالكتابة فقد خدم والده وأعمامه الأمويين، واشتغلوا كتابا في الديون في خراسان حتى ولاية نصر بن يسار. وعرف بشغفه بالأدب وصنوف العلم[1].وبعد قيام الدولة العباسية لم يطمع أفراد هذه في خدمة بني عباس، لاتصالهم ببني أمية وعدم ثقة العباسيين بهم، فتقربوا من آل الحسن واعتقدوا المذهب الزيدي وطالبوا بالخلافة لمحمد بن عبد الله بن الحسن (النفس الزكية) طمعا في أن يكون لهم دولة يعيشون في كنفها، وكان يعقوب هذا يحول في البلاد منفردا تارة، وأحيانا أخرى مع إبراهيم بن عبد الله في طلب البيعة لمحمد النفس الزكية.

فلما قتل محمد وأخوته، فطلبهم المنصور حتى ظفر بهم وحبس يعقوب في السجن طوال عهد المنصور لأكثر من عشر سنوات.[2] وعندما تولى المهدي الخلافة أمر بإطلاق سراحه من السجن بعد أن عفي عن أغلب السجناء السياسيين.[3]

أما عن كيفية اتصل يعقوب بالخليفة المهدي وحصوله على ثقته، ومن ثم اختياره وزيرا له، فقد أرجعتها المصادر إلى أسباب سياسية، وهي ميول يعقوب العلوية، وقربه من الشيعة ومعرفته بهم، ولكنها تختلف في تفسير ذلك، ولكن مهما يكن من اختلاف تفسيرات المؤرخين حول كيفية وصول يعقوب بن داود غلى الخليفة المهدي، فإن جميعها تدل على تقريب يعقوب كان له هدف سياسي محدد وهو السعاية بآل علي.

وبذلك حظي يعقوب برضي الخليفة فأعطاه لقبا فريدا من نوعه هو الأخ في الله وخط ذلك في خطابته ومراسلاته الرسمية التي كانت تحفظ ضمن أوراق الخلافة، وأخرج توقيعات تثبت في الدواوين وأسبغ عليه مبلغ مائة ألف درهم.[4]

واستطاع يعقوب في وقت قصير إن يجوز على ثقة الخليفة فكان يدخل عليه وقتما يشاء ويقدم له النصائح في أمر

---

[1] ينظر، الطبري، المصدر نفسه، ص154، 155، و الجهشياري، المصدر نفسه، ص155.

[2] الطبري، المصدر نفسه، ص155.

[3] المصدر نفسه، ص117.

[4] ينظر ، ابن الأثير الكامل في التاريخ، ج5، المصدر السابق، ص52، وابن طباطبا، الفخري، المصدر السابق، ص184.

وبناء الحصون وفكاك الأسرى والمحبوسين والقضاء على الغارمين والصدقة على المتعففين.[1]

ولا شك في تلقيب المهدي يعقوب بن داود لقب الأخ في الله مغزاه السياسي، فقد أراد المهدي أن يستغل ظروف اليعقوب واتصالاته بالعلويين ليكسب جانبهم ويرصد تحركاتهم وأنشطتهم، وليأنس العلويين بحكمة من جهة ثانية.

ولتسهيل مهمة يعقوب في سياسة المصالح مع العلويين منحه المهدي سنة 161هـ /778م سلطات سياسية كبيرة، مثل حق تعيين أمناء له في جميع الولايات، ومنح هؤلاء الأمناء سلطة على الولاة أنفسهم فكان لا ينفذ للمهدي على عامل فيجوز حتى يكتب يعقوب بن داود على أمينه وثقته وبإنفاذ ذلك".[2] ولم يزل أمر يعقوب يرتفع ويعلو عند المهدي حتى استوزره وفوض غليه أمر الخلافة، أي أنه وزره وزارة التفويض، واصدر مرسوم رسميا بذلك 163هـ/ 799م، فازدادت منزلة يعقوب علوا، حتى اخذ يرقب الزيدية و أتى بهم من كل ناحية، و ولاهم مناصب الدولة ليس في العراق وحدها وإنما في جميع الولايات.

على أن سياسة المصالحة لم تأت بالنتائج المرجوة منها، وذلك لأمور منها:

أولا: لأن الخلافة بين العباسيين والعلويين كانت عميقة جدان فالعلويين لم يستسيغوا سياسة المصالحة كما أنهم لم يثقوا بيعقوب، واعتبروه شخصا انتهازيا، ولم يسلم عيسى بن زيد نفسه رغم التأكيدات والجوائز والضمانات التي حصل عليها الخليفة عن طريق المهدي.[3]

ثانيا: أثارت الصلاحيات الكبيرة التي منحها يعقوب لأمناء و موظفي الزيدية عداء أصحاب البريد و ولاة الولايات، فأخذوا يغلون صدر المهدي على يعقوب معللين ذلك بأن ميله للعلويين هو الذي جعله يمنحهم تلك الصلاحيات.[4]

---

1 ينظر الطبري، المصدر نفسه، ص119، ابن الأثير، المصدر نفسه، ص52.

2 الطبري، المصدر نفسه، ص136.

3 ينظر، فاروق عمر فوزي، العباسيون الأوائل، جامعة بغداد، بغداد ، ط2، 1977، ص156.

4 ينظر، الطبري ، تاريخ الرسل و الملوك، ج8، المصدر السابق ، ص156.

و بذلك بدأت علاقة المهدي تتبدل تجاه يعقوب شيئا فشيئا، و وجد حساده الفرصة السانحة للتخلص منه خاصة عندما أطلق يعقوب سراح أحد العلويين الذين عهد بهم المهدي لديه،[1] فأمر المهدي بسجن يعقوب و طرد جميع أمنائه، فظلّ في السجن حتى وفاة المهدي و الهادي و أطلق سراحه الرشيد بعد أن شفع له يحي البرمكي، فأخرج من السجن بعد أن ذهب بصره و أقام بمكة حتى توفي بها سنة 187هـ/803م، و كانت وزارته حوالي خمس سنوات.[2]

و كان يعقوب ينتقد إسراف المهدي و تبذيره للأموال، و كان كثيرا ما يشير عليه بالاقتصاد في النفقات و حفظ الأموال، و لا يتورع عن وصف عمله صراحة بالسرف قائلا له في أحد المواقف استشاره فيها:"هذا يا أمير المؤمنين السرف". كما أنه ينتقد بعض تصرفاته و جلوسه في مجالس الغناء و اللهو و إنفاقه، و أنفاقه، و بلغ من ضيقه أن يطلب منه إعفاءه من منصبه قائلا:"ليس على هذا استوزرتني، ولا على هذا صحبتك، أبعد الصلوات الخمس في المسجد الجامع يشرب عندك النبيذ و تسمع السماع"[3] .

3-البرامكة وزراء الرشيد:

في عهد هارون الرشيد(170هـ -193م) توضحت أعمال الوزارة و تحددت صلاحيات الوزير و صارت الدواوين تسجل و تراقب و لها أصحاب متخصصون و فروع منسقة، و لعل من أبرز العناصر التي ساهمت في تنظيم الوزارة و الدواوين أسرة آل برمك التي لعبت دورا خطيرا في هذه الحقبة من الزمن.فلقد هيمن على الوزارة يحيى بن خالد البرمكي و أولاده، و استأثروا بالنفوذ و السلطان. و لقد لهذه الأسرة أثر واضح و فعال في المجتمع الإسلامي، مما يستوجب منا أن نلقي الضوء على نشاطها في عصر بني العباس.تؤكد الروايات المختلفة على أن أصول البرامكة ترجع لإلى الفرس، و أن هذه الأسرة كانت لها وجاهة قبل الإسلام.

و يقال إنهم اعتنقوا الإسلام على المذهب الشيعي في الدولة الأموية بعد أن فتح المسلمون أواسط آسيا، و أن

---

[1] ينظر، الطبري، المصدر نفسه، ص157، 159، وينظر، الجهشياري، كتاب الوزراء و الكتاب، المصدر السابق، ص161.

[2] الجهشياري، المصدر نفسه، ص161.

[3] الطبري، المصدر نفسه، ص 162.

برمك أسلم زمن عبد الملك بن مروان و كان رجلا عالما بالطب و التنجيم.[1]

و أول من اتصل من البرامكة من العباسيين هو خالد بن برمك جد الأسرة الذي لعب دورا مهما في النواحي الإدارية في عهد كل من السفاح و أبي جعفر المنصور و شيء من خلافة المهدي حتى توفي سنة 163هـ/779م.

أما عن أشهر شخصية في أسرة البرامكة فكانت شخصية يحيى بن خالد البرمكي، الذي عرف بمهارته و حسن إدارته لشؤون الدولة قبل أن يتولى وزارة هارون الرشيد، ذلك أنه حاز على ثقة المنصور فولاه سنة 158هـ/775م على أذربيجان و أرمينية قائلا له:"أردتك لأمر من الأمور، و أحضرتك لثغر من الثغور"2، فبقي واليا عليها حتى وفاة المنصور.

و قد ازدادت منزلة يحيى شرفا في عهد المهدي عندما عهد إليه بتربية ابنه هارون، ثم أسند إليه المهدي الإشراف على دواوين هارون و جعله كاتبا له أن ولى المهدي ابنه الرشيد ولاية المغرب من الأنبار إلى إفريقيا سنة 163هـ/779م.[3]

و قد استمر يحيى في إخلاصه لهارون طيلة فترة حكم أبيه المهدي، الذي أراد خلعه من ولاية الحكم و جعلها لابنه جعفر من بعده، و حرص يحيى البرمكي دوما على حث هارون على التمسك بحقه في ولاية العهد و عدم الاستجابة لرغبة الهادي.[4]

و ظل يسانده حتى وصل الخلافة مزودا إياه بالخبرات التي كانت تنقصه، ذلك أن هارون ولي الخلافة و هو في مقتبل العمر، تعزوه الكفاءة و الخبرة في إدارة الشؤون العامة.

و بالإضافة إلى ذلك كانت هناك عوامل أسرية و عاطفية ربطت هارون بيحيى و أسرته، فقد رضع هارون من زوج يحيى فأصبح أولاد يحيى إخوته في الرضاعة كما تربى و تمهد على يد يحيى، الذي كان يسهر على خدمته و راحته

---

[1] ينظر ياقوت الحموي، معجم البلدان، ج5، المصدر السابق، ص308.

[2] ينظر الطبري، المصدر نفسه، ص56.

[3] المصدر نفسه ، ص186.

[4] المصدر نفسه، ص208، و ينظر، ابن طباطبا، الفخري، المصدر السابق، ص198.

معرضا حياته للخطر، فنزل بذلك يحي من نفس هارون منزلة عظيمة . و قد عبر عن حفظه للجميل الذي أسداه له يحي بقوله عندما بويع بالخلافة سنة170هـ/786م:(يا أبت أنت أجلستني هذا المجلس ببركة رأيك، و حسن تدبيرك، و قد قلدتك أمر الرعية، و أخرجته إليك فاحكم بما ترى، و استعمل من شئت، و اعزل من رأيت، و أسقط من رأيت، فإنني غير ناظر معك في شيء).[1]

إذا بعد ذلك لا يعجب في أن يسلم هارون عنان الأمور في الدولة ليحيى و أسرته حتى قيل أن هارون سلم لهم خاتم الدولة، فتداولوه بينهم بين سنة 173هـ/189م، [2] و بذلك أصبحت ليحي سلطة تكاد تكون مطلقة، فكانت له إدارة الدواوين كلها مع الوزارة.

و كانت الكتب التي تنفذ من ديوان الخراج باسمه و لم تكن تنفذ إلا عن الخليفة، و هي بدعة من الرشيد تجعل الوزير بمثابة النائب عن الخليفة.[3]

و قد ساعد يحي في إدارة شؤون الدولة ولداه الفضل و جعفر مدة سبع عشر عاما من 170هـ-187هـ/786م-803م، و قد باشروا في هذه المدة جميع النواحي الإدارية و العسكرية و المالية و العلمية و الأدبية، حتى أن الفضل كان يلقب بالوزير الصغير في حين لقب جعفر بالسلطان.[4] و بذلك هيمن يحي و أبناؤه على دولة الرشيد و حياته في بداية عهده، حتى أنهم كانوا يقيمون معه في قصر الخلد.5 لهذا فإن جميع الأمور التي كانت تجري باسم الرشيد في بداية عهده طبعت بطابع البرامكة، فهم الذين يديرون أمور الدولة و هم الذين يحلّون المشاكل و هم الذين يتصدون للأعمال، في حين

---

[1] الطبري، المصدر نفسه، ص233، الجهشياري، المصدر السابق، ص177.

[2] المصدر نفسه، ص335.

[3] ينظر، ابن طباطبا، الفخري، المصدر السابق، ص198، 205، و ينظر، ابن خلدون، مقدمة،ج1، المصدر السابق،ص 19، ج3، ص252.

[4] ينظرن الجهشياري، المصدر نفسه، ص189.

[5] المصدر نفسه، ص178، 189، 211، وينظر ابن طباطبا، المصدر ن فسه، ص198.

أن الرشيد حرر نفسه من جميع هذه المسؤوليات الإدارية و تسلم قيادة الجيوش لمحاربة البيزنطيين و بينما كان اهتمام الرشيد منصبا على تأمين الحدود الشمالية معهم، كان يحيى يشرف على الأمور الداخلية و يستقل تدريجيا عن الخليفة في الرأي، و يختار بنفسه معاونيه في الإدارة و يبحث عن كتاب الدواوين و يراقب أعمالهم المركزية،[1] حتى قيل:(إنه كان بدار الرشيد من ولد يحيى بن خالد خمسة و عشرين رئيسا من صاحب قلم، أما ولاة الأقاليم فكان يعينهم بعد أن يكتفي ظاهريا بإتباع الخليفة.[2]

من ذلك أنه عين ابنه الفضل سنة 176 هـ/ 792م على ولاية المشرق، وهي الجهات الواقعة غربي غيران: "منطقة الجبال، طبرستان، أرمينية، طوسن وأذربجان" لأن الأوضاع لم تكن مستقرة بها، خاصة بعدما إلتجا إليها يحيى بن عبد الله العلوي الذي فر من موقعه في سنة 169 هـ/ 785م وقام بثورته في بلاد الديلم في بحر قزوين سنة 175 هـ /791م وقد نجح الفضل في الفترة قصيرة في إخماد نيران هذه الثورة باللين، ودون سفك دماء، بعدما أقنع يحيى بقبول الصلح، وكتب له الرشيد أماما بشهادة القضاء والفقهاء، وكان أن سلم يحي نفسه، وحمله الفضل إلى الرشيد ، فازدادت بذلك منزلة الفضل علوا لدى الرشيد الذي أكرمه أشد إكرام، وأجزل له العطاء.[3]

وفي سنة 177 هـ/ 793م أضيفت خراسان إلى ولاية الفضل من اجل تجنيد قوات جديدة، إلا أنه لم ينهب غليها سنة 178 هـ/794م.[4]

وقد استطاع الفضل خلال فترة ولايته القصيرة على المشرق، أن يقوم بأداء مهمته خير قيام، وبفضل جهوده وسياسته الحكيمة وصلاته الواسعة نجح في إقناع أمراء المنطقة المحليين، وجماعة الدهاقين، في إعداد الجند المطلوبين فكون جيشا عظيما أطلق عليه اسم "العباسية" أرسل منهم عشرين ألفا إلى بغداد جيشا خاصا به وبأسرته يحميهم ويأتمر

---

[1] فاروق عمر فوزي، الجذور التاريخية لوزراء العباسية بغداد، ط1، 1986، ص112.

[2] ينظر الطبري، تاريخ الرسل والملوك، ج2، المصدر السابق ، ص408.

[3] ينظر، اليعقوبي، تاريخ اليعقوبي ، ج2، المصدر السابق، ص408، والطبري، المصدر نفسه، ص242، 243.

[4] اليعقوبي، المصدر نفسه، ص407.

بأمرهم، ويقف في وجه الفئة الأخرى من الجند ، وهم الأبناء* الذين كانوا معروفين بعدائهم لسياسات البرامكة.

والواقع أن الفضل أولى اهتماما بالغا لمنطقة خراسان والمشرق أثناء ولايته عليها، فهو بالإضافة إلى تكوينه جيش العباسية زاد رواتب الجند وبنى مساجد ورباطات كثيرة، وحفر قناة بلخ، وأمر بهدم معبد النوبهار، فلم يقدر عليه لإحكام بنائه فهدم منه جزءا بنا عليه مسجدا، وأرسل حملة بمساعدة الدهاقين لفتح بلاد كابل، فاقتحمها وغنم منها غنائم كثيرة، وقاد حملة ضد معركة اشنرو مما يدل على عظم مكانة الفضل في خراسان أنه استطاع أن يعلن ولاية العهد لمحمد بن الرشيد، ويلقبه بالأمين، ويأخذ البيعة له من الخراسانيين، قبل أن يتمكن الرشيد من فعل ذلك في بغداد[1]، وهذا يعني أن إعلان ولاية العهد للأمين تمت في المناطق الشرقية أولا بفضل تدبير الفضل، ومن ثم أعلنت البيعة في بغداد والمناطق الأخرى رسميا رغم معارضة الكثير من الهاشميين.

وبهذا يتضح الدّور السياسي و الإداري الجاد الذي مارسه الفضل في البلاط العباسي، وقد يرجع ذلك لطبيعة الجدية فقد عرف عنه أنّه كان ليشرب النبيذ، وكان يقول:"لو علمت أن الماء ينقض من مروءتي لما شربته".[2]

كذلك عهد يحي لابنه جعفر بولايات عدّة، ولكنه لم يذهب بنفسه إلى هذه الولايات، وإنّما كان يرسل إليها من ينوب عنه، ففي سنة 176هـ/792م، ولى جعفر على المغرب كلّه من الأنبار إلى إفريقية بما فيها مصر، فلم يذهب إليها وولاها من قبله عمر بن مهران كاتب الخيزران.[3]

وفي سنة 180هـ/796م ولى على خراسان فانتدب محمد بن الحسن بن قحطبة لينوب عنه فيها[4]، و في السنة

---

* الأبناء: وهم أحفاد الخراسانيين الذين أتوا مع الجيش، القادم من خراسان عند قيام الدولة العباسية.

[1] ينظر، الطبري، المصدر نفسه، ص 240، 241

[2] الجهشياري، كتاب الوزراء والكتاب، المصدر السابق، ص194.

[3] ينظر، الطبري، المصدر نفسه، ص252.

[4] ينظر، اليعقوبي، ج2، المصدر السابق، ص"410، و الطبري المصدر نفسه، ص262، 263، وابن الأثير، الكامل في التاريخ، ج5، المصدر السابق، ص103.

أرسل جعفر إلى الشام لتهدئة العصبية القبلية التي هاجت بين أهلها، و تفاهم أمرها، فاستطاع جعفر أن يضع حدّا للاضطرابات فسكتت الفتنة، بعد أن أدب المتردين و نزع السلاح من القبائل و أعاد الأمن إلى المنطقة.

ويبدوان هذه المرة الوحيدة الّتي أدى فيها جعفر مهمّة خارج مدينة السلام، فقد اقتصر عمل جعفر على ملازمة الرّشيد ومنادمته لسماحة أخلاقه، فكان لا يفارقه أبدّا، وقد عبر جعفر للرشيد عن حزنه العميق لبعده عنه فترة ذهابه إلى الشام لتهدئة الأوضاع فيها؛ ولعلّ إيثار الرشيد وثقته به جعلته أكثر البرامكة نفوذا ذلك أنّ الرّشيد أشركه معه في كثير من المهام الخاصة، و التي تعد من واجبات الخليفة الرّئيسية ، كالنظر في المظالم، و الإشراف على البريد و دور الضرب و صك العملة، و الطراز في جميع المناطق، بل أكثر كم ذلك ظهر اسم جعفر مكتوبا على كلّ القطع النقدية في المشرق و المغرب[1].

وكذلك عهد الرّشيد إليه بتربية وتأديب ابنه عبد الله المأمون، كما عهد من قبل بتربية ابنه محمّد الأمين إلى الفضل فتمكن بذلك من الحصول على الوصاية علي المأمون، وأشار على الرشيد بتولية العهد بعد أخيه الأمين، وكان له دور في تثبيت حقّ المأمون وكتابة العهد وتعليقه في جوف الكعبة[2].

وهكذا يبدو أن ظرف، وفصاحة، وذكاء و تأدب جعفر، وسهولة أخلاقه جعلته أكثر حظا على الرشيد من بقية أخوته، وأكثر إدلالا، و قد أبدى والده يحي للرشيد مخاوفه من الصلة الشخصية الّتي كانت بينه وبين ابنه جعفر قائلا له:(يا أمير المؤمنين، إنّي أكره مداخل جعفر، ولست آمن من أن ترجع العاقبة علي في ذلك منك، فلو أعفيته و اقتصرت على ما يتولاه من جسيم أعمالك لكان أحبّ إلي، وآمن عليه عندي".[3]

---

[1] ينظر، الطبري، تاريخ الرسل و الملوك، ص263، 265.

[2] ينظر، الجهشياري، المصدر نفسه، ص211، عبد العزيز الدوري العصر العباسي الأول ... دار الطليعة، بيروت، ط3، ص127.

[3] الجهشياري، المصدر نفسه، ص225، و عبد العزيز الدوري،المرجع نفسه، ص126.

و لكن منادمة جعفر للرّشيد في مجالسه، وبقاءه في بغداد بالقرب منه لم تمنعه من أداء الأعمال الموكولة إليه على خير وجه. وقد عرف عن جعفر أنّه كان فصيحا بليغا لبقا عالما بالآداب، و التاريخ و الفقه، لأنّ أباه كان قد ضمه إلى القاضي أبي يوسف الحنفي ليعلمه ويفقّهه.[1]

وقد ذكر عنه أنه فصل في يوم واحد، عندما كان يجلس للمظالم مع الرّشيد في ألف قضية خاصّة، وقع عليها، ولم يخرج في شيء منها عن أحكام الفقه، ولم تكن أي واحدة منها ضدّ العدالة.[2]

على أنّ ما يميز سياسة يحي و أبنائه هي سياستهم المالية، فقد اتسمت هذه السياسة بدقة شديدة لتنظر إلا في مصالح الخزينة المركزية الّتي امتلأت بثروات ضخمة لا تقدر بثمن. و لعلّ أكبر دليل على نجاح سياستهم المالية في ملئ خزينة الدّولة بالأموال الطائلة هي قائمة الخراج التي أوردها الجهشياري في كتابه الوزراء .[3]

ذلك أن البرامكة اتبعوا أساليب صارمة في جميع الضرائب لتعويض ما لحق بالخزينة من خسائر أيام خلافة المهدي، و إن كانت الضرائب في أحيان كثيرة تجمع بطريقة تعسفية غير شرعية ، ففي بداية وزارة يحي فرضت ضريبة العشور الإسلامية على معتنقي الإسلام في السواد، إضافة إلى ما كانوا يدفعونه بناء على نظام المقاسة الذي عمر به في أيام المهدي، و لما كان يعني ذلك عقوبة على اعتناق الإسلام فإنّه سرعان مابطل[4]؛ ومن أساليب المتشدّد في جمع الضرائب أنّهم كانوا يطالبون الناس بدفع الضريبة كاملة مع جميع المتأخرات"البقايا" فتولى مطالبتهم في دار السلام عبد الله بن هيثم بن سام، الذي لم يتوان عن استخدام القوة الّتي تصل أحيانا إلى التعذيب، موظفين للقيام بهذه المهمّة.[5]

ففي اليمن مثلا أقام حماد البربري فيها ثلاث عشرة سنة، و سئم أهلها العذاب حتّى صاح قوم منهم و هو بمكة:

---

[1] ابن خلكان، وفيات الأعيان، ج1، المصدر السابق، ص329.

[2] ينظر الجهشياري، المصدر نفسه، ص204، ينظر، ابن خلكان، المصدر نفسه، ص329.

[3] ينظر الجهشياري، المصدر نفسه، ص288281.

[4] ينظر الطبري، تاريخ الرسل و الملوك، ج8، المصدر السابق، ص236.

[5] ينظر، اليعقوبي، تاريخ اليعقوبي، ج2، المصدر السابق، ص415، وينظر الطبري، المصدر نفسه،ص272.

"اعزل عنا حماداً البربري، إن طنت تقدر".[1]

فامتنع الرّشيد عن عزله في البداية، ولكنه ما لبث أن عزله بعد ذلك، و الظاهر أن عزله تمّ بعد القضاء على البرامكة.

و في الموصل استطاع يحي بن سعيد الحرشي تحصيل جميع المتأخرات إلى جانب الضرائب الّتي فرضت على الدّواجن و الماشية، فبلغت ستة ملايين درهم[2]؛ وفي أذربيجان الّتي تمّ إعفاء أهلها من الدفع الضريبة على أراضيهم تشجيعا لهم للاستيطان في المناطق الحدودية صاروا يطالبون من قبل عمّال البرامكة بدفع هذه الضريبة، و طالت هذه الإجراءات المشدّدة شمال إفريقية، عين البرامكة هرثمة بن أعين حاكما عليها، و كان هرثمة من أهم الشخصيات العسكرية الّتي ترتبط برباط وثيق بالبرامكة، و جعلوا تحت قيادته عددا من جند العباسية، الّذين كان الفضل بن يحي قد حدّدهم من الشرق فوصلها سنة178هـ/794م و عمل على تهدئة الأوضاع بها.[3]

فلما بلغ طرابلس أعطى جندهم أرزاقهم الفائتة ولآمنهم و عمل مثل ذلك في قيروان التي وصلها سنة179هـ/795م، وبعد أن استقرت الأوضاع في إفريقية رجع هرثمة إلى العراق سنة181هـ/797م فاستخلفه جعفر بن يحي البرمكي على الحرس.[4]

وقد اضطربت الأوضاع في إفريقية بعد عودة هرثمة، ووجدت حكومة بغداد صعوبة في الاحتياط بها، و حكمها حكما مباشرا بسب المناقشات بين القوات المجنّدة من البربر و العرب في المنطقة، و القوات الخراسانية من جهة توسعات

---

[1] اليعقوبي، المصدر نفسه ، ص412.413.

[2] ينظر، الأزدي، تاريخ الموصل تحقيق علي حبيبة، القاهرة، 1387هـ/1967م، ص 287، وينظر، ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ج5، المصدر السابق، ص103.

[3] ينظر، الطبري، تاريخ الرسل و الملوك، المصدر نفسه، ص256.

[4] ينظر اليعقوبي، تاريخ اليعقوبي، ج2، المصدر السابق، ص411، وينظر، ابن الأثير، الكامل في التاريخ،ج5، المصدر السابق ، ص96.103.

إدريس بن عبد الله العلوي الّذي أراد فرض سلطانه على المغرب كلّه من جهة أخرى،1 فقرّر الرّشيد - ووزراؤه البرامكة بعد مشاورة هرثمة بن أعين - إبقاء جند العباسية الذين تركهم هرثمة هناك بصورة دائمة ، وتعين إبراهيم بن الأغلب واليا عليهم ، والاعتراف به أميرا مستقلا استقلالا ذاتيا ، على شرط أن تستغني ولاية إفريقيا عن المعونة المالية التي كانت تدفع من مصر ، وتقدر بحوالي مائة ألف دينار سنويا ، وان يدفع مقابل ذلك أربعين ألف دينار سنويا إلى خزينة الدولة في بغداد2 وكان هذا الاجرا بدون شك كسب جديدا لخزينة الدولة .

وبينما انتهج البرامكة سياسة شديدة في جمع الضرائب في كافة أنحاء الدولة في عهد الرشيد ، نراهم يتعاطفون مع أهل المشرق ، خاصة في جمع الضرائب ، فالفضل بن يحي لكي ينجح في تجنيد القوات العسكرية التي عرفت باسم "العباسية" زاد في أعطيات الجند والقادة ، ووصل الكتاب بعشرة آلاف درهم ، ولكنه عندما وجد أن هذه العطاءات التي بذلها للجند والقواد والكتاب غير كافية عمل على إحراق دفاتر البقايا ، أي عمل على إلغاء متأخرات الضرائب كلها والى إحراق السجلات حتى ليطلبوا بهذه المتأخرات بعد ذلك.[3]

وهكذا أدت سياسة البرامكة المالية الصارمة إلى امتلاء خزينة الدولة بالأموال،مما رفع من شانهم في نظر الرشيد ، وكما عمل البرامكة على ملئ خزينة الدولة عملوا أيضا على ملئ خزينة الرشيد الخاصة ، وذلك عن طريق مصادرة الأراضي المهجورة التي تركها أصحابها بسبب عبئ الضرائب ، وأراضي بني أمية ، حتى ممتلكات بعض أفراد العائلة العباسية التي مات عنها أصحابها صادروها وأضافوها إلى خزائن الرشيد وعائلته [4].

والى جانب ذلك خص البرامكة أنفسهم بثروات هائلة ، ولم يحرموا أنفسهم ولا أصحابهم من هذا النشاط لابتزاز الأموال ، فهم يمتلكون أحسن البقاع ، وأجمل الأبنية ، وهذا جعفر يعمر قصرا في بغداد انفق عليه أموالا هائلة تقدر

---

[1] ينظر، اليعقوبي، تاريخ اليعقوبي المصدر السابق، ص411، وابن الأثير، المصدر نفسه، ص95، 104.

[4] ينظر، ابن الأثير، المصدر نفسه، ص104.

[3] ينظر، الجهشياري، كتاب الوزراء و الكتاب، المصدر السابق، ص191.

[4] ينظر، الطبري، تاريخ الرسل و الملوك، ج8، المصدر السابق، ص239.

بعشرين مليون درهم [1]. وذكر انه كانت لديه بركة في داره أخفى فيها أربعة آلاف دينار ، وزن كل دينار مائة دينار ودينار [2]، وكان للبرامكة ممتلكات و أراض كثيرة في البصرة ، وقيل إنهم كانوا لا يتورعون عن إبدال قنوات الأراضي لتنظيف بعض الأراضي السبخة العائدة لهم دون التفكير في الأذى الذي يصيب الأخرى.وقد بلغت واردات البرامكة السنوية من الأموال ثلاثين مليونا وستمائة وستين ألف دينار غير ضياعهم ودورهم.

وعن طريق هذه الثورات الضخمة التي حصلوا عليها استطاعوا إن يكونوا علاقات ممتازة مع الخاصة والعامة، وذوي الحاجات عن طريق الهبات والأعطيات التي كانوا يعطونها بسخاء ، حتى كثر على أبوابهم أصحاب الحاجات وتغنى بهم الشعراء . والظاهر إن علاقاتهم الجيدة مع الخاصة والعامة هي التي حددت من انتقادات الجماهير لهم ولأعمالهم.

وهكذا ظلت أسرة البرامكة تدير أموال الدولة وتحتل المنزلة العظيمة لدى الرشيد لمدة سبعة عشر عاما ، وان تفاوتت هذه المنزلة في هذه المدة ، حتى حصل الانقلاب الخطير في سياسة الرشيد تجاههم ، فأمر بقتل جعفر في صفر 187_803م وسجن يحي والفضل ، وقبض على أموالهم وعقاراتهم وضياعهم بالعراق[3].

وعلى الرغم من أننا لا نعرف تفاصيل الوضع الذي أدى إلى هذا الانقلاب ، لان الرشيد تكتم في إظهار ذلك، فأفسح بذلك المجال إمام الرواة والمؤرخين ومن تعرض لتاريخ هذه الأسرة بان يؤولوها تأويلات وصور مختلفة . وقد اتهم البرامكة بان لهم ميولا علوية ، فهم يؤثرون مصلحة العلويين على مصلحة الرشيد ، وهي تهمة عند العباسين اشد من تهمة الزندقة التي أودت بحياة ابن وزير المهدي ، ذلك أن هذه التهمة تشكل خطرا جسميا على سلامة الدولة، وقد استغلت حادثة إطلاق جعفر البر مكي سراح الثائر يحي بن عبد الله العلوي أسوء استغلال من قبل أعداء البرامكة . وهناك عدد من الروايات التي تحاول إثبات انحياز البرامكة إلى العلويين وإنهم يفضلون إن يعتلي عرش الخلافة واحد

[1] ينظر، الطبري، المصدر نفسه، ص261، وابن خلكان وفيات الأعيان، ج1، المصدر السابق، ص344.

[2] ينظر، الجهشياري، المصدر نفسه، ص241.

[3] ينظر اليعقوبي، تاريخ اليعقوبي ، ج3، المصدر السابق، ص421، الطبري، المصدر نفسه، ص278.

منهم1، وهي روايات يصعب على الباحث المدقق تصديقها ، لان البرامكة لم يكونوا لينالوا تلك المنزلة الرفيعة التي حصلوا في عهد الرشيد لو تولى احد العلويين عرش الخلافة .

ويمكن القول بان موقف البرامكة المتميز بالمرونة والعطف تجاه العلويين كان يتماشى تماما مع المناخ الفكري والسياسي في أواخر عهد الرشيد، والذي كان يمثله حلقات المثقفين ويشجعه البرامكة ، بعقدهم الندوات والاجتماعات لسماع الآراء والمناقشات الفكرية المختلفة ، ذلك المناخ الذي تميز بالتسامح والمرونة تجاه العلويين [2]. ونحن في الحقيقة لسنا بصدد ذكر الأسباب التي أدت إلى نكبة البرامكة والتي لم يخل من ذكرها كتاب من كتب التاريخ.

وقد تولى أمور بلاط الرشيد ـــ بعد نكبة البرامكة ، بن الربيع، الذي حاول قد المستطاع أن ينال مركزا أو خطوة ما ناله البرامكة ، ولكن دون جدوى فهو لم يكن على مستوى البرامكة.

في الكرم، ولا في ذكائهم، أوسعه نفوذهم ولا حسن تدبيرهم، ولا شك في أن القضاء على هذه الاسرة كان خسارة على الدولة العباسية وخاصة من ناحية النظم الإدارية....فقد أورد المؤرخون روايات عديدة عن الفراغ الذي تركه البرامكة بعد القضاء عليهم.

وقد ندم الرشيد على إيقاعه بالبرامكة لما رآه من إهمال عماله وموظفيه الذين لم يستطيعوا سد ما تركه البرامكة من فراغ في جميع مناحي الدولة .وخاطب جماعة من خواصه بأنه لو وثق بصفاء نيتهم لأعادهم إلى مناصبهم وإلى مكانتهم التي كانوا عليها، وكان يقول: " حملونا على نصائحنا وكفأتنا، وأوهمونا أنهم يقومون مقامهم فلما صرنا إلى ما أرادوا منا يفنوا عنا شيئا".[3]

وقد شغل الفضل بن الربيع المكانة الأولى في بلاط الرشيد بعد اختفاء البرامكة عن المسرح السياسي وبعد موت

---

[1] ينظر، الجهشياري، المصدر السابق، ص243.

[2] ينظر، المسعودي، المصدر السابق، ص377.

[3] الجهشياري كتاب الوزراء و الكتاب ، المصدر السابق، ص258، وابن خ لكان، وفيات الأعيان، ج6، المصدر السابق،ص228.

الرشيد أصبح من ابرز شخصيات حزب الأمين في الفتنة التي حدثت بينه وبين أخيه المأمون، وعينه أمير ووزيرا له.

4- وزارة الفضل بن سهل وأثرها في تأسيس خلافة المأمون:

لم ينته دور البرامكة بنكبتهم وإنما تركوا في الغدارة ربائبهم وصنائعهم وهم آل سهل، وهي أسرة تنسب إلى بلدة سرخس في خراسان[1]. وكان سهل بن زاد انفروخ- أب هذه الأسرة- من أبناء ملوك فارس المجوس، أسلم في أيام الرشيد، فقد أحضر سهل أبنية الفضل والحسن وقد مهما للبرامكة وعرفهما بيحيى بن خالد الذي أعجب بالفضل وذكائه وطموحه وعمق فهمه، خاصة عندما نقل كتابا من الفارسية التي كان يتقنها إلى العربية، وطلب منه أن يعتنق الإسلام حتى يستطيع أن يدخله في خدمته، فوافق الفضل وأسلم على يد المؤمنون سنة 190 هـ/ 806م ومن ذلك الوقت أصبح أبناء سهل ملازمين للبرمكة في خدمتهم ويأخذون عنهم أمور السياسة والإدارة حتى نكب البرمكة فلزم الفضل بن المأمون وعمل كتابا ومستشارا له[2].

وقد اتصف الفضل بن سهل بالذكاء وشدة الطموح فاسترعاه اتزان المأمون وتعلقه ونجابته فتوقع له، الخلافة، فلازمه من أجل ذلك في حياة أبيهن وبعد وفاة الرشيد لعب دورا سياسيا في ضم الخلافة غليه، لأنه كان يعلم تماما لأنه لن يكون له شان وأسرته وحزبه، إذا آلت الخلافة إلى أخيه المأمون وأكبر دليل على شدة طموح الفضل وإصراره على ضم الخلافة إلى المأمون هو تحريضه للمأمون على الذهاب إلى خراسان في معية والده الرشيد سنة 192 هـ/808م لمواجهة ثورة رافع بن الليث، محذرا إياه عن البقاء في بغداد مع أخيه الأمين، لأنه كان يعلم أن الرشيد مريض وقد يواتيه الأجل وهو في طريقه إلى خراسان، فيخلعه الأمين من ولاية العهد[3]. وقد أثبتت الأحداث بعد نظر الفضل بن سهل، إذا لم مضى وقت طويل حتى توفي الرشيد في الطريق، ودفن في مدينة طوس سنة 193 هـ /809م[4] وبدأت بوادر النزاع تظهر بين الأخوين الأمين والمأمون، وكان الرشيد قبل خروجه إلى خراسان قد استخلف على بغداد ابنه الأمين، و

---

[1] ينظر، ابن خلكان ، وفيات الأعيان، ، ج2، المصدر السابق، ص120 .

[2] الجهشياري ، المصدر السابق، ص31.

[3] الطبري، تاريخ الرسل و الملوك، ج8، المصدر السابق، ص338.

[4] المصدر نفسه، ص344.

جعل معه يحي ابن سليم يدبر أموره فاصطحب معه إسماعيل بن صبيح، و أيوب بن أبي سمير و الفضل بن الربيع، وجعل الفضل بن سهل على كتّابه(المأمون) و القائم على أموره.[1] و بعد أن وصل الرشيد إلى طوس و قبل وفاته بعشرين يوما أرسل ابنه المأمون إلى مرو و معه قسم من الجنود لمحاربة رافع بن الليث، بينما بقي هو و وزيره الفضل بن الربيع و بقية الجيش و الأموال في طوس، وعندما أحس بدنوّ أجله أوصى أن يسير بقية الجيش إلى المأمون لمساعدته.

و لم ينفذ الفضل بن الربيع و لا قادة الجيش وصية الرشيد، بل غادروا طوس إلى بغداد لاحقين بالخليفة الجديد الأمين. وقد تذرّع الفضل بحجة أنه لا يدع ملكا حاضرا لآخر لا يدري ما يكون أمره[2]. فلمّا علم المأمون بذلك غضب و جمع معه من قوّاد أبيه و شاورهم فأشاروا عليه بقتالهم و ردّهم إليه وخالفهم الفضل بن سهل و قال للمأمون: بعدم استخدام القوّة و إرسال وفد بن الربيع يذكره بالبيعة و يطالبه بالوفاء لوصية أبيه.[3]

و بذلك بدا يظهر دور الفضل بن سهل على أنه المحرّك الأساسي للفتنة التي وقعت بعد ذلك بين الأخوين الأمين و المأمون، حتى أن بعض المؤرّخين يرجعون كل ما حدث من أحداث في تلك الفترة إلى الفضل بن سهل، و يغيبون دور المأمون تماما.[4] و الحقيقة أن المأمون كان موفقا بوجود الفضل بن سهل و أخيه في خدمت، هم الذين تدربوا على يد البرامكة. و كما وقف يحي البرمكي خلف الرشيد حينما أراد أخوه الهادي خلعه من ولاية العهد وقف الفضل بن سهل خلف المأمون و سانده و آزره في ساعات ضعفه حاثا له على التمسك بحقه في ولاية العهد مطمئنا إياه بقوله:"فكيف بك و أنت نازل في أخوالك، و بيعتك في أعناقهم، اصبر و أنا أضمن لك الخلافة."[5]

وقد عرف له المأمون فضله و منحه سلطات واسعة لإدارة أمور مالية و حربية في هذه الفترة المبكرة و الحرجة من

---

[1] ينظر، الجهشياري، الوزراء، المرجع السابق، ص 266.

[2] ينظر الطبري، تاريخ الرسل و الملوك، ج8، المصدر السابق، ص 370، و ينظر ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ج5 ،ص135.

[3] ينظر الطبري، المصدر نفسه،ص371.

[4] ينظر عبد المنعم ماجد، العصر العباسي الأول،مكتبة الانجلومصرية،القاهرة، ج1، ط3، ص294.

[5] الطبري،ج8، المصدر السبق، ص372،و ينظر الجهشياري، الوزراء، الرجع السابق،ص289، و ينظر ابن الأثير، ج5، الكامل في التاريخ، المصدر السابق، ص136.

إمارته على خراسان، فأقدم الفضل على خفض الضرائب في المنطقة على الربع مما كانت عليه فكسب بذلك ولاء الأهالي و التفاهم حول المأمون بقولهم:"ابن أختنا و ابن عم نبينا".[1]

و نتيجة لهذه السياسة المالية المتسامحة، و بما كان للآل سهل من صلاحيات مميزة مع أمراء المنطقة،استطاع الفضل أن يجند عددا كبيرا من الجند الخراسانيين و أن يبرز على الساحة قادة جدد من أبناء المنطقة، أمثال طاهر بن الحسين الذي قاد قوات المأمون لمحاربة بغداد فيما بعد. و تظهر الروايات المتعددة براعة الفضل و دهائه و حسن إرادته في تثبيت المأمون مكائد أخيه الأمين الذي عزم على خلعه، ففي سنة195هـ /810م عندما خلع الأمين المأمون من ولاية العهد و نهى عن الدعاء له على المنابر ردّ الفضل بن سهل على هذا الإجراء بأن أطلق على المأمون لقب إمام توطيدا لسلطته بإضفاء صفة دينية عليه.

و بعد ذلك حشد الفضل بن سهل الجيوش الكبيرة من أهالي خراسان الذين توافدوا من كل صوب و حدب، و جعل على قيادتهم طاهر بن الحسين، بعد حصوله على امتيازات عديدة، و سارت الجيوش متجهة إلى الري[2]. و من ناحية أشرف الفصل بن الربيع على تجهيز و إعداد جيش الأمين، وجعل على قيادته علي بن عيسى بن ماهان_ أحد أبرز رؤساء الأبناء_ بعد أن عقد له على كور الجبل نهاوند و همدان، و قم و أصفهان[3]، و قد بالغ الفضل بن سهل في تجهيز الجيش بالعدة و السلاح و أعطى الجند مالا عظيما، كما أجزل العطاء للقائد علي بن عيسى فأعطاه مائتي ألف دينار و قد أثار تعيين علي بن عيسى بن ماهان على قيادة الجيش الموجه لمحاربة المأمون الغضب في كثير من النفوس الخراسانيين لأنهم لم ينسوا ظلمه و سوء معاملته لهم عندما كان واليا على خراسان في عهد الرشيد، فأصرّوا على محاربته و الاستماتة في قتاله، و قيل إن للفضل بن سهل يدا في تعيين علي بن عيسى بن ماهان إذ أوعز إلى عيونه و جواسيسه في بغداد بأن يزين للفضل بن الربيع تعيين علي بن عيسى غلى قيادة الجيش لأن هذا التعيين سوف يثير أهالي خراسان اتجاهه لبغضهم

---

[1] الطبري، ج8، المصدر نفسه،ص372، الجهشياري، الوزراء، المرجع نفسه،ص279.

[2] ينظر الطبري، ج8، المصدر نفسه،ص386.

[3] المصدر نفسه،ص386.

وكرههم له[1]. زحف علي بن عيسى بجيشه البالغ ألربعين ألفا، و قيل خمسين ألفا من الأبناء و الأعراب إلى الري حيث التقى بجيش طاهر[2]. و قد بدأ تفوق جيش الأمين و اضطراب بعض ملوك خراسان في تلك الفترة مما أثار أمام المأمون موقفا صعبا حتى أنه فكر جديا في الهرب و اللجوء إلى ملك الترك و التخلي عن الخلافة لولا مساندة الفضل بن سهل الذي أشار عليه أن يمنح بعض هؤلاء الملوك الاستقلال الذاتي، و أن يتنازل لبعضهم عن الجزية،و أن يتودد للبعض الآخر بالهدايا و التحف كما نصحه بالتريث فإن نجحت خططه مع الثائرين عليه من ملوك المنطقة و انتصرت قواته على قوات أخيه فذلك الذي يأمل و إلا فليلتجأ إلى ملك الترك3. و كان لهذه النصائح وقعا في قلب المأمون و نجحت خطط الفضل بن سهل، فهدأت ثائرة الملوك العجم و انتصرت قواته على قوات أخيه في الري انتصارا ساحقا، و قتل علي بن عيسى و تراجع جيشه إلى بغداد في حالة سيئة، فلما أرسل طاهر إلى الفضل بن سهل يخبره بالنصر دخل على المأمون و سلم عليه بالخلافة و لقبه بأمير المؤمنين[4].

و بعد مقتل علي بن عيسى بن ماهان أرسل الأمين جيشا آخر بقيادة عبد الرحمان بن جبلة الأنبا ري يقدر بحوالي عشرين ألفا من الأبناء، كما أدرك المأمون المصاعب التي يواجهها فأرسل له فرقة قوية من الجند العباسية بقيادة هرثمة بن أعين الذي كان أحد قواد الرشيد5.فتقابل الفريقان في همذان و اقتتلوا و عندما بلغ المأمون خبر هزيمة عبد الرحمان و مقتله رفع من منزلة الفضل بن سهل و جعله مسئولا أمامه عن الإدارة المدنية و العسكرية،و كان ذلك في رجب 195هـ/810م و هو التاريخ الذي أصبح فيه بن سهل وزيرا رسميا للمأمون كما أطلق لقب الأمير في حين ولي أخاه

---

[1] ينظر الطبري، تاريخ الرسل و الملوك، ج8، المصدر السابق، ص399.

[2] ينظر ابن الأثير، الكامل في التاريخ، المصدر السابق، ج5،ص143، و ينظر ابن الوردي زين العابدين بن المظفر، تاريخ ابن الوردي، دار الكتب العلمية، بيروت،ط1، ج1، 1417هـ/1996م،ص201.

3ينظر الطبري،ج8، المصدر نفسه، ص404.

[4] ينظر ابن الأثير، ج5، المصدر نفسه، ص145،و ينظر ابن الوردي، تاريخ ابن الوردي، ج1، المرجع نفسه،ص202.

[5] ينظر الطبري، المصدر السابق، ص414.

الحسن بن سهل ديوان الخراج[1]. ثم تابع الأمين بعد ذلك إرسال الجيوش لمنع طاهر بن الحسين من الزحف إلى بغداد فوجه أحمد بن مزيد الشيباني في عشرين رجل من الأعراب، و عبد الله بن حميد بن قحطبة في عشرين آخرين من الأبناء.ثم اتبع بمحاولة أخري يائسة لإنقاذ جيشه من الهزائم المتتالية بأن عين عبد الملك بن صالح على الشام و الجزيرة يستعين بجنودها، ولكن هذه المحاولات ذهبت سدى و لم تواجه جيوش طاهر بن الحسين و هرثمة بن أعين و هما في تقدمهما إلى العراق مقاومة تذكر و حاصرا بغداد حصارا شديدا و ضيقا على أهلها الذين قاوما الحصار لعدة أشهر، ومن بينهم الأبناء الذين كانوا يدافعون عن مدينتهم بقساوة و شجاعة لشعورهم بأنهم يخوضون معركتهم الأخيرة. و عندما شعر الفضل بن الربيع بضعف موقف الأمين هرب تاركا خليفته يلقى مصيره، ولكن طاهر و هرثمة لم يكونا متفاهمين حتى في فترة الحصار الشدي، فهر ثمة كان يريد نوعا من التفاهم مع أهالي بغداد المحاصرين بينما كان طاهر معارضا هذه السياسة. و الواقع أن الأمين عندما أحس بسوء التفاهم هذا حاول استغلاله لمصالحه، فأرسل إلى هرثمة بطلب الآمان فأجابه هرثمة إلى ذلك و أقسم أن يقاتل دونه إن أراد المأمون التخلص منه بقتله.على أن الأمين لم ينجح في الوصول إلى معسكر هرثمة إذ غرق قاربه في النهر و قتل على يد جنود طاهر، و أبلغ بذلك المأمون الذي أصبح خليفة دون منازع[2]. و في هذه الأثناء وجه المأمون بإيعاز من الفضل الحسن بن سهل لينوب عنه إلى بغداد بعد أن عينه واليا على ما افتتحه طاهر من كور الجبال و العراق و اليمن و الأهواز و فارس و الحجاز.

و بينما أبعد طاهر إلى الجزيرة الفراتية بحجة قمع ثورة نصر بن شيث العقلي، كما أمر هرثمة بالتوجه إلى خراسان[3]. و عمل في الوقت نفسه على إبقاء المأمون في مرو و قطع الأخبار عنه، و عاقب من حاول إخباره بما يجري في بغداد ليصرف الأمور حسب سياسته المخطط لها[4].

---

[1] ينظر الطبري، المصدر نفسه، ص423.

[2] ينظر الطبري ، تاريخ الرسل و الملوك، ج8، المصدر السابق، ص480، 481، وينظر المسعودي التنبيه و الإشراف المصدر السابق، ص317.

[3] ينظر، ابن الأثير الكامل في التاريخ ، ج5، المصدر السابق، ص172.

[4] ينظر ابن طباطبا، الفخري، المصدر السابق، ص218.

فأن تعيين الحسن بن سهل على العراق لقي معارضة شديدة من العراقيين عامة، و أهل بغداد خاصة بما فيهم الأبناء الذين أدركوا أن تعيين الحسن بن سهل واليا و نائبا من المأمون في بغداد معناه القضاء على نفوذهم و سلطانهم ومكانتهم التي ظلوا متمتعين بها لسنوات عديدة.

كذلك أثار بقاء المأمون في مرم و اتخاذها عاصمة له و وقوعه تحت تأثير الفضل بن سهل غضب الهاشميين في العراق من عباسيين و علويين، فعمت الفتن و الاضطرابات في اغلب مناطق الدولة العباسية، و أدى موقف الأبناء العدائي و أهالي بغداد من الحسن بن سهل و جيشه إلى أرغامه على ترك بغداد و سحب قواته منها.[1]

ومن اجل إرضاء العلويين أخرى الفضل بن سهل،المأمون بتوليته احد العلويين وليا للعهد من بعده،فوقع اختياره على علي بن موسى الكاظم و لقبه "بعلي الرضا"،كما أمر الجند بان يتركوا لبس السواد و يلبسون الثياب الخضر[2] إلا أن هذه الخطوة الجريئة لم تقنع خصوم المأمون من العلويين ، وقد أدى كل هذا إلى اضطرابات وتكتلات في بغداد . وأخيرا تنبه المأمون لسياسة الفضل بن سهل كما تنبه من قبل والده الرشيد لسياسة البرامكة، وأدرك آن ثورة أهالي بغداد ونقمه أهل بيته عليه ومبايعتهم لعمه إبراهيم بن المهدي ما هي إلا بسبب قبوله رأي الفضل بالبقاء في مرر، والابتعاد عن مقر حكم العابسين ببغداد ،وتعيين علي الرضا واليا لعهده . فاتخذ أجرا خطوة في حياته إذ قرر الرحيل والانتقال إلى بغداد واخذ علي في الرضا معه. وكان ذلك سنة 202-817م.

وفي طريق العودة تخلص من كل ما يشير إلى تحوله إلى المذهب الشيعي ، فرجع إلى لبس السواد شعار العباسيين وطرح عنه لباس الخضرة ،إلا انه تمسك بلقب الإمام الذي ظل الخلفاء العباسيون يتمسكون به. وقد انفق الحسن على زواج ابنته من المأمون مبالغ عظيمة ،يذكر انه نثر على الهاشميين والقواد والكتاب بنادق مسك في كل رقعة مكتوب فيها عطية ،دارا وضيعة ،أو جارية وفرش للمأمون حصيرا منسوجا بالذهب ، فلما وقف عليه نثرت على قدميه

[1] ينظر الطبري، تاريخ الرسل و الملوك، ج8، المصدر السابق، ص543، 544.

[2] ينظر الطبري ، المصدر نفسه ، ج 8،ص.554

لآلئ كثيرة ، وأشعل بين يديه شمعة عنبر ، وزنها مائة رطل،وقد انفق الحسن على هذا العرس مبالغ كثيرة [1]. والواقع أن السياسة آل سهل مثلت انقلابا على التقاليد العباسية و إدخال كل ماهر فارسي الى البلاط العباسي. من ذلك أن الفضل بن سهل تشبه بوزراء الأكاسرة فكان على كرسي مجنح ، ويحمل فيه حتى تقع عين المأمون عليه ،فإذا وقعت يوضع الكرسي وينزل عنه فيمشي ويحمل الكرسي حتى يوضع بين يديه المأمون ثم يسلم الفضل ويعود فيقعد عليه [2] ، كذلك تبع تعيين علي الرضا وليا للعهد طرح لبس السواد رمز العباسيين ، ولبس الخضرة لون لباس كسرى والمجوس. لم يلبث الحسن حتى مرض بعلة ، لزم بها منزله [3] وبعد مرضه استخدم المأمون غيره من الوزراء، من أهمهم "أحمد بن أبي خالد" أحد قادة الأبناء الذين قاوموا سياسة آل سهل في العراق، مع إخلاصهم ووفائهم للمأمون.[4] وقد ظل احمد في خدمة المأمون حتى وفاته عام 211-826م.لكنه رفض أن يعين رسميا في منصب وزيرا أو كاتبا[5].ويبدو أن تعيين المأمون لهذا الرجل في هذا المنصب الحساس كان له مغزاه السياسي ،وهو المصالحة والتفاهم مع طبقة الأبناء الذين كونوا شريحة مهمة في طبقات المجتمع العراقي.

4-أشهر وزراء نهاية العصر العباسي الأول:

استخدم المعتصم عددا من الوزراء من بينهم الفضل بن مروان الذي كان نصرانيا من أهل البردان [6]. إلا انه وصف بأنه كان عاميا لا علم عنده ولا معرفة، رديء السيرة جاهلا بالأمور، قليل المعرفة بالعلم حسن المعرفة بخدمة الملوك.[7]

ويرجع السبب في تعيين المعتصم له في منصب الوزراء أنه كان كاتبه قبل توليه الخلافة، وأنه قام بأمر البيعة له في

---

[1] ينظر ، ابن طيفور بغداد في تاريخ الخلافة العباسية ، مكتبة المثنى، بغداد، 1388هـ /1968م، ص115 .114

[2] ينظر ، الجهشياري ، الوزراء ، المصدر السابق، ص223، وينظر ، ابن خلكان وفيات ، المصدر السابق ، ج2 ، ص 123

[3] ينظر ابن طباطبا ، الفخري ، المصدر السابق ،223،وينظر، ابن خلكان، وفيات، المصدر السابق، ج2، ص123.

[4] ينظر، الطبري ،تاريخ الطبري، المصدر السابق، ج8 ،ص530

[5] ينظر ،ابن طيفور، بغداد في الخلافة العباسية ،المرجع السابق،ص 118-119

[6] ينظر ، ابن خلكان ، وفيات الأعيان، المصدر السابق ، ج4 ،ص 45.

[7] ينظر، ابن طباطبا، الفخري، مصدر سابق، ص232، وينظر، ابن خلكان وفيات الأعيان، المصدر نفسه، ج4، ص 45.

بغداد، وضبط الأمور فيها حتى عاد المعتصم، الذي كان يرافق المأمون في غزوته الأخيرة لبلاد الروم التي توفي فيها، وعلى الرغم من صفة الجهل التي اتصف بها الفضل بن مروان إلا أنه تمكن من السيطرة على أمور الخلافة واحتل منزلة عظيمة لدى المعتصم، ومنح سلطات وصلاحيات واسعة [1]. لكن المعتصم ما لبث أن عزله من منصبه في رجب سنة 221هـ\836م بعد ما تبين له جهله، وتحكمه في الإدارة وبيت المال. فأمر بحبسه وصادر أمواله ثم أعفاه، فأخذ الفضل ينتقل في البلاد مدة من الزمن حتى مات أيام المستعين سنة 250هـ\864م. وبعد أن عزل المعتصم الفضل بن مروان استعان بالتجارة في إدارة شؤون الدولة خاصة المالية منها، وذلك لأن لما لهم من قوة اقتصادية فعين محمد محمّد بن عبد الملك بن أبا ن كان يجلب الزيت من موطنه إلى بغداد ليتاجر فيه، وأصله من جيل [*].

و كان والده تاجرا موسرا فنشأ ابنه في رغد من العيش فاتجه لدراسة العلوم و الآداب ونال من ذلك حظا عظيما ساعده على القيام بأعباء الوزارة خير قيام طيلة عهد المعتصم وابنه الواثق.

ومن أعماله المالية أثناء وزارته إلغاء ضريبة العشر على السفن الواردة من إلى موانئ الخليج.2 عبر المحيط الهندي من شرق أفريقية، وجنوب آسيا وجنوبها الشرقي و الشرق الأقصى، يبدو أن هذا التدبير كان بالدرجة الأولى في مصلحة الأغنياء و التجار أمثال ابن الزيات نفسه لأنه لم يؤد إلى خفض الأسعار ولم يستفد منه عامة الشعب والفقراء، لأنها كانت تتجار بالسلع الكمالية.

وبعد وفاة الواثق استوزره المتوكل، واستمر ابن الزيات في خدمة المتوكل أربعين يوما، نكبة بعدها وصادر أمواله وعذبه حتى مات في سنة 233هـ/874م. بعد أن ظل في منصب الوزارة اثني عشر سنة.[3]

ويعد ابن الزيات - رغم عيوبه التي تميزت بالقسوة وعدم الرحمة و عدم المحبة وعدم الناس له لقسوته في جمع

---

[1] ينظر الطبري، تاريخ، مصدر سابق، ج1، ص 20-21.

[*] جيل: قرية جنوبي بغداد، ياقوت الحموي، معجم البلدان ،ج3، ص202.

[2] ينظر، اليعقوبي، تاريخ، المصدر السابق، ج2، ص483، و ينظر الطبري، تاريخ الرسل و الملوك، ج9، المصدرنفسه،ص150.

[3] المصدر نفسه ، ص158، 159.

الضرائب ـ آخر وزراء العصر العباسي الأول الأفاضل، العلماء، و كان الوزير الذي وزر الوزارة واحدة لم يقطعها صوف أو عزل لثلاثة خلفاء متتابعين.[1] وهكذا نرى من خلال هذه الفترة الممتدة من سنة132هـ750م إلى سنة 232هـ847م، وخير دليل على ذلك الدور و على سلطانهم فلم يعد يحتملهم الخليفة مما أدى بهم إلى نكبة في النهاية .وكذلك الدور الذي لعبه بنو سهل في التأثير على المأمون حتى استطاعوا أن يحققوا آمال الشعوبيين و الشيعة بتحويل الخلافة إلى علي رضي الله عنه وكيف أدى ذلك إلى بيعة علي الرضا بولاية العهد.كل هذا يبرز أهمية الدور الذي لعبه وزراء العصر العباسي في سياسة بني العباس.

[1] ينظر، الطبري ، المصدر السابق ، ص20.

# خاتمة

# خاتمة

1*يتميز النظام السياسي الإسلامي عن الأنظمة السياسية الأخرى بمميزات فريدة وسمات مهمة ترشحه لقيادة البشرية جمعاء، مهما اختلفت أجناسهم و تنوعت وثقافاتهم و هذه السمات تجعله أيضا صالحا لتطبيقه والعمل به مهما اشتد اختلاف الزمان والمكان.

و من بين هذه السمات:

-نظام رباني: أهم ما يمتاز به النظام الإسلامي عن الأنظمة السياسية الأخرى أنه نظام رباني، اسمه و قواعده و أحكامه ليست من وضع بشر يحكمه العجز و القصور و التأثر بمؤثرات الهوى و العواطف، وإنّما الذي شرع هذه الاسس و القوانين هو رب الناس و خالقهم، و هو أعلم بما ينفعهم وما يصلحهم.

-نظام أخلاقي: النظام السياسي يقوم على الأخلاق و الفضيلة و احترام حقوق الإنسان فقد دعا إلى المحافظة على العهود و المواثيق و رعاية حقوق الإنسان و وقايته من الفتن و الطغيان.

-نظام عقيدي: إن النظام السياسي الإسلامي يقوم على أساس العقيدة ويستمد منها نظرته إلى الكون والحياة ولم يعتبر النظام السياسي الإسلامي في تكوين الدولة الجنسية أو الموقع الجغرافي.

-نظام كامل شامل: من خصائص الحكم الإسلامي تميزه بالكمال و الشمول، وهذا الكمال دل عليه قوله تعالى:(اليوم أكملت لكم دينكم و أتممت عليكم نعمتي و رضيت لكم الإسلام دينا).

-نظام عالمي: خصائص النظام السياسي الإسلامي ومقوّماته جعلته نظاما عالميا، تشريعاته وقوانينه صالحة لكل زمان و مكان.

2*إن تاريخ الخلافة العباسية نهر هادر متدفق تمضي روافده على مر العصور أمما ودويلات و شيعا و أفرادا، و كلما قلنا أن هذا الرافد من منبع بعيد سينتهي إلى المصب تحول الرافد إلى نهر، هكذا كانت الخلافة العباسية منابعها تتدفّق بالفكر و الجدل و الحكايات التي لا تنتهي من الدماء و لا تخلو من المبادئ و المثل.

3*أتى النظام الإسلامي بنظام فريد دون تأثر بما هو قائم، فهذا النظام هو النموذج الوحيد الذي ينبغي تطبيقه مع اعتبار أنه يجسد أحكاما شرعية تخرج من مشكاة النبوة مباشرة.

امتد العصر العباسي الأول مائة سنة، تولى الخلافة خلالها تسعة خلفاء بدءا بأبي العباس السفاح و انتهاء بالواثق بالله ويمكن تقسيم هذا العصر إلى ثلاثة عهود رئيسية:

عهد التأسيس من سنة: 132 هـ 749م إلى سنة 158 هـ 775م، ويشمل خلافة أبي العباس والمنصور.

عهد الاستقرار من سنة: 158 هـ 775م إلى سنة 218 هـ 833م، ويشمل خلافة المهدي والهادي والرشيد والأمين والمأمون.

عهد القلق من سنة 218 هـ 833م إلى سنة 232 هـ 847م ، ويشمل المعتصم والواثق بالله.

4*يمكن تلخيص الناحية السياسية في نقاط ثلاث:

1- عامة الناس بين ساخط ومتهيب للوضع الجديد ومؤيد له، وظهور عداوة الشيعة وخروجهم عندما رأوا استئثار العباسيين بالأمر.

2- اتجاه العباسيين إلى الفرس يتخذون منهم الوزراء والولاة والقادة ... الخ .

3- نقل عاصمة الخلافة في بغداد بالقرب من الفرس وبعيدا عن أنصار بني أمية .

# قائمة مصادر ومراجع

# قائمة المصادر و المراجع:

-أ-


إبراهيم سليمان الكروي:

- المرجع في الحضارة العربية الإسلامية، منشورات ذات السلاسل، الكويت، ط2، 1987م.

- نظام الوزارة في العصر العباسي الأول ، الكويت، 1983م.

ابن الأثير:

-الكامل في التاريخ، دار الكتاب العربي، ج2، ج5، ط1، 1999.

ابن حزم الأندلسي (علي بن سعيد):

-المحلي بالآثار، دار الكتب العلمية، بيروت، ج8، ج1.

أبو الخشب إبراهيم علي:

-تاريخ الأدب العربي، الهيئة المصرية العامة، مصر،ط4، 1992م.

ابن حجر:

-فتح الباري، شرح صحيح البخاري، المكتبة السلفية، ج7، ج13، ج4،د.ت،

ابن خلدون :

المقدمة، مكتبة المدرسة و دار الكتاب اللبناني للطباعة و النشر، بيروت ، م1،ط1، 1967م.

ابن خلكان:

- وفيات الأعيان، حققه إحسان عباس، دار صادر بيروت، ج1 ،ج2، ج4، ج6، د.ت.

ابن قيم الجوزية:

-الطرق الحكمية في السياسة الشرعية، دار الكتب العلمية، د.ت.

ابن سعد:

-الطبقات الكبرى، دار التحرير والتوزيع، القاهرة، ج1، ج2، م3،د.ت.

ابن منظور:

- لسان العرب، مادة سوس، دار صادر بيروت، ج2، ج6،د.ت.

ابن طيفور:

- بغداد في تاريخ الخلافة العباسية ، مكتبة المثنى، بغداد، 1388هـ /1968م.

ابن كثير:

-السيرة النبوية، تحقيق مصطفى عبد الواحد، دار المعرفة، بيروت، ج4، م3، د.ت.

- البداية و النهاية، ج10

ابن الوردي زين العابدين بن المظفر:

- تاريخ ابن الوردي، دار الكتب العلمية، بيروت،ط1، ج1، 1417هـ/1996م.

أبي الحسن الماوردي:

-الأحكام السلطانية، دار الكتب العلمية، بيروت ، 1972م.

أحمد أمين:

- ضحى الإسلام، ج3، عمان، الأردن،ط1، 1998.

أحمد إسماعيل الجبوري:

- تاريخ الدولة العباسية (العصر العباسي الأول )(132-247هـ/ 749-861م)،دار الفكر ناشرون و موزعون، عمان الأردن، ط1، 1431هـ/2010م.

إحسان عبد المنعم عبد الهادي سمارة:

النظام السياسي في الإسلام، دار يافا العلمية للنشر و التوزيع عمان، ط1، 1424هـ/2000م.

أزدي:

- تاريخ الموصل تحقيق علي حبيبة، القاهرة، 1387هـ/1967م.

أنور الرفاعي:

-نظم إسلامية، دار الفكر دمشق، 1973م.

-ب-

بخاري:

-صحيح البخاري ، كتاب الأحكام، رقم1738.

بلاذري:

- أنساب الأشراف، دار الفكر، بيروت، ط1، ج4، 1417هـ/1996م.

-ت-

تقي الدين النبهاني:

-نظام الحكم في الإسلام، دار الأمة للطباعة ونشر والتوزيع، بيروت، 1990م.

-ج-

جلال الدين السيوطي:

- تاريخ الخلفاء، دار الفكر العربي، القاهرة، 1988

جورج بودير:

-الدولة، ترجمة سليم حداد، المؤسسة الجامعية للدراسات و النشر ، بيروت،ط1، 1985م.

جوهري:

- تاج اللغة، مادة ساس، دار العلم للملايين، بيروت، ج3، د.ت.

جهشياري:

- كتاب الوزراء و الكتاب، تحقيق مصطفى السقا و آخرون،مطبعة مصطفى الألباني الحلبي، القاهرة، ط1، د.ت.

-ح-

حسن إبراهيم حسن:

- تاريخ الإسلام السياسي و الديني و الاجتماعي و الثقافي العصر العباسي الأول في الشرق ومصر والمغرب و الأندلس ،مكتبة النهضة المصرية القاهرة ،ج2،د.ط،1430هـ/2009م.

حسين الحاج حسين:

-حضارة العرب في العصر العباسي الأول، مؤسسة الجامعية للدراسات و النشر و التوزيع ، ط1، 1414هـ/1994م.

-النظم الإسلامية، المؤسسة الجامعية للنشر و التوزيع، ط1، 1987م.

حنيفة الدينوري:

- الأخبار الطوال، تحقيق عبد المنعم عامر دار المثنى، بغداد، د.ت.

-خ-

خطيب البغدادي:

-تاريخ بغداد أو مدينة السلام، دار الكتب العلمية ، بيروت، ج14، د.ت.

خليفة بن خياط:

- تاريخ خليفة بن خياط، تحقيق أكرم ضياء العمري، دار طيبة، الرياض،ط2، 1405ه/1985م.

-د-

دينوري:

-الإمامة و السياسة، تحقيق طه الزيني، دار المعرفة، بيروت، ج1، د.ت.

-ش-

شاكر مصطفى:

- دولة بني العباس، خالد بن الوليد، دمشق، ط1،ج1، 1973م.

شيخ النعماني المكي:

- الخلافة بين الأصالة والحداثة، منشورات دحلب، د.ت.

-ص-

صبحي الصالح :

- النظم الإسلامية، نشأتها و تطورها، دار العلم للملايين،بيروت،1978م.

-ط-

طبري:

-تاريخ الرسل و الملوك، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، ج1، ج2، ج3، ج4، ج6 ، ج7، ج8، ج9، ج 10، ط6،د.ت.

طقوش محمد سهيل:

- تاريخ الدولة العباسية، دار النفائس، بيروت، ط2 ، 1998.

-ع-

عبد المنعم ماجد:

العصر العباسي الأول،مكتبة الانجلومصرية،القاهرة، ج1، ط3، د.ت.

عبد المنعم الهاشمي:

- الخلافة العباسية، دار ابن الحزم، بيروت لبنان،د.ط،1424هـ/2006م.

عيسى الحسن:

- الدولة العباسية تكامل البناء الحضاري، الأهلية للنشر و التوزيع، عمان الأردن ط1، 2009م.

علي حسن الشطشاط:

دراسات في تاريخ الحضارة الإسلامية، دار القباء للطباعة و النشر و التوزيع، القاهرة، ط1، 2001م

عيسى الحسين:

- الدولة العباسية، تكامل البناء الحضاري، الأهلية للنشر والتوزيع، عمان، الأردن، ط1، 2009م.

عبد العزيز الدوري:

- العصر العباسي الأول ... دار الطليعة، بيروت، ط3، د.ت.

-دراسات في العصور العباسية المتأخرة، بغداد، 1945.

-ف-

فاروق عمر فوزي:

- الخلافة العباسية عصر القوة و الازدهار، دار الشروق عمان الأردن ،ج1،ط1،الإصدار الأول ،1998م.

- العباسيون الأوائل، جامعة بغداد، بغداد ، ط2، 1977م.

- الجذور التاريخية لوزراء العباسية بغداد، ط1، 1986

فيروز أبادي:

- القاموس المحيط، فصل السين باب السين، دار الفكر، بيروت، ج2،د.ت.

فتيحة النبراوي:

-تاريخ النظم و الحضارة الإسلامية، دار الفكر العربي، القاهرة، ط1، 1999م، ج1،

-ق-

قاضي عياض:

-الشفا بتعريف حقوق المصطفى، دار الكتاب العلمي، بيروت، ج2، د.ت.

قلقشندي:

-مآثر الأنافة في معالم الخلافة ، تحقيق عبد الستار فراج وزارة الإرشاد، الكويت ، سلسلة التراث العربي، ج11، 1964م، ص2.

-م-

محمد البهي:

- الفكر الإسلامي و المجتمع المعاصر، دار الكتاب اللبناني، بيروت، ط2، 1975م.

محمد الخضري بك:

- محاضرات في تاريخ الأمم (الدولة العباسية )،مؤسسة المختار القاهرة ،ط1، 1424هـ/2003م.

مرتضى الزبيدي:

- تاج العروس، ساس، دار الجيل، بيروت، ج16.

محمود الخالدي:

-معالم الخلافة في الفكر الإسلامي، دار الجيل ، بيروت، مكتبة المحتسب، عمان، ط1، 1984م.

-قواعد نظام الحكم في الإسلام، مكتبة المحتسب، عمان، ط2، سنة 1983م

مسعودي:

- مروج الذهب و معادن الجوهر، شرح و ضبط عفيف نايف خاطوم، دار صادر بيروت، ج2، ج3، ط1، 1426هـ/ 2005م.

-التنبيه و الإشراف، دار ومكتبة الهلال، 1981م.

مقدسي:

- أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم، ج1،د.ط،د.ت.

-ن-

نووي:

-صحيح مسلم بشرح النووي، دار إحياء التراث العربي،م6، ج12، 1972م.

ياقوت الحموي:

- معجم البلدان ، دار صادر، بيروت،ج2، ج3 ،ج5.

يعقوبي:

-تاريخ اليعقوبي، دار صادر، بيروت، ج2، د.ت.

# فهرس

| العنوان | الصفحة |
| --- | --- |
| مقدمة | |
| مدخل تاريخي | |
| 1-الدعوة العباسية | 2 |
| 2- قيام الدولة | 7 |
| 3- معركة الزابّ | 10 |
| الفصل الأول: النظام السياسي في الإسلام. | |
| المبحث الأول:مفهوم السياسة لغة و اصطلاحا. | 13 |
| المبحث الثاني: نشأة النظام السياسي في الإسلام. | 20 |
| المبحث الثالث: معال النظام السياسي في الإسلام. | 28 |
| الفصل الثاني: الخلافة العباسية | |
| المبحث الأول: الخلافة و الخليفة | |
| 1-الخلافة | 50 |
| 2-الخليفة | 51 |
| 3- علامات وشارات الخلافة: | 52 |
| المبحث الثاني: ولاية العهد | 54 |
| المبحث الثالث: خلفاء بني العباس | |
| 1-أبو العباس السفاح:( 132هـ/749م– 136هـ/754م) | 57 |
| 2-أبو جعفر المنصور:( 136هـ-158هـ/754م– 775م) | 61 |
| 3- محمد المهدي:(158هـ/ 169هـ-775م/785م) | 70 |
| 4-الخليفة موسى الهادي:(169هـ-170هـ/785م-786م) | 72 |
| 5- الخليفة هارون الرشيد(170-193هـ/786م-809م). | 74 |
| 6- الخليفة الأمين: (193 هـ – 198 هـ / 808م – 813م). | 78 |
| 7- الخليفة المأمون (198هـ – 218هـ / 813 م- 833م). | 80 |
| 8- الخليفة المعتصم بالله (218 هـ-227هـ / 833م-841م): | 83 |
| 9- خلافة هارون الواثق (228 هـ-232هـ / 742 م -747م): | 86 |
| الفصل الثالث: الوزارة في العصر العباسي الأول | |
| المبحث الأول: تعريف الوزارة وأنواعها | 90 |
| 1-صفات الوزير. | 91 |
| 2-أنواع الوزارة. | 93 |

| | |
|---|---|
| المبحث الثاني:نشأة الوزارة و تطورها في العصر العباسي الأول | 99 |
| المبحث الثالث: أشهر وزراء بني العباس | |
| 1-أبي سلمة الخلال. | 101 |
| 2-أبو أيوب سليمان بن مخلد المورياني. | 108 |
| 3- وزراء مرحلة الاستقرار وأثرهم على النواحي الاقتصادية و السياسية: | 111 |
| 1 . أبو عبيد الله معاوية بن يسار وأثره على النواحي الاقتصادية: | 111 |
| 2- يعقوب بن داود وسياسة المصالح مع العلويين | 115 |
| 3- البرامكة وزراء الرشيد. | 118 |
| 4- وزارة الفضل بن سهل وأثرها في تأسيس خلافة المأمون. | 129 |
| 4- أشهر وزراء نهاية العصر العباسي الأول | 136 |
| خاتمة | 139 |
| قائمة المصادر و المراجع | 143 |
| فهرس | 153 |